

د. أحمد حجازي السقا

أقلام النصاري

بيان ونقد



مكتبة النافذة

أقلام النصارى بيان ونقد

د. أحمد حجازي السقا

الناشر

مكتبة النافذة

أقانيم النصارى

تأليف: د. أحمد حجازى السقا

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

رقم الإيداع ٢٠٠٦/١٦٧٤٠

كل الحقوق
محفوظة

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان



الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدي - الثلاثيني - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣

التقديم للكتاب

بقلم
الأستاذ الدكتور

حسين آتاي

عميد كلية الإلهيات بأنقره - تركيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أولياء الله وأنصاره إلى يوم الدين.

وبعد

فقد ^(١) قرأتُ هذا الكتاب في طبعته الأولى أكثر من مرة. ووعيت ما فيه بفضل الله تعالى واسترعى انتباهي قول المؤلف: إن أقنوم الابن؛ هو محمد ﷺ ومعنى هذا؛ أنه ليس عند المسيحيين تثليث. ثم لما تكلم عن قولهم في أقنوم الروح القدس قال: إنه هو محمد ﷺ فعجبتُ من جرأته هذه؛ لأن العالم كله ينقل عنهم أنهم مثلثون لا موحدون. لذلك بحثت عن هذه العقيدة في أكثر من كتاب عندنا نحن المسلمين وعندهم، ووجدت ما قاله المؤلف صحيحاً.

(١) الأستاذ الدكتور حين آتاي - عميد كلية الإلهيات بأنقره. من العلماء المجتهدين في الفلسفة الإسلامية. وقد ألف وحقق كتباً. منها دلالة الحائرين لموسى بن ميمون، والمحصل لشيخ الإسلام الإمام فخر الدين الرازي. وهما مطبوعان في مصر. وله مقالات قيمة وأبحاث عظيمة في إصلاح أحوال المسلمين، تنشر في الجرائد والمجلات وقد مثل تركيا في مؤتمرات علمية، وآراؤه في تنقية الكتب الإسلامية من الإسرائيلية؛ مشهورة ومقبولة. ويصفه علماء المسلمين بأنه مصلح ومجدد ومجتهد. وله عند علماء الأزهر الشريف مكانة طيبة. وله في قلوب الطلاب الأزهرين مهابة ووقار.

إنه فى كلامه عن أقنوم الآب . قال : إنهم يعنون به الله تعالى . وقد شبهوه بالآب فى الرحمة والشفقة ، حتى أن نبي الله إسماعيل يقول لله تعالى : «فإنك أنت أبونا ، وإن لم يعرفنا إبراهيم ، وإن لم يدرنا إسرائيل . أنت يارب أبونا . ولينا . منذ الأبد اسمك» [إش : ٦٣ : ١٦] وحمد المسيح الله فقال : «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض» [مت : ١١ : ٢٥] وقال لعالم من علماء بنى إسرائيل : «لست بعيداً عن ملكوت الله» [مر : ١٢ : ٣] وقال لليهود الكافرين به : «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» (يو ٨ : ٤٠) ورفع عينيه إلى السماء وتضرع إلى الله فقال : «أيها الآب أشكرك ؛ لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ؛ ليؤمنوا أنك أرسلتني [يو : ١١ : ٤١ - ٤٢] .

وإنه فى كلامه عن أقنوم الابن . قال : إن الله قد اختار بنى إسرائيل من بين الأمم الوثنية للدعوة إلى الله تعالى بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام ولما ابتدأوا فى الدعوة ؛ صار أهل العالم فرقتين : فرقة منسوبة إلى الله ، وفرقة منسوبة إلى إبليس . لذلك شبه الله المتسبين إليه بأولاد لأب رحيم وشفوق ، وشبه المتسبين إلى إبليس بأولاد لأب شرير وقاسى القلب . فقال : «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث : ١٤ : ١] وقال المسيح لعلماء بنى إسرائيل : «أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن نعملوا . ذاك كان قتالاً للناس من البدء ، ولم يثبت فى الحق ؛ لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب ؛ فلنما يتكلم بما له ؛ لأنه كذاب ، وأبو الكذاب . وأما أنا فلأننى أقول الحق ؛ لستم تؤمنون بى . من منكم يكتنئ على خطية ؟ فإن كنت أقول الحق ؛ فلماذا لستم تؤمنون بى ؟ الذى من الله يسمع كلام الله ، لذلك أنتم لستم تسمعون ؛ لأنكم لستم من الله . فأجاب اليهود وقالوا : ألسنا نقول حسناً : إنك سامري وبك شيطان ؟ أحاب يسوع : أنا ليس بى شيطان ، لكنى أكرم أبى ، وأنتم تهينوننى» [يو ٨ : ٤٤ - ٤٩] .

ومن أجل أن جماعة بنى إسرائيل أولاد ، مجازاً للاحقيقة ؛ وقد وعدهم الله بنين

سيظهر من وسطهم من بين إخوتهم؛ جاء فى النصوص المعرفة به: أنه «ابن الله» مجازاً، بمعنى المتسبب إليه، لا إلى إبليس المفضل. ففى الزمور الثانى: «لماذا ارتجبت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل» ثم قال: «إنى أخبر من جهة قضاء الرب: قال لى: أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك، اسألتنى؛ فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصى الأرض ملكاً لك»

وقد جاء فى الأناجيل أن المسيح عيسى عليه السلام وضع هذا النص على محمد صلى الله عليه وسلم فقال: «تبارك اسم الله القدوس، الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء ليرسله لخلاص العالم، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلاً: «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين؛ خلقتك» [بر ١٢ : ٧]

وقال القديس برنابا: Barnabas إن بولس Paul قد خان الحوارين، ونادى بأن النبى المعروف بابن الله ليس محمداً ﷺ وإنما هو المسيح عيسى عليه السلام. قال «أيها الأعزاء. إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، رافضين الختان، الذى أمر به الله دائماً، ومجوزين كل لحم نجس. الذين ضل فى عددهم أيضاً بولس» [بر - المقدمة]

ومعنى الكلام: هو أن بولس وضع النص عن محمداً ﷺ الذى فيه أنه يلقب بابن الله على المسيح عيسى عليه السلام. وبذلك انقسم أنصار المسيح إلى طائفتين، طائفة تبشر بأن محمداً سيأتى، وتفسر نصوص التوراة عن النبى المتظر عليه، كما علمهم المسيح، وطائفة تدعى أن نصوص التوراة عن النبى المتظر هى للمسيح، كما علمهم بولس، وعندئذ ألف بولس رسائله لهذا الغرض.

فلما جاء مجمع نيقية بتركيا سنة ٣٢٥ م جمع الامبراطور قسطنطين امبراطور روما علماء الطائفتين، وحتم عليهم جميعاً أن يعدلوا الأناجيل طبقاً لما فى رسائل بولس. ولذلك نادوا بأن الابن هو المسيح. وكتبوا ذلك فى قانون الإيمان، فهل محمداً ﷺ إله ؟

ليس إلهاً، فهل الآب والابن إلهان ؟ إن محمداً ليس إلهاً، إذاً قانون الإيمان ينص على إله واحد، هو الله رب العالمين، خالق السموات والأرض، وقولهم إن المسيح رب معه؛ هو حيلة طريقة لإبعاد نص نبوة الابن في المزمور الثاني عن محمد ﷺ.

وظلوا على توحيد الله، على هذه الحيلة، إلى أن عملوا مجعاً في سنة ٣٨٢ م في القسطنطينية. وفي هذا المجمع عملوا حيلة أخرى تشبه الحيلة الأولى. وهى أن المسيح - طبقاً لرواية يوحنا - وصف محمد ﷺ بالروح القدس. وذلك لأن بنى إسرائيل ينسبون الرجل الذى يسير معه، إلى الروح القدس. أى يدعو إلى الله. وينسبون الرجل الذى يسير مع إبليس، إلى الروح النجس، أى يدعو إلى إبليس.

وقد نسب المسيح محمد ﷺ إلى الله فقال: «والكلام الذى تسمعون؛ ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شئ، ويذكركم بكل ماقلته لكم» [يو ٢٤: - ٢٦].

وفى هذا المجمع قالوا: إن «الروح القدس» رب مع الابن. ليلغوا فى نبوة محمد ﷺ من قبل ظهوره.

والفرق بين المؤلف وبين المؤلفين السابقين عليه من أهل الإسلام: هو أن السابقين وهم يشتون نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غرضهم عدّ النبوءات.

وقد عدوا نبوة المزمور الثانى من النبوءات، وفسروها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم لم يكونوا على علم بحيلة المسيحيين فيها. وعدوا أيضاً نبوة «المعزى الروح القدس» وفسروها على صلى الله عليه وسلم ولكنهم لم يكونوا على علم بحيلة المسيحيين فيها.

وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - فهل يعتبر المسيحيون مثلثين حقيقة ؟ بالتأكيد لايعتبرون مثلثين على الحقيقة، بل على الظاهر من الكلام، فمحمد صلى الله عليه وسلم ليس إلهاً حتى يكون نصيبه أقنومين من الثلاثة.

ولكن الكاثوليك يقولون بأن الابن؛ ابن طبعى لله، ولا يقولون بأنه اتخذ صاحبة وأنجب منها هذا الابن، ويقولون بأن الله ليس كمثله شئ «ليس مثل الله» [تث ٣٣: ٢٦] ويقولون هو واحد «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد» [تث ٦: ٤] فكيف مع التوحيد ونفى المثل يقولون بابتن طبعى لله ؟ قولهم هذا هو كلام لا أصل له ولا مستند له، وهم قد قالوه لتأكيد الحيلة، وليظهروا خلافاً مع الأرثوذكس، الذين يقولون إن الله إله واحد. وما الابن والروح إلا مرحلتين لهذا الواحد. ولا يقول الأرثوذكس بتمييز الابن عن الروح، ولا بتمييزها عن الله؛ لأنهم يعلمون أن الابن والروح لقبان فى الحقيقة لغير الله. ويقول الكاثوليك بتمييز الابن عن الآب، وتميز كل منهما عن الروح، للإيهام وللخداع بثلاثة منفصلين.

وجميع المسيحيين يقولون بثلاثة. أما الأرثوذكس - ومنهم المصريون - فإنهم يقولون بثلاثة مراحل لله عز وجل. ويقولون: إن الله هو المسيح، والمسيح هو الله، ويقولون: إن مريم حبلت بالمسيح بقوة الروح القدس. ويقولون: بأن الله تجسد فى صورة إنسان واحد هو المسيح. وهذا الواحد يقال عليه مرة هو الله. ومرة هو ابن الله. ومرة هو الروح القدس. وأما الكاثوليك - ومنهم الرومانيون - فإنهم يقولون بثلاثة متميزين، وبانفصال عمل كل من الثلاثة عن غيره.

فالجديد الذى انفرد به المؤلف فى هذا الكتاب عن السابقين عليه والمعاصرين له: هو فى تتبعه أصل كل أقنوم ودليله، وتنقيبه عن عن آراء السابقين ليرى هل هم معه أم لا. ففى كتاب تخجيل من حرف الإنجيل يقول المؤلف رحمه الله فى البشري السادسة عشرة: «قال داود فى المزمور الثانى له، وتنبأ به على اتساع خطة الإسلام: «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك. سلتنى أعطيك الشعوب ميراثك، وسلطانك إلى أقطار الأرض، وترعاهم بقضيب من حديد، ومثل آية الفخار تسحقهم»

اعلم: أنه لا يتصور من عارف صرف هذا المزمور عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه عليه السلام هو الذى ورث الشعوب كلها، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض، ورعى الأمم، وأحاطهم بسيفه. ولا يمكن صرف هذا المزمور إلى داود؛ لأنه لم يرث

سائر الشعوب، ولا يبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض، وما ملك سوى ناحية من الأرض. وهى «بيت المقدس» ثم خرجت من بعده إلى أمة هذا النبي والأقطار والنواحي، وقد بلغ سلطان محمد عليه السلام جوانب الدنيا وأطراف العالم. ففتح الله عليه الحجاز واليمن والحبشة والنوبة والهند والسند إلى الصين، ودوخت أمة الشام والعراق وفارس إلى الترك، وفتحوا أرض مصر والمغرب الأقصى إلى بحر طنجة. فقد ورث محمد سائر الشعوب، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض.

فصار هذا المزمور مضاهيا لبشرى يعقوب فى التوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى نقلناه. فأما قوله فى أول المزمور: أنت ابني؛ فجرى فيه داود على عادتهم فى إطلاق لفظ البنوة على النبي والمطيع لله. فقد قال فى التوراة: «إسرائيل ابني بكرى» وقال المسيح فى الإنجيل: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم»

وقد استدل الإمام الفقيه شيخ الأصوليين الإمام القرافى - رضى الله عنه وأرضاه - بهذا المزمور على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابه القيم «الأجوبة الفاخرة» كما استدل به مؤلف «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» وجميع المسلمين قد نقلوا كلام المسيح عليه السلام فى الروح القدس. وقالوا: إنه محمد ص.

فالمعزى الروح القدس، وهو «البارا قليط الروح القدس» فى التراجم القديمة. معناه «النائب عن المسيح» وليس فى أصل الإنجيل باليونانية «بارا قليط» بل «بيروقليطوس» وهى بكسر الباء «أحمد» بشهادة جميع علماء اللغات القديمة. والدليل على صحة شهاداتهم: وجود حرف السين فى نهاية «بيرا قليط» فالسين فى نهاية الكلمة اليونانية تجمع لها اسما. مثل يوسايوس - انطونيوس - اكتافوس. وقد رفع مترجمو الإنجيل كلمة «بيراقليطوس» وكتبوا مكانها «المعزى»

ففى فصوص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار - رحمه الله - : «كان المسيح يعبر عن البشر به بلفظ النبي ويلفظ مَسِيًّا ويلفظ فارقليط^(١) وهو تعريب لفظ

(١) الصحيح ويلفظ فيراقليط.

«باراكليتوس»^(١) اليونانية، ومعناها: الذي له حمد كثير

وقال الشيخ الشيخ عبد الوهاب: إنه سأل الدكتور «كارلو نلينو» عن معناها، وأجابه بأن معناها هو «الذي له حمد كثير» وقال له: إن الحمد الكثير يوافق أفعال التفضيل من الفعل حمد^(٢)، وقال الشيخ رحمه الله: إننى بذلك قد ازددت تثبتاً فى معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح: ﴿وَبَشِّرِ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

وقد جاء فى القرآن: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٢٩-٣٠).

إن عزرا الذى حرف التوراة عمداً، قد صغره الله وحقره وأتى باسمه على صيغة التصغير فقال (عزير) ولايتصور عاقل بتصغيره أن يكون نبيا أو وليا. وهم يقولون: إن عزرا هو الذى أعاد كتابتها من بعد ضياعها فى غزوة بابل أيام نبوخذ نصر، ويقول الله فى شأنها إنهم فيها لبسوا الحق بالباطل، وحرفوا الكلم من بعد مواضعه. وقد بالغوا فى تعظيمه بأنه ابن ممتاز لله. وهم أبناء له غير ممتازين. وأما المسيح فقد قال المسيحيون فيه: إنه الابن الذى جاء ذكره فى المزمور الثانى. ويقولهم هذا عن الاثنين (يضاهئون) أى يشابهون. لعنهم الله، كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل؟

ماذا ترى فى هذه المضاهاة؟ أترى أنها فى التثليث أم أنها فى نسبة ولد إلى الله؟ ليست فى التثليث، وهذا اعتراف من القرآن بأن الأمم الضالة لم تكن مثلة، لأنها لو كانت مثلة لقال بعد القول عن اتخاذهم ولداً: وإنهم كانوا مثليين. فذكره المشابهة فى البنية، وهو يعلم أن المسيحيين مثلثون: يدل على أن التثليث لم يكن فى العالم. فكيف يقال: إن التثليث كان فى العالم عند الهنود والمصريين وغيرهم؟

(١) الصحيح بيراكليتوس

(٢) ص ٤٧٣ - ٤٧٤ قصص الأنبياء

وقد تكون الإجابة - والعلم نله - أن تثليث المسيحيين ليس تثليثاً متعدد الذوات؛ فإن الابن والروح هما واحد. أما البتوة فإن الكاثوليك يقولون بأن المسيح ابن طبعين لله، تعالى الله علواً كبيراً. ولا يلزم من سكوت القرآن عن شئ ما حصل في العالم؛ أنه لم يكن حاصلاً.

هذه هي عقائد المسيحيين. وضعوها للتشويش على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أن عيسى عليه السلام كان مصداقاً للتوراة. وفيها هذه النصوص عن أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وليس كمثله شئ: «في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه القمر ظلمة. ورياح الله^(١) ترف على وجه المياه^(١)» [تك ١ : ١ - ٢] «اسمع يا إسرائيل. الرب إلها رب واحد» [تث ٦ : ٤] «ليس مثل الله» [تث ٣٣ : ٢٦].

وقد نسخ بولس شريعة التوراة. وأمر اليهودي الداخل في المسيحية بأن يعمل وهو فيها بشريعة التوراة، وأمر الأعمى الداخل فيها بأن يعمل بحسب العادات التي نشأ عليها، وبحسب قوانين البلاد التي يعيش فيها. فقال: «غير أنه كما قسم الله لكل واحد - كما دعا الرب كل واحد - هكذا ليسلك. وهكذا أنا أمر في جميع الكنائس: دعي أحد وهو مختون؛ فلا يصير أغلف. دعي أحد في الغرلة؛ فلا يختن. ليس الختان شيئاً، وليست الغرلة شيئاً، بل حفظ وصايا الله. الدعوة التي دعي فيها كل واحد؛ فليثبت فيها. دعي وأنت عبد؛ فلا يهتك. بل وإن استطعت أن تصير حراً؛ فاستعملها بالحرى؛ لأن من دعي في الرب وهو عبد؛ فهو عتيق الرب. كذلك أيضاً الحر المدعو؛ هو عبد للمسيح. وقد اشترى بدمي؛ فلا تصيروا عبيداً للناس. مادعي كل واحد فيه - أيها الأخوة - فليثبت في ذلك مع الله» [كورنثوس الأولى ٧ : ١٧ - ٢٤].

وما يزال المسيحيون من بعد مجمع نيقية وإلى هذا اليوم على إرشادات بولس.

وقد استفاضت الكتب الإسلامية بأن اليهود يؤمنون بالله، ويجسمونه ويجوزون له

(١) في تراجم بعض المسيحيين «وروح الله يرف على وجه المياه»

النقلة والحركة والجهة، وينسبون إليه القوة والعجز والأسف والحزن والفرح والرضا. واستفاضت كتب علماء اليهود بأن اليهود يؤمنون بالله ولا يجسمونه. وقد خالف المؤلف ماعليه إجماع المسلمين وهو أن اليهود مجسمون.

وبين أنهم موحدون ومنزهون لله تعالى عن الجسمية. وكفرهم هو كفرهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا بالله تعالى. واستدل المؤلف على توحيدهم وتنزيههم بأن التوراة في الوصايا العشر تنهى عن اتخاذ إله دون الله وتنهى عن الإشراك به، وتنهى عن التمثيل والتشبيه والتخيل. ففى الأصحاح العشرين من سفر الخروج:

«لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولاصورة ما مما فى السماء من فوق، ومافى الأرض من تحت، ومافى الماء من تحت الأرض. لاتسجد لهن ولاتعبدهن» [خر ٢٠ : ٣ - ٥].

وقد جاء فى التوراة: أن المشايخ السبعين أبصروا الله. وجاء فيها: أن المشايخ لم يروا جسماً لله، وإنما رأوا الملك الذى كلم موسى نيابة عنه. ففى الأصحاح الرابع من سفر التثنية:

«فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام، ولكن لم تروا صورة بل صوتاً» [تث ٤ : ١٢].

ويقول ابن كمونه فى رد هذه الشبهة: «وأما أن المشايخ أبصروا الله، فقد قيل إنه وإن كان فى اليقظة؛ فهو على مثل مايرى فى المنام، لا بالחס الظاهر^(١)» وقد جاء فى التوراة: «وبنى نوح مذبحاً للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح، فتسم الرب رائحة الرضا» [تك ٨ : ٢٠ - ٢١] وفى ترجمة : أنه استنشق قثار القرايين. يقول ابن كمونة: «وأما استنشاق قثار القرايين؛ فهو كناية عن تقبلها، كما يقال: سمع الله دعاءه بمعنى تقبله. وإصبع الله: مستعارة لقدرته، كما تستعار اليد للملك فى لغتى العبرانية والعربية. ويدل على ذلك

(١) ٣٣ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث.

دلالة قطعية: ماجاء فى التوراة حكاية عن المصريين أنهم لما ابتلوا بما ابتلوا به، قالوا: «إصبح الله هئ» ومعلوم: أن مرادهم بذلك: قدرة الله

إنه يقارن بين «سمع الله دعاء من دعاه» وبين «استشاق قنار القرايين» وظاهر القولين يثبت الجسمية. إذ السماع لايتأتى إلا من أذن. ولا بد للأذن من جسم. أى أنه يثبت المماثلة بين العبرانية والعربية فى الألفاظ الموهمة للجسمية ويهدف منه إلى أن التأويل الذى لا بد منه فى العربية، هو نفسه التأويل الذى لا بد منه فى العبرانية.

وأحسن من رده هذا: هو أن يقول: إن الله عبر عن ذاته المقدسة بلغة بنى آدم - على سبيل مشاكلة الفكر للفكر - ليقدر بنو آدم على إدراك ذاته وصفاته. فالله تعالى يقول فى القرآن الكريم ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ - ﴿ نسوا الله فسيهم ﴾ - ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفتح: ٦) - (فلما آسفونا؛ انتقمنا منهم) - (يد الله فوق أيديهم) - (وجاء ربك) وهذا كله ومايمائله، ليس على ظاهره إذ لو كان على ظاهره، للزم من ظاهره: أن الله ينسى، ولا يلزم على الظاهر النسيان فقط، بل يلزم التناقض فى القرآن. لأن فيه: (لا يضل ربى ولا ينسى) ولئن فسرنا بالكناية بأن نقول: إن اليد كناية عن القدرة؛ للزم على التفسير بالكناية: أن نبحث عن ذات تتعلق بها هذه القدرة. وهى لاتتعلق - بحسب الظاهر - الا بجسم. فيكون التفسير بالكناية مثبتاً لجسم ونحن نجتهد فى نفى الجسم. وإذا نحن ألقينا أسلوب الكناية، وقلنا فى اليد: إن الله بها كلمنا عن نفسه بلغة بنى آدم؛ ليقدرُوا على تصور ذاته وصفاته. فإن قولنا هذا ينفى الجسمية نفياً باتاً.

وفى تفسير الإمام ابن كثير - رضى الله عنه - وجوه فى تفسير (الله يستهزئ بهم) قال ابن جرير: أخبرنى الله تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة.

وقال آخرون: بل استهزاؤه بهم: توبيخه إياهم.

وقال آخرون: هذا وأمثاله على سبيل الجواب. كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به: أنا الذى خدعتك، ولم يكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه.

وقال آخرون: هو إخبار من الله تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء.

وكلام هذا المفسر يدل على اختلاف العلماء فى التأويل . والتأويل بأن الله يخاطب الناس عن نفسه على قدر عقولهم ، هو المراد .

وقد أخذ المؤلف تأويله هذا من المسيح عيسى عليه السلام فإنه لما سئل عن يد الله . أجاب بأن الله ليس جسماً ، ولم يقل بالتأويل بالقدرة . وإنما قال : كما علت السماء عن الأرض ، علا فكر الله على فكر الناس ، وأن الله استخدم لغة البشر فى حديثه إليهم ؛ لأنه لو كلمهم بلغته هو ؛ لما توا من الخوف . يقول عيسى عليه السلام : « أليس لله إذا قدرة على التصرف بأشياءه حسبما يريد أيها الغنى ؟ أما أنت فليس لك من ملك سوى الخطيئة فقط ؛ فعليها يجب أن تبكى لا على شئ آخر . قال متى : يامعلم إنك لقد اعترفت أمام اليهودية كلها بأن ليس لله من شبه كالشعر ، وقلت الآن : إن الإنسان ينال من يد الله . فإذا كان لله يدان ؛ فله إذاً شبه بالبشر . أجاب يسوع : إنك لفى ضلال يامتئ . ولقد ضل كثيرون هكذا إذ لم يفقهوا معنى الكلام . لأنه لا يجب على الإنسان أن لا يلاحظ ظاهر الكلام بل معناه . إذ الكلام البشرى بمثابة ترجمان بيننا وبين الله . ألا تعلم أنه لما أراد الله أن يكلم آباءنا على جبل سيناء صرخ آباؤنا : « كلمنا أنت ياموسى ولا يكلمنا الله لثلاث غوت ؟ » وماذا قال الله على لسان إشعياء النبي : « أليس كما بعدت السموات عن الأرض . هكذا بعدت طرق الله عن طرق الناس ، وأفكار الله عن أفكار الناس ؟ » إن الله لا يدركه قياس ، إلى حد أنى أرتجف من وصفه » [بر ١٠٤]

وفى كتب علم التوحيد : أن من العلماء من يأخذ ما بظاهر (يد الله) وبظاهر (وليس كمثله شئ) ويقول : ثبت لله - بحسب ظاهر اللفظ ، ما أثبتته لنفسه . ولأنؤول . ومنهم من يؤول اليد بالقدرة . فإذا وصلوا إلى (ومكر الله) و (إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا) اضطروا إلى التأويل ؛ لأن المكر يدل على الضعف ، والمعية تدل على حصر الله فى الغار

وكما أن فى القرآن أن الله فى كل مكان ، فى التوراة أن الله فى كل مكان . ففى سفر التثنية إرمياء : « ألعلى إله من قريب . يقول الرب . ولست إلها من بعيد ؟ إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستورة ؛ أفما أراه أنا ؟ يقول الرب . أنا أملأ السموات والأرض ؟ يقول

فإذا قال قائل: إن الله لا يكون في أماكن القاذورات وفي الأراضي النجسة؛ فإنه بذلك يكون مشجعاً على الزنا في هذه الأماكن بحجة أن الله ليس فيها.

وإذا صرح بأن ملائكته لا تدخل بيتاً فيه كلب، فمعنى ذلك أن الزناة يضعون كلاباً في بيوت الدعارة؛ لئلا تدخل الملائكة وتكتب أعمالهم، وبذلك يفلتون من العقاب.

إن الله تعالى في السماء وفي الأرض بذاته وبعلمه، والفرقة بين الذات وبين العلم؛ يردها القرآن وينفيها نفياً قاطعاً. فالله يقول (أنزله بعلمه) ويقول: (أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض)

وبعدما فرغ المؤلف من كلامه عن الأقسام الثلاثة؛ ذكر قانون الإيمان، وكلام القدماء في التثليث، وماشابه ذلك. مع أن موضوع الكتاب يفرغ عند نهاية الكلام في الأقسام الثالث.

ومع ذلك أقول مع الذين قرأوه وأوصوا بتدريسه: إنه كتاب قيم وأسأل الله تعالى أن ينفع به الناس، وأن يهدي به إلى دين الإسلام العظيم.

الدكتور / حسين آتاي

عميد كلية الإلهيات بأنقره - تركيا

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾
 يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ
 عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
 وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
 الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿

(النساء: ١٧١ - ١٧٢).

صدق الله العظيم

نص للقراءة

جاء فى إنجيل برنابا ما نصه:

«فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم، ليستقطوه بكلامه، لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين: من أنت ؟ فاعترف يسوع، وقال: الحق أنى لست مَسِيًّا. فقالوا: أنت إيليا أو إرميا، أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع: كلا. حيثذ قالوا: من أنت ؟ قل لشهد للذين أرسلونا. فقال حيثذ يسوع: أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ: أعدوا طريق رسول الرب. كما هو مكتوب فى إشعياء. قالوا: إذا لم تكن المسيا، ولا إيليا، أو نبيا ما، فلماذا تبشر بتعليم جديد، وتجعل نفسك أعظم شانا من مَسِيَّا ؟ أجاب يسوع: إن الآيات التى يفعلها الله على يدى، تُظهر أنى أتكلم بما يريد الله، ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه. لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله، الذى تسمونه مَسِيًّا، الذى خلُق قبلى، وسيأتى بعدى، وسيأتى بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية.

فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة، وقصوا كل شىء على رؤساء الكهنة الذين قالوا: إن الشيطان على ظهره، وهو يتلو كل شىء عليه.

ثم قال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: إن رؤساء وشيوخ شعبنا يترنصون بى الدوائر. فقال بطرس: لا نذهب فيما بعد إلى أورشليم. فقال له يسوع: إنك لغبى، ولا تدري ما تقول. فإن على أن أحتمل اضطهادات كثيرة؛ لأنه هكذا احتمل جميع الأنبياء، وأطهار الله، ولكن لا تخف، لأنه يوجد قوم معنا، وقوم علينا.

ولما قال يسوع هذا انصرف. وذهب إلى جبل طابور، وصعد معه بطرس ويعقوب ويوحنا أخوه، مع الذى يكتب هذا، فأشرق هنا فوقهم نور عظيم، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج، ولمع وجهه كالشمس، وإذا بموسى وإيليا قد جاءا يكلمان يسوع بشأن ما سيحل بشعبنا، وبالمدينة المقدسة. فتكلم بطرس قائلاً: يارب حسن أن نكون ههنا، فإذا أردت

نصنع ثلاث مظال. لك واحدة، ولموسى واحدة، والأخرى لإيليا. وبينما كان يتكلم، غشيتة سحابة بيضاء، وسمعوا صوتا قائلا: انظروا خادمي، الذي به سررت. اسمعوا له. فارتاع التلاميذ وسقطوا على وجوههم إلى الأرض، كأنهم أموات، فنزل يسوع، وأنهض تلاميذه قائلا: لا تخافوا، لأن الله يحبكم. وقد فعل هذا لكي تؤمنوا بكلامي.

ونزل يسوع إلى التلاميذ الثمانية الذين كانوا ينتظرونه أسفل، وقصّ الأربعة على الثمانية كل ما رأوا.

وهكذا زال في ذلك اليوم من قلوبهم كل شك في يسوع، إلا يهوذا الإسخريوطي الذي لم يؤمن بشيء.

وجلس يسوع على سفح الجبل، وأكلوا من الأثمار البرية؛ لأنه لم يكن عندهم خبز، حيثذ قال أندراوس؛ لقد حدثنا بأشياء كثيرة عن مَيسَا؛ فتكرم بالتصريح لنا بكل شيء.

فاجاب يسوع: كل من يعمل فإنما يعمل لغاية، يجد فيها غناء. لذلك أقول لكم: إن الله لما كان بالحقيقة كاملا، لم يكن له حاجة إلى غناء؛ لأن الغناء عنده نفسه. وهكذا لما أراد أن يعمل؛ خلق قبل كل شيء نفس رسوله، الذي لأجله قصد إلى خلق الكل؛ لكي نجد الخلائق فرحا وبركة بالله. ويسر رسوله بكل خلائقه التي قدر أن تكون عبيدا. ولماذا؟ وهل كان هذا هكذا، إلا لأن الله أراد ذلك؟

الحق أقول لكم: إن كل نبي متى جاء، فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط، علامة رحمة الله، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه. ولكن رسول الله متى جاء، يعطيه الله ماهو بمثابة خاتم يده؛ فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين، ويبعد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان. لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا: «انظر؛ فإنني بملك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام نحطيمها؛ هكذا سيفعل نسلك»

أجاب يعقوب: يا معلم. قل لنا بمن صنّع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون بإسحق

والإسماعيليون يقولون بإسماعيل . أجاب يسوع: ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ أجاب يعقوب: من إسحق؛ لأن إسحق كان أباً يعقوب، ويعقوب كان أباً يهوذا الذى من ذريته داود . فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم؛ لأن داود يدعو فى الروح رباً قائلاً هكذا: «قال الله لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطناً لقدميك، يرسل الرب قضيتك الذى سيكون ذا سلطان، فى وسط أعدائك» فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مَسِيحاً^(١)، ابن داود؛ فكيف يسميه داود رباً ؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق، إن العهد صُنِعَ بإسماعيل، لا بإسحق .

حيثُذ قال التلاميذ: يامعلم، هكذا كتب فى كتاب موسى: إن العهد صنع بإسحق . أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب، ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارها الذين لا يخافون الله، الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل، تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: ياإبراهيم سيعلم العالم كله، كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله، حقا يجب عليك أن تفعل شيئاً، لأجل محبة الله . فأجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل مايريد الله، فكلّم الله حيثُذ إبراهيم قائلاً:

(١) فى معجم اللاهوت الكاثوليكي - كارل راوتر - هربرت فور غريملر نقله إلى العربية المطران عبده خليفة - دار المشرق ببلن . عن «الْمَسِيح» مانته: «ماشيح» Messie من الكلمة اليونانية messias ومن العبرانية mashiah فى اليونانية Christos مسح . فى العهد القديم تعنى كلمة «ماشيح» بادئ ذى بدء؛ الملوك الممسوحين . وأيضاً الكاهن الأكبر والآباء... الخ . إنما تعنى كلمة «ماشيح» قبل كل شيء فى اليهودية المتأخرة، وفى تفاسير بعض مقاطع العهد القديم: «الماشحية» الملك الذى يُبَشِّرُ به فى هذه المقاطع بالذات: [تكوين ٤٩: ١٠ العدد ٢٤: ١٧ وصموئيل الثانى ٧ ومزمور ٢: ٢ - ٧ ومزمور ١١٠] ذلك الملك الماشيحي الذى كان ملكه متظراً بحرارة كلية يوم كان الرومان يحتلون الأرض، ومصوراً فى مختلف الصور . وكان فى أعلى معانيه آنذاك يدل على فكرة مملكة إسرائيل وطنية مطلقة ولها السيادة على العالم كله [لوقا ٢٤: ٢١ أعمال ١: ٦] وعطية النبوة كانت من اختصاصيات الماشيح . وكانت نظرة المعاصرين لـ يسوع عن ملك الماشيح نظرة مُلْك أرضى سياسى^أ . هـ

هذا هو قول النصارى فى «الْمَسِيح» وهم يستدلون على أوصافه من: التكوين ٤٩: ١٠ والعدد ٢٤: ١٧ والمزمور ٢ والمزمور ١١٠ كما ترى من النص المتقول عنهم . فانظر فى نص التكوين ٤٩: ١٠ والنصوص الأخرى تجد أن النصوص منطبقة على محمد صلى الله عليه وسلم فيكون هو «الْمَسِيح» ولا يكون هو عيسى بن مريم عليه السلام كما يزعمون .

«خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل؛ لتقدمه ذبيحة» فكيف يكون إسحق البكر، وهو لما ولد، كان إسماعيل ابن سبع سنين؟

فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء جلى. لذلك قل لنا أنت الحق؛ ربنا نعلم أنك مرسل من الله. فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائما إبطال شريعة الله، فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمرءون وصانعو البشر، كل شيء اليوم، الأولون بالتعليم الكاذب، والآخرين بمعيشة الخلاعة، حتى أنه لا يكاد يوجد الحق تقريبا، ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذابا فى الجحيم.

لذلك أقول لكم: إن رسول الله بهاء. يسرّ كل ماصنع الله تقريبا. لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصر والاعتدال، مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر، التى أخذ منها من الله، ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه، ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم. صدقونى إني رأيته، وقدمت له الاحترام، كما رآه كل نبي؛ لأن الله يعطيهم روحه نبوة. ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا: يا محمد، ليكن الله معك، وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك؛ لأننى إذا قلت هذا، صرت نيبا عظيما، وقدوس الله» [برنابا ٤٢ : ٣].

مقدمة الكتاب

﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا، قيما؛ لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات؛ أن لهم أجرا حسنا. ماكنين فيه أبدا. ويُنذر الذين قالوا: اتخذ الله ولدا، مالهم به من علم ولاآبائهم. كبرت كلمة تخرج من أفواههم. إن يقولون إلا كذبا ^(١)﴾

والصلاة والسلام على النبى الامى الكريم محمد بن عبد الله الذى اصطفاه الله من إسماعيل بن إبراهيم بشيرا ونذيرا. وعلى الرسل السابقين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

ويعهد

فلما أثبتُ نبوة نبي الإسلام محمد ﷺ بأدلة من التوراة المتداولة فى أيدي الناس الآن. والإنجيل المتداول. وأثبتُ تحريف التوراة والإنجيل بأمثلة منهما، رأيت أن أثبت بطلان التثليث، وتحريف النصرانية.

ولما عقدتُ العزم على هذا الإثبات؛ حتى عليه ظهور كتاب «إيماني» للقس الدكتور إلياس مقار رئيس الطائفة الإنجيلية بصر، وتداوله بين الناس من سنة ١٩٧٥ ميلادية.

ونقول بتأكيد ويقين أولا وقبل كل شيء: إن الدليل الذى يُطل التثليث ويثبت التحريف بغير نقض: هو تصريح التوراة بالوحدانية، وأن الله ليس كمثله شئ. وأن المسيح بن مريم صرح بأنه غير ناسخ للتوراة، وبناء على تصريحه بعدم نسخها؛ تكون الوحدانية التى فى التوراة مُلزمة لجميع النصارى إلزاما تاما.

فى هذا الكتاب عن التوراة المتداولة: أن الله تعالى وعد إبراهيم النبى - عليه السلام -

(١) أول سورة الكهف من القرآن الكريم

بأن يكون من ذريته أمم وملوك على الشعوب، وأن الوعد منصرف إلى إسماعيل وإسحق - عليهما السلام - ولكراهية اليهود لأبناء إسماعيل؛ ادعوا؛ أن النبی الآتی من بنی إسماعیل، لتبدأ به بركة إسماعیل؛ لن یأتی إلى العالم، وكانوا قد قالوا للناس من قبل سبی بابل: إن نبیا آتیا إلى العالم من آل إسماعیل؛ نحن فی انتظاره، ومن بعد سبی بابل، اجتهدوا فی إیهام الناس - لیصدوا عن سبیل الله - بأن النبی الآتی إلى العالم سیأتی منهم أنفسهم، من بنی إسرائيل. وفی سبیل تأكيد هذا الإیهام - للصد عن سبیل الله - كتبوا عنه نبوءات فی أسفار الأنبیاء بالألقاب التي كتبوها فی التوراة عن أنفسهم. لقد كتبوا عن أنفسهم: أن كل فرد فیهم «ابن الله» بالمعنی المجازی، وكل فرد فیهم «إله» بالمعنی المجازی. ومن هذه النبوءات: نبوءة فی مزامیر داود علیه السلام فیها: «إنی أخبر من جهة قضاء الرب. قال لی: أنت ابنی. الخ» أی قال الله تعالى عن النبی المنتظر: أنه ابنه.

فی هذا الكتاب: أصل نظریة «الابن» هذه وتطورها، أصلها: «ابن الله» بالمعنی المجازی. لأن الله قال عن نبی آت فی المستقبل لداود علیه السلام «أنت ابنی» على معنی أنه قریب من الله قریبا روحیا. ثم زعم اليهود العبرانیون: أن هذا الابن سیأتی من ذریة داود من سبط یهوذا، ولما جاء المسیح عیسی بن مریم علیه السلام وبین لهم: أن النبی الآتی فی المستقبل - الملقب زورا منهم بلقب «ابن الله» - سیأتی من بعده؛ تظاهر فریق من اليهود، باعتناق النصرانية، وادعوا أن «ابن الله» الآتی فی المستقبل: هو عیسی. وكتبوا ذلك فی الأصحاح الأول، من الرسالة إلى العبرانیین، ثم نقلوا لقب «ابن الله» من المعنی المجازی إلى المعنی الحقیقی، وزعموا: أن المسیح ابن حقیقی لله مولود غیر مخلوق.

وهذا إذا افترضنا صحة الترجمة. فلما الدكتور خلیل سعادة مترجم إنجیل بارنابا Barnaba ترجم النص عن الابن هكذا: «قبل كوكب الصبح فی ضیاء القديسين خلقتك» وذلك فی قول المسیح عیسی عن نبی الإسلام صلی الله علیه وسلم: «تبارك اسم الله القدوس، الذي خلق نور جمیع القديسين والأنبیاء قبل كل الأشياء لیرسله لخلاص العالم. كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا: «قبل كوكب الصبح فی ضیاء القديسين خلقتك... الخ» أی قدرت وجودك أزلا. وجود فكرة، لاوجود جسم.

وفى هذا الكتاب: أصل نظرية «الروح القدس» وتطورها: أصلها على الحقيقة: «بيراكليت الروح القدس» أى «أحمد» المصطفى من الله الطاهر، المستمد قوته منه. وحُرُفَتْ إلى «باراكليت الروح القدس» ثم إلى «المُعزَّى الروح القدس» وهى تعنى فى الأصل نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وتعنى الآن: العوض والبديل عن المسيح عيسى. إلها ثالثا نظر الكاثوليك، ومرحلة من مراحل ثلاثة لذات الله تعالى فى نظر الأرثوذكس.

وفى هذا الكتاب: الكثير من أفكار المسلمين القدامى والمعاصرين فى نقد التثليث، ونقد «قانون الإيمان» المسيحى بالذات. الذى وضعوا نصفه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ونصفه الآخر فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م ووضعوا مقدمته فى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م واختلفوا فى تفسيره فى مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م.

وفى هذا الكتاب: أن التثليث مقتبس من الديانات الوثنية البدائية القديمة.

وفيه: شبه النصارى فى ألوهية الأقاليم من أسفار الأنبياء ومن الأناجيل الأربعة المقدسة، والرد على هذه شبه. وفيه دعوى النصارى بأن القرآن الكريم صرح بعقيدة التثليث، والرد عليهم فى هذه الدعوى.

وليس ثمة شك؛ فى أن سيال سائل: لماذا صرح النصارى بعقيدة التثليث، وليس فى تورا موسى، ولا فى إنجيل عيسى ما يشير إلى هذه العقيدة من قريب أو من بعيد؟ ذلك سؤال من الأهمية بمكان، ولكن ليس من الصعب الإجابة عليه. فذلك هو الهدف من وضع هذا الكتاب. ليعلم الراسخون فى العلم معنى قول المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - لتلاميذه: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم: الآب، والابن، والروح القدس»^(١) [متى ٢٨ : ١٩]

وفى كتابنا هذا: معلومات كتبناها فى كتبنا الأخرى، كتبناها هنا؛ لتسلسل الأفكار وإيضاحها وتأكيدهما، وتركنا هنا تفسير أمور لإيضاحها فى الكتب الأخرى. ونكرر هنا ما سبق أن قلناه مع الذين بحثوا معنا فى التوراة، والإنجيل، وللإلزام اليهود والنصارى

(١) نقل نصوص التوراة والإنجيل من الكتاب المقدس للبروتستانت بمصر باللغة العربية سنة ١٩٧٠م - اطلبه من الكنائس ومكتبات النصارى. اطلب (الكتاب المقدس) العهد القديم والجديد.

بالإسلام من الكتب التى يدرسونها ويقدمونها. نقول مع مؤلف رسالة «خلاصة الترجيح للدين الصحيح»^(١) للشيخ محمد بن عبد الرحمن الطيىبى الدمشقى رحمه الله: «اعلم أولا أن جميع ما ذكر فى هذه الرسالة مبنى على إرخاء العنان للخصم، لما لا يخفى من كونه أتم فى إقناعه» وهذا هو ما يسمى بالدليل الإقناعى، وهو أن يحتج على الخصم بما هو ملّم عنده، أو هو الذى يسمى دليل الإلزام، ومعناه: ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم. وليس بلام أن يكون الذى يحتج أو يلزم؛ مسلما بما عند الخصم كل التسليم. ألا ترى القرآن الكريم يشهد بتحريف بنى إسرائيل للتوراة عمدا، تحريف ألفاظ وتحريف معانى، ومع ذلك يقول: إن فيها مع تحريفها حقا وباطلا. ويقول لبنى إسرائيل عن التوراة المتداولة: (اتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) (٢)

(و ماتوفىقى إلا بالله . عليه توكلت ، وإليه أنيب (٣))

أحمد حجازى أحمد السقا

(١) مطبوعة على هامش الجزء الثانى من إظهار الحق طبعة مصر سنة ١٣١٥ هـ.

(٢) آل عمران ٩٣

(٣) هود ٨٨

مقدمة الطبعة الثانية

إن الله تعالى لما أراد هداية الأمم إليه، فى زمان مضى؛ اختار من البشر، شعباً^(١) ليقوم بالهداية. وهذا الشعب المختار من البشر، يكون مفضلاً^(٢) على البشر بسبب أن الله اختاره. وتفضيله هو بسبب تحمله المشاق فى الدعوة، وقتاله فى سبيل الله من يصد عن سبيل الله. ومثل ذلك: مثل ملك يريد تبليغ رعيته بأوامره. فيختار من رعيته من يكون كفواً للبلاغ، فصيحاً وذكياً وذو جراءة وإقدام وأميناً. وهذا المختار من الرعية؛ يكون لقربه من الملك، مفضلاً على غيره فى السربة والمنزلة. ولو أننا فرضنا أن هذا الملك بعد طول زمان، رأى أن يبلغ رعيته بأوامر جديدة^(٣)، ورأى أن المختار السابق لن يقدر على البلاغ؛ لأن الناس قد تغيروا، والزمان قد تغير. فإنه إن اختار من الرعية رجلاً؛ فإن هذا الرجل يكون مفضلاً، كما كان السابق مفضلاً.

ينطبق هذا - ولله المثل الأعلى - على بنى إسرائيل؛ فإن الله اختارهم على علم على العالمين؛ ليهدوا الأمم إلى الله بشريعة عبده ونبيه موسى - عليه السلام - إلى أن يظهر بنو إسماعيل للهداية بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن علماء بنى إسرائيل من سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م. قعدوا عن الجهاد فى سبيل الله، وأذاعوا فى الأمم: أن الله إله لهم من دون الناس. وأنه فضلهم على العالمين، ليس لأنهم دعاة وهداة، بل لنقاء دمائهم، وصفاء عقولهم. وما كتبوه فى التوراة: «الرب إلهنا رب واحد» [تث ٦: ٤] أى هو إلههم وليس إلهاً للأمم. أنى يكون ذلك وهو الخالق لآدم وحواء؟ وأنى يكون ذلك ورحمته وسعت كل شيء؟

(١) الدخان ٣٢

(٢) البقرة ٤٧

(٣) البقرة ١٠١ وما بعدها والمراد من نسخ الآية هو نسخ شريعة التوراة بالقرآن

هذا مع مافى التوراة من نصوص تدل على أن الله إله لجميع الأمم والشعوب .
منها : «ووليك قدوس إسرائيل . إله كل الأرض يدعى» [إش ٥٤ : ٥]
وفى المزمور المئة والخامس والأربعون : «الرب حنان ورحيم . طويل الروح . وكثير
الرحمة . الرب صالح للكل ، ومراحمه على كل أعماله . يحمذك يارب كل أعمالك ،
ويباركك أتقياؤك . بمجد ملكك ينطقون ، وبجبروتك يتكلمون ؛ ليعرفوا بنى آدم قدرتك ،
ومجد جلال ملكك ، ملكك ملك كل الدهور ، وسلطانك فى كل دور فدور . الرب عاضد
كل الساقطين ، ومقوم كل المنحنيين . أعين الكل إياك تترجى ، وأنت تعطيهـم طعامهم فى
حينه ، تفتح يدك فتشبع كل حى رضى . الرب بار فى كل طرقه ورحيم فى كل
أعماله . الرب قريب لكل الذين يدعونه . الذين يدعونه بالحق . يعمل رضى
خائفه . ويسمع تضرعهم ؛ فيخلصهم ، يحفظ الرب كل محبيه ، ويهلك جميع
الاشرار» [مز ١٤٥ : ٨ : ٢٠]

ورد الله فى القرآن الكريم على علماء بنى إسرائيل دعواهم أنهم أرقى الأمم
والشعوب . بقوله : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها . كمثل الحمار يحمل أسفارا
) وفى التوراة مكتوب عنهم : «الرب تكافئون بهذا ، يا شعبا غيا غير حكيم ؟ أليس هو أباك
ومقتيك . هو عملك وأنشاك ؟» [تث ٣٢ : ٦] «إنهم أمة عديمة الراى ، ولا بصيرة فيهم»
[تث ٣٢ : ٢٨] «اسمعى أيتها السموات ، وأصغى أيتها الأرض ؛ لأن الرب يتكلم . ربيت
بنين ونشأتهم ، أما هم فعصوا على . الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه ، أما إسرائيل
فلا يعرف . شعبى لا يفهم . ويل للامة الخاطئة ، الشعب الثقيل الإثم . نسل فاعلى الشر :
أولاد مفسدين ، تركوا الرب ، استهانوا بقدوس إسرائيل ، ارتدوا إلى وراء . . .» [إش ١ :
[٤

والأُمم والشعوب. إِمّا مع الله، وإِمّا مع الشيطان، فالذين مع الله. يُطلق عليهم - فى لسان بنى إسرائيل - أنهم «أبناء الله» والذين هم مع الشيطان. يطلق عليهم - فى لسانهم - أنهم «أبناء إبليس» أو «أبناء الشيطان» ليس على معنى أن الله اتخذ صاحبة من جنسه أو من غير جنسه وأنجب منها أبناء. كما ينجب الرجل من المرأة. فإن أهل الكتاب جميعاً يعتقدون أن الله لم يلد ولم يولد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وإنما هم يعنون بأولاد الله: أنهم هم المؤمنون به، والسائرون فى نوره، والطلابون رزقه، والمستمعون رحمته فى الدنيا وفى الآخرة. وفى سفر التثنية: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤ : ١] وفى سفر الزبور: «أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العلىّ كلكم، لكن مثل الناس تموتون» [مز ٨٢ : ٦ - ٧] أى أنتم سادة على أتباع الشيطان. وأنتم المؤمنون به. وفى إنجيل يوحنا: «وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. أى المؤمنون باسمه» [يو ١ : ١٢] وعمل معجزات^(١) أمام العلماء؛ ليعلموا أنه رسول من الله.

(١) جاء فى إنجيل الطفولية من معجزات عيسى عليه السلام:

١ - «ولما صار له سبع سنين؛ كان ذات يوم مع أترابه؛ يعملون أشباه دواب وحمير وبقر، من طين. وكل واحد منهم يفتخر بصناعته، ويتحن عمله. قال يَشوع: إن التماثيل التى صنعتُها أنا؛ متى أمرتها بالمسير؛ سارت. قال الصبيان: فانت إذا ابن الخالق؟
فأمرهم يشوع بالمشي؛ فإذا هم يتراخضون. وإن أمرهم بالقُصي؛ مضوا، وإن أمرهم بالعود؛ عادوا. وكذلك كان يعملُ عصافير، ويأمرها بالطيران؛ فتطير، ويأمرها بالوقوف على يديه، وبالأكل؛ فيكون ذلك كذلك. كذا الدواب من الحمير والبقر. وكان يُحضر لهم شعيراً وتبناً، وكانوا يأكلون ويشربون. ومضى أولئك الصبيان. فأخبروا آباءهم. فحذروهم منه، وقالوا: إياكم أن تلاعبوه، أو تخالطوه؛ فإنه ساحر. فاجتنبوه، وتركوا مخالطته»

ب - «وجدنا فى كتاب ليوسيفُوس. رئيس الكهنة، الذى كان على عهد المسيح - وقد قال الناس: إنه قَبَافَا - يقول: إن يَشوع تكلم، وهو فى المهد صَبِيّاً. حين كان له سَنَةٌ واحدة، وقال لأمّه: يا مريم...»

وشبه عيسى عليه السلام علماء بنى إسرائيل الذين خالفوه بأولاد إبليس لشبههم بهم فى البعد عن الله فقال: «لو كان الله أباكم، لكتم تحبوتنى؛ لأننى خرجت من قبل الله وأتيت. لأننى لم آت من نفسى، بل ذاك أرسلنى. لماذا لا تفهمون كلامى ؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى. أنتم من أب هو إبليس. وشهوات أياكم تريدون أن تعملوا.». [يو ٨ : ٤٢-٤٤]



وكان اليهود يطلقون على أنفسهم أنهم أبناء الله وأحباؤه. وذلك لأنهم هم القائمون بالدعوة إليه. وفيهم النبوة والكتاب. ولما حرفوا التوراة قالوا للعالم: إننا سنظل أبناء الله إلى يوم القيامة؛ فإن النبى المماثل لموسى، سيكون متاً، ولن يكون من بنى إسماعيل. والنبى المماثل لموسى كتب عنه موسى عليه السلام: «يقيم لك الرب إلهك؛ نبيا من وسطك من إخونك مثلى. له تسمعون...»

أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ماأوصيه به» [تث ١٨ : ١٥ -]

وقد عبروا عنه بلقب «ابن الله» فى المزمور الثانى لداود عليه السلام فقالوا: «إنى أخبر من جهة قضاء الرب، قال لى: أنت ابنى...»

وقد أرسل الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو ويحى عليه السلام ليظهرا لبنى إسرائيل: أنهم من بعدهما لن يكونا أبناء الله، وأن النبى الأسمى المماثل لموسى الملقب بلقب «ابن الله» لن يكون من بنى إسرائيل، بل من بنى إسماعيل؛ لأن له بركة. ولما فهموا معنى كلاميهما. اهتمروا على تحريف الكلام عن مواضعه.

وبيان ذلك:

أن اليهود لو ظهر محمد عليه السلام. فإنهم لن يؤمنوا به. إذا ماهى الفائدة التى ستعود عليهم لو جاء، وأصروا على رفضه، واستمروا على العمل بشريعة التوراة ؟ إنه لا فائدة. والنصارى إذا ظهر محمد، وآمنوا به؛ فإنهم سيكونون من الفائزين بحسن الخاتمة. فماذا

لو احتلنا عليهم من الآن بحيلة تجعلهم منا وهم لا يشعرون ؟ وتُظهر نصوص من الكتب أنهم قالوا لهم: قولوا من الآن: إن النبي الأمسى هو المسيح عيسى ابن مريم. وهو الابن. أى: اسرقوا جميع نبوءات التوراة عن النبي المماثل لموسى، وطبقوها على المسيح عيسى ابن مريم. فنكون نحن وأنتم شركاء فى هدف واحد. هو عدم الإيمان به. ثم نختلف أمام الناس. فنقول: إن هذا النبي لم يأت بعد. وإذا أتى؛ فإنه سيكون من بنى إسرائيل. وأنتم تقولون: هو قد أتى من بنى إسرائيل. وبذلك نؤكد للعالم: إنه من بنى إسرائيل. والاختلاف لا يضر؛ لأننا متفقون على هدف واحد. ثم قالوا للنصارى: نحن إذا ظهر ولم نعمل بشريعته وعملنا بالتوراة. فلن نجنى من العمل إلا التعب. فلماذا نعمل ؟ فلذلك من حين السبى فى بابل نحن نظلم الأمم. وأنتم خالفونا؛ بعدم ظلم الأمم، وبعدم العمل بالشريعة أصلا. وقد استنصر اليهود بأهل الروم على النصارى. حتى تم كل هذا. انظر إلى كلام بولس:

«هو ذا أنت تُسمى يهوديا، وتتكلم على الناموس، وتفتخر بالله، وتعرف مشيئته، وتميز الأمور المتخالفة، متعلما من الناموس، وتثق أنك قائد للعميان، ونور للذين فى الظلمة، ومهذب للأغبياء، ومعلم للأطفال، ولك صورة العلم والحق فى الناموس. فأنت إذا الذى تعلّم غيرك، ألسنت تعلم نفسك ؟ الذى تركز: أن لا يُسرق. أتسرق ؟ الذى تقول: أن لا يُزنى. أتزنى ؟ الذى تستكره الأوثان. أتسرق الهياكل ؟ » [رو ٢ : ١٧ - ٢٢].



ولما انفصل النصارى عن اليهود. بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ادعى النصارى: أنهم هم «أبناء الله» من بعد اليهود. أى الشعب المختار لهداية الأمم يسوع المسيح عوضا عن اليهود. كيف وهم طائفة من اليهود ؟ كيف وقد صرح المسيح عيسى ابن مريم بأنه لم ينقض الناموس أو الأنبياء ؟ [مت ٥ : ١٧] كيف وقد صرح بأن الشعب المختار آت من بعده ؟ انظر إلى كلام بطرس.

«وأما أنتم فجنس مختار، وكهنت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء؛ لكي تُخبروا
بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلا لم تكونوا شعبا، وأما الآن
فأنتم شعب الله، الذي كنتم غير مرحومين. وأما الآن فمرحومون.

أيها الأحباء، أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب
النفس، وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة» [١ بط ٢ : ٩ - ١١]

هذا. ومن كلام يحيى عليه السلام عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

١ - «الذي يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية؛ والذي لا يؤمن بالابن؛ لن يرى حياة بل
يمكث عليه غضب الله» [يو ٣ : ٣٦] ومن كلام عيسى عليه السلام: «لأن هذه هي مشيئة
الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن؛ ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية، وأنا أقيم في اليوم
الآخر» [يو ٦ : ٤٠] أي في آخر أيام بركة إسحق، ويده أيام بركة إسماعيل، ساقيمه
بكلامى المدون فى الإنجيل نيابة عنى.

٢ - «وفى تلك الايام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه
قد اقترب ملكوت السموات» [مت ٣ : ١ - ٢]

«من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات»
[مت ٤ : ١٧]

٣ - قال يحيى عليه السلام لعلماء بنى إسرائيل: «يا أولاد الأفاعى من أراكم أن
تهربوا من الغضب الآتى؛ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم:
لنا إبراهيم أباً؛ لأننى أقول لكم: إن الله قادر أن يُقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن
قد وُضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا؛ تقطع وتلقى فى
النار. أنا أعمدكم بماء للتوبة. ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن
أحمل جذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس وناره الذى رفشه فى يده، وسينقى بيده،

ويجمع قمحه الى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ» [مت ٣ : ٧ - ١٢]

يقول: إن الآتى من بعده، سيكون محارباً، ومنتصراً على الأعداء. وقال عيسى عليه السلام بما قال يوحنا «أجاب يسوع: إن الآيات التى يفعلها الله على يدى؛ تُظهِرُ أَنى أَتَكلم بما يريد الله، ولستُ أَحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه؛ لِأَنى لستُ أَهلاً أَن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله، الذى تسمونه مَسِيَّاً. الذى خُلِقَ قبلى، وسيأتى بعدى، وسيأتى بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية»

ومن ذلك تعلم: أن يحيى وعيسى - عليهما السلام - طبقا نبوءات التوراة عن النبى الآتى على محمد صلى الله عليه وسلم الآتى من بعدهما. وقد بين الله فى القرآن: أن أُمَّته خير أمة أخرجت للناس. وبيانه؛ سحب هو التفضيل من بنى إسرائيل إلى يوم القيامة. قال الله تعالى: يا بنى إسرائيل (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ^(١) ومن بعد مبعث محمد ص لستم خير أمة؛ لقوله: (ولو آمن أهل الكتاب) من المسلمين (لكان خيراً لهم) لأن الخيرية للمسلمين فيهم إلى يوم القيامة.

وهذا هو كتابنا فى الطبعة الثانية. على ما هو عليه من قبل، مع التصحيح والتنقيح. وزيادة. نقدمه ﴿لِىَسْتَقِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(٢)

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

بت طريف - دقهلية

١٩٩١/١/٢٥

د / أحمد حجازى أحمد السقّا

(١) آل عمران ١١٠

(٢) المدثر ٣١

الفصل الأول فى أقنوم للأب

يقول الأنبا أثناسيوس . أسقف بنى سوف والبهنسا :

«كلمة أقنوم المستعملة فى العربية ؛ كلمة سريانية معناها : شخص أساسى ، أو شخص رئيسى ، وهى قريبة من الكلمة اليونانية NOMOS ومعناها : قانون ، ولذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ «شخص» لأن المقصود فى التثليث بالأقنوم : كيان ذاتى ، أو فى الذات (١)»

وكلمة «الأب» بمد الهمزة ونطق الباء مخففة ؛ هى كلمة عبرانية تساوى كلمة «الأب» بهمزة مفتوحة فى اللغة العربية . وبنو إسرائيل كانوا يطلقون على الله اسم «إلوهيم» واسم «أهوه» أو «يهوه» واسم «إدوناي» واسم «إيل» ثم قالوا : إنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الله أبوهم ، بالمعنى المجازى . ولما ترجم الإنجيل إلى اللغة اليونانية . وضعوا كلمة الأب العبرانية كما هى . تدل على ذات الله تعالى .

وفى هذا الفصل نذكر بإيجاز حقيقة «الله» تعالى فى التوراة والإنجيل . من أول معرفة بنى إسرائيل له باسم «إلوهيم» إلى معرفتهم له باسم «الأب»



كان الأب الأول لليهود هو إبراهيم النبى - عليه السلام - وقد نشأ فى قريه تسمى «أور» من بلاد العراق ، وكانت «أور» مدينة قديمة أنشئت منذ نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، وكان أهلها فى عهد إبراهيم وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم ، ولاسيما «القمر»

(١) ص ٤٣ دراسات فى الكتاب المقدس - إنجيل يوحنا - لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سوف
رقم إيداعه فى دار الكتب المصرية ٥٣٢٩ / ١٩٧٥ م مطبعة دار العالم العربى بصر .

الذى كانوا يَعدونه إلهًا. ويسمونه «نار» ويقولون: إن له زوجة. اسمها ننجال^(١) ودعا إبراهيم إلى عبادة «الله» وحده، لاشريك له، ثم هاجر مضطهدًا من قومه إلى أرض «فلسطين» بسبب الدعوة، وفيها فى مدينة «القدس» - أورشليم - وجد رجلا يسمى «ملكى صادق» كان يؤمن بوجود الله ووحدانيته. تقول التوراة: «وملكى صادق، ملك شاليم، أخرج خبزا وخمرا، وكان كاهنا لله العلى، وباركه، وقال: مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك» [تكوين ١٤ : ١٨ - ٢٠ (٢)]

ودعا إبراهيم فى أرض «فلسطين» كما دعا فى «أور» من قبل، ففى التوراة: «فقال أبرام للملك سدوم : رفعت يدى إلى الرب الإله العلى، مالك السماء والأرض» [تكوين ١٤ : ٢٢] وتقول التوراة: إن الله تعالى قال لإبراهيم: «أنا الله القدير، سر أمامى، وكن كاملا. فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا. فسقط أبرام على وجهه، وتكلم الله معه قائلا: أما أنا فهو ذا عهدى معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك بعد أبرام^(٣). بل يكون إبراهيم» [تكوين ١ : ١ - ٥]

وورث إسماعيل وإسحق - عليهما السلام - عن أبيهما إبراهيم معرفة «الله» وكذلك ورث يعقوب بن إسحق - عليه السلام - ثم جاء موسى بن عمران، بن قهات بن لاوى بن يعقوب. وأعطاه الله التوراة (موعظة وتفصيلا لكل شيء) وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة «الله» وحده، لاشريك له.

(١) ص ٣ وص ٢١٨ ج ٨ تاريخ الأقباط - زكى شنودة - مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٧٤م. وانظر سفر يشوع ٢٤: ٢ و ١٤.

(٢) لاحظ: أن ما قبل النقطتين هو رقم الأصحاح (الفصل) وما بعد النقطتين هو رقم الآية. والشرطة = إلى.

(٣) أبرام: أى الاب الرفيع المقام. إبراهيم: أى أبو الشعب (ص ٢٢٠ ج ٨ تاريخ الأقباط)

١ - وأول اسم لله تعالى في التوراة : هو «إلوهيم» وترجم في العربية «الله» كما جاء في الأصحاح الأول من سفر التكوين، وورد في الزبور لداود عليه السلام، في المزامير من ٤٢ إلى ٧ ولذلك سميت: «مزامير إلوهيم» وهو لفظ في صيغة الجمع باللغة العبرانية يدل على المعظم نفسه، كما يفعل الملوك عادة، عندما يتحدثون عن أنفسهم. وتدل «إلوهيم» على الإله الذي يخضع له كل بشر، وكل شيء.

٢ - ثم ورد بعد ذلك في سفر الخروج اسم آخر لله، هو «أهوه» أو «يهوه»^(١) ومعناها «الموجود» أو «الكائن» أو «الذي كان» لأنه مشتق من اللفظ العبراني «هيه» أو «هوه» الذي يفيد الوجود. وترجم في اللغة العربية: «الرب» أو «الله» جاء في سفر الخروج: «فقال موسى لله: ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم؟ إله آبائكم أرسلنى إليكم، فإذا قالوا لى: ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟» فقال الله لموسى: أهيه الذى أهيه، وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل: أهيه أرسلنى إليكم. وقال الله أيضا لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل: يَهُوه إله آبائكم. إله إبراهيم. وإله إسحق وإله يعقوب؛ أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد [خروج ٣: ١٣ - ١٥]

٣ - ثم بعد ذلك ورد «إدوناي» وترجم في العربية «السيد» وقد يُترجم: «الرب» وقد جاء في الزبور عن إدوناي قول داود عليه السلام: «قال الرب لىدى»^(٢): اجلس عن يمينى، حتى أصع أعداءك موطننا لقديمك» وتنطق بالعبرانية هكذا: «ننيم يهوفا لادونى. شب إيمينى. الخ» [مزمو ١١٠: ١]

٤ - ثم بعد ذلك نجد كلمة «إيل» تشير إلى الله - تعالى - وكثيرا ماتستعمل مع صفة من صفات الله مثل: «إيل عليون» كما جاء في الأصل العبراني . أى الله العلى. و «إيل شدد» أى الله القدير [نك ٣٥: ١١] وكان العبرانيون يضيفون لفظ «إيل» أحيانا في

(١) أحدهما ينطق «يهوفا» وأحيانا ينطق «يهوفا»

(٢) يشير داود بكلمة سيدى. إلى محمد رسول الله ﷺ يريد أن يقول: قل الله تعالى سيد داود بنى ماضيك على أعدائك وسيد داود يبعث أن يكون من غير أولاده، ينبغى أن يكون من ذرية قوم آخرين . لأنه لو كان من سبط داود، فكيف يكون لابن. سيدا لأبيه ؟ وسبئي بيان هذا .

آخر الاسم. فيقولون: «إسرائيل» أى الذى جاهد مع الله [تك ٣٢ : ٢٨] و «جبرائيل» أى رجل الله [دانيال ٨ : ١٦ - ٢]

ولفظ «إلوهيم» يذن على التوراة علم أن الله تعالى: «رب العالمين» رب بنى إسرائيل وغيرهم، وهو الذى به دعا إبراهيم الناس. وبه فى الأصل دعا موسى. ثم إنه فى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد رأى اليهود أن يجعلوا شريعة التوراة لهم وحدهم، لا للأمم. والله لهم وحدهم، لا للأمم. وصاغوا التوراة على هذا رأى. فكتبوا: أن موسى قال لهم: «مثلكم يكون مثل الغريب أمام الرب. شريعة واحدة، وحكم واحد؛ يكون لكم» وفروا الغريب بالساكن بينهم فقط «أيتها الجماعة. لكم وللغريب النازل عنكم؛ فريضة واحدة دهرية فى أجيالكم.... الخ» [عدد ١٥ : ١٥ - ١٦]

* * *

وقد رأوا أيضا أن يتحدثوا عن أنفسهم بأنهم شعب الله، الذى اختارهم - على علم - على العالمين. وأنهم أبناء الله بأحباؤه. فأطلقوا على الله؛ لقب «الأب» وأطلقوا على أنفسهم لقب «الأبناء» وكتبوا فى توراة موسى عليه السلام: أن الله خاطبهم بقوله: «أنتم أولاد للرب إلهكم. لانخمشوا أجسامكم، ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم؛ لأجل ميت. لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك أنرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» [تثنية ١٤ : ١ - ٢]

ولما كانوا فى نظر أنفسهم «شعبا خاصا فوق جميع الشعوب» فقد رأوا أن يطلقوا على أنفسهم لقب «الآلهة» أى السادة. وكتبوا: أن الله خاطبهم بقوله: «أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العلى كلكم. لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تقطون» [مزمو ٨٢ : ٦ - ٧] وكتبوا: أن موسى عليه السلام كان إلها لفرعون مصر. وأن هرون عليه السلام كان نبيا لموسى، أى نائبا عنه، ومفسرا لتعاليمه، كتبوا: «فقال الرب لموسى: أنظر أنا جعلتك إلها لفرعون. وهرون أخوك يكون نبيك، أنت تتكلم بكل ماأمرك. وهرون أخوك يكلم فرعون؛ ليطلق بنى إسرائيل من أرضه» [خروج : ١ - ٢]

* * *

ومن يقرأ التوراة يجد فيها: أن الله واحد لاشريك له، وأنه لاشبيه له، ولم يرد أحد من الناس، ولا يقدر أحد أن يراه. ويجد فيها: إن الله لا يحده مكان ولا زمان، وأنه يعلم مافى السموات ومافى الأرض، ويجد فيها؛ أن الله متصف بكل كمال، ومتمزه عن كل نقص. وهذه آيات من التوراة أدلة على ما ذكرناه:

١ - الله واحد.

يقول موسى لبنى إسرائيل فى شخص أبيهم: «اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك، وحين تمشى فى الطريق، وحين تنام، وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك، وعلى أبوابك» [تثية ٦ : ٤ - ٩]

٢ - الله لا يرى.

يقول موسى لبنى إسرائيل: «فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام، ولكن لم تروا صورة بل صوتا... فاحتفظوا جدا لأنفسكم، فإنكم لم تروا صورة ما. يوم كلمكم الرب فى حوريب» [تثية ٤ : ١٢ و ١٥]

وجاء فى سفر إشعياء «حقا أنت إله مُحتجَب، يا إله إسرائيل» [إشعياء ٤٥ : ١٥]

٣ - لا يقدر أحد أن يرى الله.

قال موسى لله: «أرني مجدك» فقال الله له: «لا تقدر أن ترى وجهي؛ لأن الإنسان لا يراىنى، ويعيش» [خروج ٣٣ : ١٨ - ٢٠]

٤ - الله ليس كمثله شيء.

قال سليمان عليه السلام: «أيها الرب إله إسرائيل، لا إله مثلك فى السماء والأرض» [الاخبار الثانى ٦ : ١٤]

وقال موسى عليه السلام: «ليس مثل الله» [تثية ٣٤ : ٢٦]

٥ - الله موجود فى كل مكان.

يقول الله عن نفسه فى سفر إرمياء: «أَلَعَلِّىَ إله من قريب. ولست إلها من بعيد ؟ إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة. أفما أراه أنا ؟ أما أملاً أنا السموات والأرض ؟» [إرمياء ٢٣ : ٢٣ - ٢٤] ويقول سليمان عليه السلام: «أيها الرب إله إسرائيل . . . هل يسكن الله حقاً على الأرض ؟ هو ذا السموات، وسماء السموات لاتسعك» [الملوك الأول ٨ : ٢٢ : ٢٨] ويقول أيضاً: «فى كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين» [أمثال ١٥ : ٣] ويقول داود عليه السلام: «أين أذهب من روحك ؟ ومن وجهك أين أهرب ؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. إن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر؛ فهناك أيضاً تهدينى يدك، وتمسكنى يمينك. . . فقلت: إنما الظلمة تغشائى. فالليل يضىء حولى. الظلمة أيضاً لاتظلم لديك، والليل مثل النهار يضىء، كالظلمة هكذا النور» [مزمور ١٣٩ : ٧ - ١٢]

* * *

هذا عن ذات الله تعالى. وأما عن صفاته فإليك هذه الآيات:

١ - الله موجود.

يقول الله تعالى: «إنى أرفع إلى السماء يدي، وأقول: حى أنا إلى الأبد» [تثنية ٣٢ : ٤٠]

٢ - الله كامل.

يقول داود عليه السلام: «الله طريقه كامل» [مزمور ١٨ : ٣٠]

٣ - الله عالم بكل شيء.

فى سفر صموئيل: «الرب إله عليم» [١ صم ١ : ٣٠]

٤ - الله قادر على كل شىء.

يقول الله تعالى: «أنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء» [خروج ٦ : ٢]

٥ - الله عظيم.

يقول إرمياء: «لامثيل لك يارب. عظيم أنت. وعظيم اسمك فى الجبروت» [إرمياء ١٠ : ٦]

٦ - الله قدوس.

يقول الله تعالى: «إنى أنا الرب إلهكم فتقدسون، وتكونون قديسين؛ لأننى أنا قدوس» [اللاويين ١١ : ٤١]

٧ - الله بار.

«فاحص القلوب والكلى. الله البار» [مزمور ٧ : ٩]

٨ - الله صادق.

بذاتى أقسمت. خرج من فمى الصدق» [إشعياء ٤٥ : ٢٣]

٩ - الله صالح.

«احمدوا الرب لأنه صالح» [مزمور ١١٨ : ١]

١٠ - الله أمين ووفى.

«ليس الله إنسانا فيكذب... هل يقول ولايفعل، أو يتكلم ولايفى؟» [

العدد ٢٣ : ١٩]

١١ - الله رءوف رحيم.

«الرب إله رحيم رءوف. بطنى الغضب، وكثير الإحسان والوفاء» [خروج

٣٤ : ٥]

١٢ - الله جميل.

«واحدة سألت من الرب، وإياها ألتمس: أن أسكن فى بيت الرب كل أيام

حياتى. لكى أنظر إلى جمال الرب» [مزمور ٢ : ٤]

١٣ - الله هو الخالق وحده.

أول آية فى التوراة نصبا: «فى البدء خلق الله السموات والأرض»

١٤ - الله هو الخى الباقي.

«إن العلى متسلط فى مملكة الناس» [دانيال ٤ : ١٧]

١٥ - الله هو الذى يعطى ويمنع .

«إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير، وصولته وغضبه على كل من يتركه» [

عزرا ٨ : ٢٢]

١٦ - الله هو الذى يبارك ويلعن .

«قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة . فاختر الحياة لكى تحيا . أنت

ونسلك» [تثنية ٣٠ : ٢٠] .

١٧ - الله يحفظ الإنسان ويحميه .

«الله لنا ملجأ وقوة، عوناً فى الضيقات وجد شديداً . لذلك لانخشى ولو

تزعزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار» [مزمور ٤٦ : ١ - ٢]

١٨ - الله يقضى بالعدل .

«ثبت للقضاء كرسيه، وهو يقضى للمسكونة بالعدل» [مزمور ٩ : ٧ - ٨]

١٩ - الله حكيم .

«ليكن اسم الله مباركا من الأزل وإلى الأبد، لأن له الحكمة والجبروت»

[دانيال ٢ : ٢٠]

٢٠ - صفات الله ثابتة .

فى سفر ملاخى يقول الله عن نفسه «أنا الرب لا أتغير» [ملاخى ٣ : ٦]



وبعد مايننا من التوراة أن الله واحد لا شريك له، ولا يُرى ولا يقدر أحد أن يراه، وليس كمثله شيء، وهو متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، ولا يحده مكان ولا زمان . نتقل إلى نقطة أخرى . وهى كيف أعلن الله عن ذاته ؟ وكيف كشف عن حقيقته للناس ؟

تقول التوراة: إن الله أعلن عن ذاته وكشف عن حقيقته للناس عن طريق واحد من ثلاثة طرق للإعلان والكشف: الأول: الوحى . الثانى: من وراء حجاب . الثالث: إرسال الأنبياء والرسل . أما رؤية الإنسان الله، وجهها لوجه؛ فهذا مستحيل . لأن الإنسان لا يقدر

الوحي:

تقول التوراة: إن مريم أخت موسى، وهارون أخاه؛ غضبا عليه بسبب تزوجه من امرأة كوشية - أى من الحبشة - فطلب الله منهم أن يكونوا فى خيمة الاجتماع «فقال الرب حالا لموسى وهرون ومريم: اخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع؛ فخرجوا هم الثلاثة. فنزل الرب فى عمود سحب، ووقف فى باب الخيمة، ودعا هرون ومريم، فخرجا كلاهما. فقال: اسمعا كلامى: إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا أستعلن له. فى الحلم أكلمه. وأما عبدي موسى فليس هكذا. بل هو أمين فى كل بيتى. فما إلى فم، وعيانا أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين» [عدد ١٢ : ٤ - ٨]

يوضح هذا النص: أن الثلاثة لم يروا الله جهرة. بل سمعوا الصوت فى ظلل من الغمام. وأن موسى نفسه لم ير الله. لقوله: «وشبه الرب يُعاين» أى يرى مجد الله، فيتأكد من وجود الله. فيكون علمه به، منزلا منزلة رؤيته له. ويوضح النص: أن الله يعلن ذاته بواسطة الرؤيا «بالرؤيا أستعلن له، فى الحلم أكلمه»

ولما صعد موسى إلى الجبل؛ ليكلم الله بعد الأربعين يوما، تحدث الله معه من وراء حجاب «فصعد موسى إلى الجبل. فغطى السحاب الجبل، وحلّ مجد الرب على جبل سيناء، وغطاه السحاب ستة أيام. وفى اليوم السابع دُعِيَ موسى من وسط السحاب... الخ» [خروج ٢٤ : ١٥] وقال الله لموسى: اصنع تابوتا. واجعل له غطاء. وضع على الغطاء كرويين - صورة ملاكين - وَضَعَ العهد فى التابوت. وإذا أردت مخاطبتك فإني أخطبك من على الغطاء. تقول التوراة: «وتجعل الغطاء على التابوت من فوق، وفى التابوت تضع الشهادة التى أعطيك. وأنا أجتمع بك هناك، وأتكلم معك من على الغطاء، من بين الكرويين الذين على تابوت الشهادة، بكل ماأوصيك به إلى بنى إسرائيل » [خروج ٢٥ : ٢١ : ٢٢]

وبناء على ماتقدم: فإن الله لم يظهر، ولن يظهر ظهوراً مباشراً لأى إنسان فى هيئة بشرية، أثناء يقظته^(١). وقد صرح الانجيل بذلك كما صرحت التوراة. ففى إنجيل يوحنا: «الله لم يره أحد قط» [يوحنا ١ : ١٨] وفى الرسالة الأولى ليوحنا: «الله لم ينظره أحد قط» [٤ : ١٢] وفى الرسالة الأولى من بولس إلى تيموثاوس عن الله تعالى: «المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده له عدم الموت، ساكناً فى نور لا يُدنى منه، الذى لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أحد أن يراه، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية» [١ تيمو ٦ : ١٥ - ١٦]

والآيات التى جاءت فى التوراة تثبت أن الله لا يرى؛ هى آيات مُحكمات. وعلماء بنى إسرائيل يعرفون ذلك، ويعرفونه للناس من قبل ظهور النصرانية، ومن بعد ظهور الإسلام. فابن كمونة سعد بن منصور البغدادى الإسرائيلى المتوفى سنة ٦٨٣ هـ فى مدينة الحلة ببغداد يقول:

«يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسته النبى الحقيقى: أن يعرف الناس: أن لهم صناعاً واحداً حياً قادراً لاشريك له فى ملكه ولاشبيهه ولا نظير، عالماً بالسر والعلانية، لا يعزب عن علمه شيء فى السموات ولا فى الأرض. وأن من حقه أن يُطاع، وأنه قد أعدَّ السعادة لمن أطاعه، والشقاوة لمن عصاه. وأن يقرر عندهم أمر المعاد الأخرى، وأن هناك من اللذة الأبدية ماهو ملك عظيم، ومن الألم ماهو عذاب مقيم^(٢)»

وأما عن إرسال الله ملائكته للناس:

فإن التوراة تبين أن الملائكة لهم القدرة المستمدة من قدرة الله على الظهور بهيئة مرئية، والكلام بصوت مسموع، ليلغوا الإنسان مشيئة الله، ويؤدوا إليه ما أراد له الله من خير، إذا

(١) النصارى يقولون: إن الله ظهر للناس فى جسد المسيح عيسى ابن مريم. وقولهم مردود بما ذكرنا وبما سأتى .

(٢) ص ١٤ - ١٥ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث - سعد بن منصور بن كمونة - طبع جامعة كاليفورنيا باللغة العربية سنة ١٩٦٧م عنى بشره موسى بروكلمان.
واعلم: أن كلام «ابن كمونة» هذا، قد نقله بنصه من كتاب «النجاة» لابن سينا.

أحسن، وينفذوا عليه ماأراد الله له من عقاب، إذا أساء. ومن أمثلة ذلك: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك ياهاجر، لاتخافى. لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام، وشدى يدك به؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة» [تك ٢١ : ١ - ١٨]
وأيضاً: «فجاء الملاكان إلى سدوم مساء، وكان لوط جالسا فى باب سدوم... الخ» [تك ١٩ : ١]

وأما عن إرسال أنبيائه ورسله إلى الناس:

فالتوراة تقول: إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: «أما أنت فقف معى، فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التى تعلّمهم، فيعلّمونها» [تثنية ٥ : ٣١] وأن الله قال لموسى عن نبي يأتى فى المستقبل من آل إسماعيل عليه السلام: «أقيم لهم: نبيا. من وسط إخوتهم. مثلك. وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ماأوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطلبه» [التثنية ١٨ * ١٥ - ٢٢]

ومع ماقدّمنا نجد فى التوراة آيات متشابهات:

- ١ - آيات تذكر أن لله تعالى وجها وعينين وأجفانا وأذنين، وأنفا وفما وذراعا ويدا، وإصبعين ورجلين وقدمين، وأن لله قلبا وصوتا. وهكذا أعضاء كأعضاء الإنسان.
- ٢ - وآيات تنسب صفات الإنسان وأفعاله ومشاعره إلى الله. كالكر والنسيان والغضب والأسف.
- ٣ - وآيات تذكر أن الله تعالى ظهر لبعض الناس ظهورا شخسيا وتكلم معهم. فما هو تفسير ذلك ؟ لقد فسرت التوراة هذه الأمور الثلاثة، وبينت أن التشابه يُرد إلى المحكم.

فعن الأمر الثالث نقول أولا:

إن كاتب التوراة حينما يتحدث عن ظهور الله شخسيا. يُفسر ذلك فى موضع

آخر بأن الذى ظهر ليس هو الله نفسه، بل ملاك من ملائكته. مثال ذلك :

«فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان، حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضرب حق فخذه. وقال: أطلقتني؛ لأنه قد طلع الفجر. فقال: لأألفك، إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب، قال: أخبرني باسمك. فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فيثيل. قائلا: لأنني نظرت الله وجهها لوجه» [تكوين ٣٢: ٢٢ - ٣١]

هذا فى سفر التكوين. وفى سفر هُوشَع، فسر الكاتب أن «الإنسان» الذى صارع يعقوب، والذى قال عنه يعقوب: «نظرتُ الله وجهها لوجه» فسر الكاتب «الله» بملاك من الملائكة. يقول مانصه: «فى البطن قبض بعقب أخيه، وبقوته جاهد مع الله، جاهد مع الملاك، وغلب. بكى واسترحمه» [هوشع ١٢: ٣ - ٤]

* * *

وعن الأمر الأول نقول:

الآيات التى تذكر أن لله تعالى وجهها وعينين.. الخ. أى التى تنسب أعضاء الإنسان إلى الله. هذه الآيات تؤول، وتفسر بالمعنى المجازى لا بالمعنى الحقيقى. فاليد كتابة عن القدرة، والعين كتابة عن العلم، والأذن كتابة عن السمع، وهكذا. لكن لماذا عبر الله فى التوراة عن نفسه بالأعضاء التى تشبه أعضاء الإنسان وبالصفات التى تشبه صفاته؟ لأن الله أراد أن يخاطب الإنسان بصيغة يستطيع أن يفهمها، وبصورة يستطيع أن يتصورها. فتكلم عن نفسه وكأنه فى صورة الإنسان - وماهو فى صورة الإنسان. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وكأنّ له أوصاف الإنسان وصفاته، وكأنّ له مشاعر الإنسان وأفعاله. وذلك لأن الإنسان، ولاسيما فى طوره البدائى، وفى عهد سذاجته الأولى، وفى كونه عاميا. ذلك الإنسان عاجز بعقله المحدود، عن أن يدرك طبيعة الله الروحية الخالصة المجردة عن المادة، المنزهة عن الشكل والصورة، والمطلقة التى لا يحدّها زمان ولا مكان. فهو لا يستطيع أن يتصور الله إلّا فى هيئة بشرية ذات شكل وصورة وذات حدود فى الزمان وفى المكان. كما أن لغة الإنسان التى يعبر

بها عن أفكاره ومشاعره هي قاصرة عن أن تصور الله على حقيقته، أو أن نُعبر عن أوصافه وصفاته التعبير اللائق بجلاله وعظمته.

وهكذا. فإن الله - في سبيل أن يهدي الإنسان إنسيه، ليعبد، - تنازل؛ فتكلم عن نفسه، - وهو السيد الخالق - بالأسلوب الخلق بالعبد المخلوق.

* * *

وهذه أمثلة في نسبة أعضاء الإنسان إلى الله. وكيفية تأويلها:

- ١ - قال الله لموسى: «لا تقدر أن ترى وجهي» [خروج ٣٣: ١٨] المراد بالوجه: ذات الله تعالى. فالوجه يعبر به عن الجملة والذات.
- ٢ - «الرب في السماء كريم، عيناه تنظران، أجفانه تمتحن بنى آدم» [مزمور ١١: ٤ - ٥] أى أن الله يعلم ويرى.
- ٣ - «وكان الشعب كأنتهم يشكون في أذنى الرب» [عدد ١١: ١] أى أن الله سامع لشكواهم سماعاً مؤكداً.
- ٤ - «بنسمة الله يبيدون، ويريح أنفه يفتنون» [أيوب ٦ - ١٤ - ١٦] أى بكلمة منه، يكون أى شيء يريده؛ فيكون.
- ٥ - «فتكلمتَ بفمك، وأكملت بيدك» [الأخبار الثاني ٦: ١٦] تكلم بفمه عن طريق الوحي، أو الحجاب، أو إرسال رسله. وأكمل بيده: أى عمل بقدرته.
- ٦ - «فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة، وذراع رفيعة» [تثنية ٢٦: ٨] أى بقوة وقدرة.
- ٧ - وقد جاء الذراع بمعنى اليد «فإنه بيد قوية أخرجكم الرب هنا» [رو ١٣: ٣] وجاء تفسير الذراع بأنه ذراع القدرة لأذراع الجسم «يارب... لك ذراع القدرة» [مزمور ٨٩: ٨ و ١٣]
- ٨ - يقول موسى: «وأعطاني الرب لوحى الحجر المكتوبين بإصبع الله» [تثنية ٩: ١٠] أى مكتوبين بقدرة الله.

٩ - «هكذا قال الرب: السموات كرسى، والأرض عوطى قدمي» [إشعيا ٦٦:

١] المعنى:

أ - أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض؛ لبسطته وسعته، وماهر إلا تصوير لعظمته، وتخيل فقط، ولا كرسى ثمة ولا قاعد.

ب - وسع علمه. وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه، الذي هو كرسى العالم.

ج - وسع ملكه. تسمية بمكانه، الذي هو كرسى الملك^(١).

١٠ - «قد اخترت وقدست هذا البيت، ليكون اسمى فيه إلى الأبد. وتكون عيناى وقلبي هناك كل الأيام» [الأخبار الثانى ٧: ١٦] أى أكون عالما بجميع أحواله طول الزمان، وأكون شاهدا لما يجرى حوله وأكون رءوفا بالناس الذين يعيشون بجواره.

١١ - «إن الرب هو الإله، ليس آخر سواه. من السماء أسمعك صوته» [تثنية ٤: ٣٥ و ٣٩] أى من جهة العلو خاطبك بشريعته.

* * *

وعن الأمر الثانى نقول:

الآيات التى تنسب صفات الإنسان وأفعاله ومشاعره إلى الله. مثل: أن الله غضب وتأسف فى قلبه ونسى. وماشابه ذلك. هذه الآيات جاءت على سبيل المشاكلة. مشاكلة الفكر للفكر، للقرب والاستثناس. لقد قلنا: إن من صفات الله أنه مطلق لا يحدّ زمان ولا مكان، فهو من حيث الزمان أزلى أبدي، يحيا فى الماضى والحاضر والمستقبل معا، وهو من حيث المكان لانهائى، يملأ الكون كله، فهو موجود فى كل مكان، ومع ذلك فقد شاء الله أن يتحدث إلى الإنسان عن نفسه، وكأنه كالإنسان محدود فى الزمان وفى المكان.

إنه من غير الممكن أن يمضى انزمان على الله بحيث ينسى أمرا، وقع فى الماضى، ثم

(١) انظر الكشف عن حقائق التنزيل وعبود الأنبياء فى وجوه تدويل. تأليف نبى القاسم جابر لله محمود بن عمر التومخري أخوانزمى - رضى الله عنه - فى تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

يتذكره فى الحاضر، أو يحتاج إلى من يذكره به، كما هو الشأن بالنسبة للإنسان. ومع ذلك فقد جاء فى سفر التكوين: «ثم ذكر الله نوحاً» [تك ٨ : ١] وماكان قد نساء. كما أنه من غير الممكن أن يكون الله فى مكان ولا يكون فى غيره، أو أن يكون فى مكان بعينه، بحيث يكون له ماهو فوقه أو تحته، أو يكون له ماهو أمامه أو خلفه، أو أن نقول: إنه قائم هنا أو هناك، أو جالس هنا أو هناك، أو ساكن فى هذا الموضع أو ذاك، أو أنه صعد أو نزل أو دخل من هذا الموضع إلى ذاك، أو أنه اجتمع بفلان أو انصرف عن فلان، أو قاد جماعة من مكان إلى مكان. ومع ذلك فقد وردت كل هذه المعانى الخاصة بالإنسان منسوبة إلى الله.

مثال ذلك: قول داود عليه السلام: «الرب فى السماء كرسىه» [مزمر ١١ : ٤] لما كان الاستواء على العرش. وهو سرير الملك، مما يردف الملك؛ جعلوه كناية عن الملك. فقالوا؛ استوى فلان على العرش. يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة. هكذا نسب الله إلى نفسه أفعال الإنسان فى تنازل منه عز شأنه لتعليم الإنسان - كما رأينا - وهكذا أراد الله أن يكون كلامه إلى اليهود وغيرهم؛ قريبا إلى أفهامهم، فتنازل وخاطبهم باللغة التى يفهمونها، وأراد أن يكون تصويره لنفسه قريبا إلى مداركهم؛ فتنازل وأعطى لهم الصورة التى يمكنهم أن يتصوروها. لعلهم يدركون طبيعته، ويعرفون شريعته. ^(١)

* * *

وقد قلنا من قبل: إن شريعة التوراة كانت لبنى إسرائيل وللأمم. ولكن اليهود من أيام سبى «نبوخذ ناصّر» ملك بابل، جعلوها شريعة لهم، وللغرباء الساكنين بينهم. واعتبروا الله - عز وجل - إلها لهم وحدهم، وللغرباء بينهم. وهنا نبين مايلى:

يقول الدكتور فيليب حتّى، والدكتور إدوارد جرجى، والدكتور جبرائيل جبّور.

(١) ذلك هو المكتوب فى كتب اسبينوزا، وموسى بن ميمون، وابن كرمونه. ويقول به النصرى، وأما الفريسيون من اليهود. فإنهم يقولون: لله يد، بلا تشبيه. وله جسم، بلا تمثيل. ومتمنى على العرش بذاته، وهو فى الأرض يعلمه. وقد رد عليهم المسيح فى إنجيل برنابا، وصرح بالتأويل فى آيات 'لصفات'.

مؤلفو تاريخ العرب المطول: «وفى أيام نحميا [٢ : ١٩ ، ٤ : ٧] فى متوسط القرن الخامس قبل الميلاد، كان اليهود قد أخذوا يحسبون جيرانهم الذين يسكنون الجنوب الشرقى منهم أعداء لهم. وهذا يفسّر لنا سر قصر اليهود الدعوة على جنسهم، واستبعاد الأمم من الدخول فى دينهم، ومنهم العرب أيام عزّرا ونحميا»^(١)

ويخاطب بولس أهل رومية بقوله: «فماذا نقول ؟ أَلعل عند الله ظلما. حاشا. لأنه يقول لموسى: أئى أرحم من أرحم، وأتراءف على من أتراءف»^(٢) إنه يستدل من تورا موسى: على أن الله ليس ربا لليهود وحدهم . بل للناس جميعا. لأن كلمة «مَنْ» للعموم. ويقول بولس: إن هو شع فى سفره، صرّح بأن الله رب العالمين «كما يقول فى هوشع أيضا: سادعو الذى ليس شعبى؛ شعبى. والتى ليست محبوبة؛ محبوبة. ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه: لستم شعبى؛ أنه هناك؛ يدعون أبناء الله الحى» ويقول بولس أيضا: «لأنه لافرق بين اليهودى واليونانى؛ لأن ربا واحدا للجميع، غنيا لجميع الذين يدعون به... الخ» [رومية ٩ و ١٠]

وبعد ما قصرُوا شريعة الله على أنفسهم، والذى يسكن بينهم؛ بينوا أن الله إله لهم، وليس لكل الناس. فى عبارات من التورا. وتركوا فى التورا مع ذلك عبارات تشير إلى أن الشريعة للناس جميعا وإلى أن الله رب العالمين؛ ليكونوا مستعدين لآى احتمال (يحرفون الكلم من بعد مواضعه، يقولون: إن أوتيتم هذا؛ فخذوه، وإن لم تؤتوه؛ فاحذروا^(٣))

(١) ص ٥٠ تاريخ العرب المطول - دار الكشاف فى بيروت سنة ١٩٥٨م.

(٢) الخروج ٣٣ : ١٨ - ١٩ .

(٣) المائدة ٤١

لقد كتبوا عن الله :

١ - الله هو إله اليهود

«وقال يعقوب ياإله أبى إبراهيم، وإله أبى إسحق» [تكوين ٣٢ : ٩]

«وقال الله أيضا لموسى: تدخل أنت وشيوخ بنى إسرائيل إلى ملك مصر، وتقولون

له: الرب إله العبرانيين قد التقانا» [خروج ٣ : ١٥ - ١٨]

٢ - الله هو قائد اليهود

«ماأحلى مساكنك يارب الجنود، يارب إله الجنود اسمع صلاتى، يارب الجنود طوبى

للإنسان المتكل عليك» [مزمور ٨٤]

٣ - الله هو ملك اليهود

«قدوس إسرائيل ملكنا» [مزمور ٨٩ : ١٨]

٤ - الله هو مشرع لليهود

«نزل الرب على جبل سيناء... ودعا الله موسى إلى رأس الجبل... ثم تكلم الله

بجميع هذه الكلمات قائلا... هكذا تقول لبنى إسرائيل» [خروج ١٩ : ٢٠ /

٢٠ : ٢٢]

٥ - الله هو قاضى اليهود

«الرب قاضينا» [إشعياء ٣٣ : ٣٢]

ولما كان الله فى التوراة - كما كتبوا - هو إله لليهود وحدهم . فاليهود فيها هم

وحدهم شعب الله المختار دون غيرهم من شعوب الأرض، وقد ميزهم من سائر الشعوب، لا

لتبليغ شريعته إلى الناس - كما هو الحق - بل لبقاء دمهم، وصفاء قلوبهم. وأحبهم كما

يحب الأب ابنه البكر. إذ جاء فى سفر الخروج: «قال الرب لموسى: تقول لفرعون هكذا

يقول الرب: إسرائيل^(١) ابنى البكر. فقلت لك: أطلق ابنى؛ ليعبدنى، فأبيت أن تطلقه. ها

أنا أقتل ابنك البكر» [خروج ٤ : ٢١ - ٢٣] أى أن بنى إسرائيل جميعا هم أولاد الله، وأن

(١) يعنى: بنى اسرائيل.

جميع المصريين هم أولاد فرعون. والتوراة لاتقول بذلك على المعنى الحقيقى. وهو الولادة الطبيعية، بل على المعنى المجازى. أى أن الله يحبّ بنى إسرائيل، كما يحب الرجل ابنه البكر. ولما كان قتل الابن البكر أمرا صعبا على الأب؛ فإن من الصعوبة على المصريين قتلُ الله لكل بكرٍ لرجل مصرى. ولهذه الصعوبة يجب عليهم أن يحملوا فرعون على أن يأذن لبنى إسرائيل بالخروج من مصر.

وتكرر فى التوراة على هذا النحو إطلاق لقب «الأب» الذى هو بالعبرانية واليونانية «الأب» على الله تعالى. وتكرر لقب «ابن الله» على كل فرد من بنى إسرائيل سواء كان صالحا أو فاسدا عالما أو جاهلا. غنيا أو فقيرا، حاكما أو محكوما.

فى سفر إشعياء يخاطب اليهود ربهم قائلين: «فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يارب أبونا» [إشعياء ٦٣ : ١٦] وقد كلم الله داود عن سليمان فقال: «أنا أكون له أباً، وهو يكون لى ابناً» [صموئيل الثانى ٧ : ١٤] ويقول الله عن يعقوب على لسان إرمياء: «صرت لإسرائيل أباً» [إرمياء ٣١ : ٩] ويقول موسى لليهود: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تثنية ١٤ : ١] ويقول موسى مويخا لليهود على سوء سلوكهم: «الرب تكافئون بهذا، ياشعبا غيبا غير حكيم ؟ أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشاك ؟» [تثنية ٣٢ : ٦]

* * *

واقترضت مشيئة الله - عز وجل - أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين، واقترضت مشيئته أن يرسل الرسل يتحدثون بلغة أقوامهم. ليبينوا لهم مايريده الله منهم. كما جاء فى القرآن الكريم: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، ليبين لهم ^(١)) أى ليفقهوا عنه مايدعوهم إليه، فلا يكون لهم حجة على الله، ولايقولون لم نفهم ماخوطينا به. ومن هؤلاء الرسل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أرسله الله رسولا إلى بنى إسرائيل متحدثا بلغتهم،

(١) إبراهيم ٤

مخاطبا بما يالفون ويفقهون ويعرفون. وكانت مهمته تتلخص فى أمرين اثنين: الأمر الأول: كونه مصدقا لما بين يديه من التوراة^(١) غير مهيمن. والأمر الثانى: كونه مبشرا برسول من بعده اسمه «أحمد» صلى الله عليه وسلم.

لقد ظهر المسيح. واليهود يدعون أن التوراة ليست للعالمين، فوبخهم قائلا: «ويل لكم أيها الناموسيون^(٢) لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. مداخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم» [لوقا ١١: ٥٢]

وظهر المسيح. وهم يتحدثون عن الله باسم الله. فتحدث عن الله باسمه العظيم. كما تحدثوا. ومن ذلك قوله لتلاميذه: «قد كلمتكم بهذا، لكى لاتعشروا، سيخرجونكم من المجمع، بل تأتى ساعة. فيها يظن كل من يقتلكم: أنه يقدم خدمة لله» [يوحنا ١٦: ١ - ٢]

وظهر المسيح. وهم يؤمنون بالله الواحد الذى تحدث عنه التوراة. فتحدث معهم عنه. ففى إنجيل مرقس: «فجاء واحد من الكتب وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسنا. سأل: أية وصية هى أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هى: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هى الوصية الأولى. وثانية مثلها: هى تحب قريبك كنفك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. فقال له الكاتب: جيدا يا معلم. بالحق قلت. لأنه الله واحد، وليس آخر سواه. ومحبه من كل القلب، ومن كل الفهم، ومن كل النفس، ومن كل القدرة. ومحبة القريب كالنفس. هى أفضل من جميع المحركات،

(١) المسيح مصدق لما بين يديه من التوراة، ونبى الإسلام مصدق لما بين يديه من التوراة، والفرق بينهما: أن المسيح مصدق فقط. أما نبى الإسلام فمصدق ومهيم. والمهيم من حقه النسخ، وكان المسيح يحل بعض ما حرمه العلماء على الناس من تلقاء أنفسهم.

وكانت التوراة الحالية المتداولة توراة موسى متشرة فى العالم من بعد سنة ٥٨٦ ق. م وبالتحديد من القرن الثالث قبل الميلاد (انظر كتابنا: نقد التوراة).

(٢) الناموس هو التوراة. وقد صرح المسيح بأنه مصدق لها فى قوله: «لا تظنوا انى جئت لآنقض الناموس» [متى ٥: ١٧]

والذبايح . فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل ، قال له : لست بعيدا عن ملكوت الله » [مرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٤]

وظهر المسيح . وهم يتحدثون عن الله بلقب «الآب» فقال لتلاميذه : «فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات الخ [متى ٦ : ٩]

وظهر المسيح . وهم إذا تحدثوا عن الله بلقب «الآب» بدون إضافة ، يقولون : «الآب» فتحدث معهم ، وقال لتلاميذه : «وسيفعلون هذا بكم ؛ لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى . لكنى قد كلمتكم بهذا ، حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم . ولم أقل لكم من البداية ؛ لأنى كنت معكم . وأما الآن فانا ماض إلى الذى أرسلنى » [يوحنا ١٦ : ٣ - ٥] «أيها الآب البار . إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك ، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى » [يوحنا ١ : ٢٥]

ولما كانت التوراة قد عبرت عن جميع بنى إسرائيل بأنهم أولاد لله «أنتم أولاد للرب إلهكم» [التثنية ١٤ : ١] والمسيح من بنى إسرائيل من نسل هرون من جهة الأم . فإنه بحسب الشريعة ابن لله بالمعنى المجازى^(١) . وتلاميذه أبناء أيضا لله . وهم أخوة بعضهم لبعض ؛ لأن أباهم واحد . كما تقول التوراة : «أليس أب واحد لكلنا ؟ أليس إله واحد خلقنا ؟» [ملاخى ٢ : ١٠]

لما كان الأمر كذلك . فإنه بمقتضى الشريعة ، وعلى وفق عادة بنى إسرائيل ولسانهم قال المسيح عن الله تعالى : إنه أبوه . بالمعنى المجازى ، وأن التلاميذ كلهم إخوة له . يقول يوحنا عن مريم المجدلية :

«قال لها يسوع : يا مريم . فالتفتت تلك ، وقالت له : ربونى . الذى تفسيره : يا معلم . قال لها يسوع : لاتلمسينى . لأنى لم أصعد بعد إلى أبى . ولكن اذهبنى إلى إخوتى ، وقولى لهم : إنى أصعد إلى أبى وأيكم ، وإلهى وإلهكم» [يوحنا ٢٠ : ١٦ - ١٧]

(١) كما يقول التلميذ لشيخه : يا أبى ، وكما يقول الشيخ لتلميذه : يا بنى ، وكما يقول الناس : هذا أخ فى الله . وكما نقول : الفقراء عيال الله ، والأغنياء وكلاء الله .

انظر . لقد نادته مريم بلقب «ربونى» أى المعلم . كما فسرهُ يوحنا . وهذا يعنى أن المسيح فى نظر أتباعه «ربى» كواحد من الربانيين ، الذين كانوا يعلمون الكتاب ويدرسونه للناس .

وقد اعترف بأن التلاميذ كلهم إخوة ، واعترف بأنه كآى فرد من أفراد بنى إسرائيل يتحدث عن الله بقوله : «أبى وأبيكم . وإلهى وإلهكم» كما حكى الله عنه فى القرآن الكريم : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١)

الفصل الثانى

فى

أقنوم الابن

لما ثار إبراهيم النبى - عليه السلام - على قومه؛ لعبادتهم الأصنام من دون الله، أرادوا به كيدا؛ فأمره الله باعترالهم، وخاطبه بقوله. كما جاء فى التوراة:

«اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض، التى أُرِيكَ؛ فأجعلك أمة عظيمة. وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركك، ولاعنك ألعنه، وتبارك فيك جميع قبائل الأرض» [تكوين ١٢ : ١ - ٣] ولقد اعتزلهم إلى أرض «فلسطين» الأرض التى بارك الله فيها للعالمين. وفيها رزقه الله على الكبر «إسماعيل» و«إسحق» ولقد شاءت إرادة الله أن يتزوج إبراهيم من مصرية تسمى «هاجر» وأن تهرب من وجه سارة؛ فيقابلها ملاك الله، ويخاطبها بقوله: «هأنت حبلى فتلدن ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل. لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن» [تك ١٦]. وكان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة لما ولدت إسماعيل هاجر.



- ولما كان إبراهيم فى سن التاسعة والتسعين؛ تكلم الله معه بهذه الكلمات:
- ١ - «إنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما. وملوك منك. يخرجون»
 - ٢ - وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك لاتدعوا اسمها ساراي. بل اسمها سارة، وأباركها. وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها. فتكون أمما. وملوك شعوب منها يكونون»
 - ٣ - «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك؟ فقال الله: وأما إسماعيل

فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أباركه . وأثمره . وأكثره ، كثيرا جدا ، اثني عشر رئيساً يلد ،
وأجعله أمة كبيرة» [تكوين ١٧]

لقد . وعد الله إبراهيم بمباركة الأمم فى نسله ، أى يكون من نسله أمم وملوك
على الشعوب يحكمون بشريعة الله . وكما وعده بالبركة فى نسل سارة ؛ وعده بالبركة
فى نسل هاجر .



ولما حضر يعقوب الموت وصى بنيه بالإسلام ، وذكرهم ببركة الأمم فى نسل
إسماعيل ، كما ستتحقق فى بنى إسحق . وأن شريعة الله ستنتقل إلى بنى إسماعيل ؛
ليحكموا الناس بالحق وبالعدل .

لقد قال لبيه جميعا فى شخص يهوذا ابنه : «لايزول قضيب من يهوذا ،
ومشترع من بين رجله ، حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب» [تكوين
٤٩ : ١٠]

والمعنى : لايزول الملك من بنى إسرائيل . ولاتنسخ شريعتهم - شريعة التوراة -
حتى يأتى نبي الأمان .



وتحدث موسى عن أوصاف عشرة للنبي الآتى من بنى إسماعيل . لتبدأ به بركة
الأمم فى نسل إسماعيل . فقال : «يُقيم لك الرب إلهك : نبيا . من وسطك . من
إخوتك . مثلى . له تسمعون . . الخ» ولو كان هذا النبي الآتى ماثلا لموسى من بنى
إسرائيل . ماكان موسى يعبر عنه بقوله : «من إخوتك» بل كان يقول : منك . ولو أنه هو
من بنى إسرائيل فمتى تتحقق بركة الأمم فى نسل إسماعيل ؟ هذه البركة التى أكدها
الملاك لهاجر ، والتى أكدها الله لإبراهيم .

وهذا هو نص الأوصاف العشرة :

«يقيم لك الرب إلهك : نبيا . من وسطك . من إخوتك . مثلى . له تسمعون . .

أقيم لهم: نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ماأوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أطلبه. وأما النبي الذي يُطغى فيتكلم باسمي كلاما. ثم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ^(١) ذلك النبي.

وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدث، ولم يصر؛ فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي؛ فلا تخف منه» [ثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢]

١ - نبي «أقيم لهم نبيا»

٢ - من بنى إسماعيل «من وسط إخوتهم»

٣ - مثل موسى في المعجزات، والانتصار على الأعداء في الحروب، والملك على قومه وعلى الأمم والشعوب «مثلك» [انظر الثنية ٣٤ : ١٠ - ١٢]

٤ - أُمى لا يقرأ ولا يكتب «وأجعل كلامي في فمه»

٥ - ينسخ شريعة موسى «له تسمعون»

٦ - أمين على الوحي الإلهي «فيكلمهم بكل ماأوصيه به»

٧ - يقضى على ملك بنى إسرائيل في أرض فلسطين، والعالم «ويكون أن الإنسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أطلبه» أى أنا أنتقم من الذين لايتبعوه، وأبيدهم من أرضهم - كما فسرهما بطرس في الأصحاح الثالث من سفر الأعمال -

٨ - يكون ملكا على اليهود، وعلى الأمم والشعوب؛ لقوله: له تسمعون»

٩ - لا يقتل بيد أعدائه «وأما النبي الذي يُطغى... الخ»

١٠ - يتحدث عن غيب يقع في المستقبل، ويحدث الغيب كما قال «وإن قلت في قلبك... الخ»

(١) في ترجمة اليعوعين: «فيقتل» بدل فيموت.

ومن هذا النص أخذ اليهود لقب «المسيح» أى «المسيح» يقول الأنبا أنثاسيوس:

«كان موسى النبى قد قال لليهود: «يُقيم لك الرب إلهك: نبيا، من وسطك، من إخوانك، مثلى، له تسمعون» [ث ١٨ : ١٥] وقد كان المفهوم المباشر لهذه النبوءة : أنها عن «يشوع» الذى جاء بعد موسى. ولكن اليهود فهموها دائما أنها عن نبى من نوع آخر، يقيم عهدا جديدا معهم هو عهد المَسِيَّا (١)». أ. هـ.

وكثيرون من علماء اليهود الذين أسلموا، وكذلك علماء النصارى. اعترفوا بأن هذا النص يُشير إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير من علماء المسلمين الذين كتبوا فى علم مقارنة الأديان. قالوا: إن هذه النبوءة هى التى يُشير إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى: (النبى الامى، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل (٢)) وعلى قول هؤلاء جميعا. فإنه إذا كانت فكرة المَسِيَّا العالمية مأخوذة من هذا النص وهو: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا.. الخ» فإن المَسِيَّا يكون هو محمد رسول الله ﷺ (٣).

ولما كان الله يعلم ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنه أنبا يظهر الغيب: أن بنى إسرائيل لن يقوموا بالملك والشرعية خير قيام. ومن أجل ذلك سيغيظهم الله بسلب الملك منهم والشرعية إلى أمة أخرى. ولا يمكن أن تكون هذه الأمة الأخرى غير بنى إسماعيل (٤) لأن الله وعد بمباركة الأمم فيهم. يقول تعالى: «هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فانا أغيرهم بما ليس شعبا، بأمة غيبة أغيظهم» [ثنية ٣٢ : ٢١]



(١) ص ١١٨ تفسير يوحنا للأنبا أنثاسيوس.

(٢) الأعراف ١٥٧

(٣) انظر: تفسير فخر الدين الرازى فى أوائل البقرة. وانظر تفسير المنار فى الأعراف.

(٤) النصارى يقولون: إن هذه الأمة الغيبة هى أمة اليونان وسائر الأمم من غير اليهود { انظر رسالة

بولس إلى أهل رومية ١٠ : ١٩ }

وفى نهاية حياة موسى عليه السلام يؤكد على بركة الأمم فى نسل إبراهيم ويفصلها تفصيلا. فيقول: إن لبني إسحق بركة، ولبنى إسماعيل بركة مضاعفة. وينقل عنه كاتب التوراة مانصه:

«وهذه هى البركة، التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء. وأشرق لهم من سعين. وتلألا من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يستقبلون من أقوالك» [تثنية ٣٣: ١ - ٣] إنه أشار بالتلألؤ من جبل فاران إلى مكان سكنى إسماعيل، الذى حددته التوراة عقب قول الله لهاجر: «قومي احملى الغلام، وشدى يدك به. لأننى سأجعله أمة عظيمة... وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن فى البرية، وكان ينمو رامى قوس، وسكن فى بركة فاران» [تكوين ٢١] وعبر بالتلألؤ الذى يفيد الضياء الشديد؛ لأن إسماعيل هو الإبن البكر لإبراهيم، والابن البكر يرث من الأب ضعف نصيب الابن غير البكر فى شريعة بنى إسرائيل [تث ٢١: ١٥ - ١٧]



هذه هى النصوص التى وضعها كاتب توراة موسى عن محمد رسول الله نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، الذى جاء من نسل إسماعيل؛ لتبدأ به بركة الأمم، فى نسله. ولاشك أنها غير النصوص الأصلية من قبل أن تغير التوراة فى «بابل» بدليل: أن كثيرا من علماء اليهود الذين أسلموا، والذين لم يُسلموا قد اعترفوا بأن اسم «محمد» موضوع بدله «بإدماد» و «الجوى جدول» بحساب الجُمَّل. فلماذا كل هذا؟ إلا أن يكون غرضهم هو لبس الحق بالباطل.

$$\begin{aligned} \text{ب} &= ٢ - \text{م} = ٤٠ - \text{أ} = ١ - \text{د} = ٤ - \text{م} = ٤٠ - \text{أ} = ١ - \text{د} = ٤ - \text{م} \\ ٩٢ &= \text{م} = ٤٠ - \text{ح} = ٨ - \text{م} = ٤٠ - \text{د} = ٤ - \text{المجموع} \quad ٩٢ \\ \text{ل} &= ٣٠ - \text{ج} = ٣ - \text{و} = ٦ - \text{ى} = ١٠ - \text{ج} = ٣ - \text{د} = ٤ - \text{و} = ٦ - \text{ل} \end{aligned}$$

ويقول اليهود: إن النبي الذى تحدث عنه موسى ووصفه بالأوصاف العشرة إلى الآن لم يأت. وإذا أتى؛ فإنه سيكون من بنى إسرائيل^(٢) لا من بنى إسماعيل.

وعلى قولهم هذا: أ - أعطوه الألقاب التى أعطوها لأنفسهم. ب - وأكدوا للعالم أجمع: أن النبي المنتظر سيكون منهم لا من غيرهم. وذلك ليخفوا الحقيقة تمام الإخفاء كراهية لأبناء إسماعيل من جهة، وتعصبا لجنسهم من جهة أخرى.

كان من عاداتهم أن يعطوا لقب «مَسِيًّا» = «مسيح» لمن كان: ١ - ملكا ٢ - أو عالما دينيا ٣ - أو نبيا. دلالة على أنه معين من الله ومكرم منه. فقالوا: إن النبي الذى نتظره. لأنه آت منا، سوف يُلقب بلقب «مَسِيًّا» كما تُلقب الملوك والعلماء والأنبياء. وَمَسِيًّا تُنطق بفتح الميم وكسر السين وتشديد الياء مفتوحة. وكان من عاداتهم أن يعطوا لقب «ابن الله» - أى ولى الله وحبيبه - لأى فرد فيهم. سواء كان صالحا، أو غير صالح. فقالوا: إن النبي الذى نتظره؛ لأنه آت منا، سوف يُلقب بلقب «ابن الله» كما يُلقب شعبنا المختار. وكان من عاداتهم أن يعطوا لقب «ملك» أى سيد ورئيس. لأى فرد فيهم. سواء كان حاكما أو محكوما. فقالوا: إن النبي الذى نتظره. لأنه آت منا، سوف يُلقب بلقب «ملك» كما يُلقب سائر اليهود.



وانتهجوا إلى أسفار الأنبياء، وغيروها؛ لتبين بوضوح: أن النبي الآتى إلى العالم سيكون من بنى إسرائيل لا من بنى إسماعيل.

وكان «سفر الزبور» لداود عليه السلام - هو السفر الأكثر تغييرا لهذا الغرض؛ لأن داود هو مؤسس دولة اليهود العبرانيين فى «أورشليم» = «القدس» وبذلك

(١) انظر: بذل المجهود فى إحقاق اليهود - شموئيل بن يهوذا بن آبون، وانظر كتابنا: إعجاز القرآن - الطبعة الثانية - مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٧م

(٢) انظر تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث. لابن كمونة (يوجد فى دار الكتب المصرية)

على ذلك: أن داود كان نحو سنة ١٠٩٦ قبل الميلاد، وسبى بابل كان نحو ٥٨٦ قبل الميلاد. أى أن السبى كان بعد داود بما يقرب من ٥١٠ سنة. وتجد فى الزبور آيات تدل على أنه كتب بعد السبى. كما سيأتى بيانه.

وهذا زبور من زبورات داود يبين كيف أنهم تحدثوا عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بلقب «مَسِيًّا» أى مسيح، وبلقب «ملك» أى رئيس مطاع.

النص: «فاض قلبى بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائى للملك. لسانى قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جمالا من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفئك. لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك، أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب. من أجل الحق والدعة والبر. فتريك يمينك مخاوف. نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون. كرسيك يا الله^(١) إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحبيت البر، وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله^(٢) إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفائك. كل ثيابك مرّ، وعود، وسليخة. من قصور العاج سرتك الأوتار. بنات ملوك بين حظياتك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعى يابنت وانظرى. وأمىلى أذنك، وانسى شعبك، وبيت أبيك، فيشتهى الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك؛ فاسجدى له. وبنّت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية.

كلها مجد ابنة الملك فى خدرها. منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة؛ تحضر إلى الملك. فى إثرها عذارى صاحباتها. مقدمات إليك. يحضرن بفرح وابتهاج، يدخلن إلى قصر الملك.

عوضا عن آبائك يكون بنوك. تقيمهم رؤساء فى كل الأرض. اذكر اسمك فى كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد» [الزمور الخامس والأربعون]

(١) فى العبرى: إلهيم والمعنى: شريعة الله باقية إلى الأبد.

(٢) فى العبرى: إلهيم والمعنى: مسح الله نبي الإسلام، أى اصطفاه نبيا.

وقد شرح هذا المزمور الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي في الجزء الثاني من كتابه: إظهار الحق. وشرحه الشيخ عبد الرحمن الجزيري في كتابه: أدلة اليقين. وشرحه الشيخ محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبي الدمشقي في رسالته: خلاصة الترجيح للدين الصحيح. وشرحناه في كتابنا: الْمَسِيَّا.

وهذا زبور من زبور داود يبين كيف أنهم تحدثوا عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بلقب «ابن الله» بالمعني المجازي، أى حبيب إليه مقرب منه. ويلقب «مَسِيَّا» أيضا. ويلقب «ملك»

النص: «لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا. على الرب، وعلى مسيحه. قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما.

الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حيثذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسى. إني أخبر من جهة قضاء الرب: قال لى: أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك^(١) اسألنى؛ فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بغضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرههم.

فالآن يا أيها الملوك تعقّلوا. تأدبوا بإقضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف. واهتفوا برعدة. قبلوا الابن^(٢) لئلا يغضب. فبيدوا من الطريق. لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلمين عليه» [المزمور الثانى]



(١) في بعض التراجم «قبل كوكب الصبح في ضياء القديسين خلقتك» (برنابا ١٢ : ٧)

(٢) قيل إن الترجمة «اعبدوا بطهارة الابن، من أيام إيرينموس» (عشر ٢١٥ ج ١ حياة بولس للدكتور فردريك، و، فارار - طبعة المنصورة سنة ١٩٦٩م)

ولمّا جاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام خاطب اليهود بلغتهم، التى اعتادوا عليها. وجادلهم بالنصوص التى يسلمون بقدسيّتها. أيا كان نصيبها من الصواب والخطأ. فبين لهم: أن الْمَسِيحَ هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفسر لهم «بماد ماد» بأنها تعنى «محمد» بحساب الجُمَّل وكذلك «لجوى جدول» واعتمد فى بيانه على البركة التى وعد الله بها آل إسماعيل.

وأيام وجود بنى إسرائيل فى «بابل» فى العراق. أيام سبى «بُوْخَذَ ناصراً» أجمعوا أمرهم على أن يقولوا: إن النبى المتظر سيأتى من بنى إسرائيل. ولما رجعوا من بابل اختلفوا وافترقوا. فقال السامريون: إن النبى المتظر سيكون من سبط يوسف الصديق عليه السلام^(١). وقال العبرانيون: إن النبى المتظر سيكون من سبط يهوذا ابن يعقوب. من فرع ولده: داود. ثم كتب العبرانيون فى الزبور نبوءة عن النبى المتظر تبين أنه سيكون سيداً^(٢) لداود. هذا نصها على لسان داود عليه السلام:

النص: «قال الرب لربى^(٣): اجلس عن يمينى، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيب عرك من صهيون. تسلط فى وسط أعدائك. شعبك متدب فى يوم قوتك. فى زينة مقدسة. من رحم الفجر لك طلّ حدثك.

أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد. على رتبة ملكى صادق، الرب عن يمينك يحطم فى يوم رَجْزِهِ ملوكا. يدين بين الأمم. ملأ جثثاً، أرضاً واسعة. سحق رؤوسها. من النهر يشرب فى الطريق. لذلك يرفع الرأس» [المزمور المائة والعاشر]

ولقد تحدث عيسى - عليه السلام - مع علماء بنى إسرائيل عن النبى المتظر. وأقنعهم بأنه لن يكون من اليهود. لن يكون من ذرية داود. بدليل: أن داود قال عنه: إنه سيكون سيده، ورئيسه. والابن لا يمكن أن يكون سيداً لأبيه. لأن الأب سبب فى

(١) انظر: رحلة بنيامين - تعليق عزرا حداد - ص ١٩٠ - المطبعة الشرقية ببغداد سنة ١٩٤٥م

(٢) السيادة تدل على ظهور بركة إسماعيل؛ لأن البركة ملك ونبوة.

(٣) ترجمة الكاثوليك سنة ١٩٦٨ م «قال الرب لسيدى... الخ» الرب الأولى فى العبرانى «يهوه» والرب الثانى فى العبرانى «إدوناي» ويقول مؤلف تاريخ «الاقباط» «إدوناي أى السيد» ج ٨ ص ٣٩٤.

وجود الابن؛ فلا يكون الابن سيدا ورئيسا على الأب. وبناء عليه؛ فإن النبی المنتظر لا يأتي من سلالة داود؛ لقول داود عنه: إنه سيده. وقد نقل ذلك عن المسيح عيسى عليه السلام متى ومرقس ولوقا وبرنابا.

ففي رواية متى: «وفيما كان القَرَسِيُّونَ^(١) مجتمعين. سألهم يسوع قائلا: ماذا تظنون في المسيح^(٢)؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود^(٣). قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا. قائلا: قال الرب لربي: اجلس عن يميني^(٤) حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة^(٥)» [متى ٢٢: ٤١ - ٤٦]

وفي رواية مرقس: «ثم أجاب يسوع. وقال وهو يعلم في الهيكل: كيف يقول الكتبة^(٦): إن المسيح ابن داود؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس. قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فداود نفسه يدعوه ربا. فمن أين هو ابنه؟ وكان الجمع الكثير يسمعه بسرور» [مرقس ١٢: ٣٥ - ٣٧]

وفي رواية لوقا: «وقال لهم: كيف يقولون: إن المسيح ابن داود. وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي: اجلس عن يميني. حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فإذا داود يدعوه ربا؛ فكيف يكون ابنه؟» [لوقا ٢٠: ٤١ - ٤٤]

وفي رواية برنابا: «أجاب يعقوب: يا معلم. قل لنا: بمن صنع هذا العهد؟ فإن

(١) الفريسيون: علماء اليهود العبرانيين الغيورين على الشريعة.

(٢) المسيح المنتظر: أي الميا.

(٣) ابن داود: أي من نسل داود.

(٤) اجلس عن يميني: كناية عن نصر الله له.

(٥) يقول النصاري في هذه النبوة: إن المسيح عيسى رب داود بحسب لاهوته، وابن داود بحسب ناسوته. واللاهوت: الروح، والناسوت: الجسد. وقولهم باطل فإن المسيح من ذرية هارون. ولم يزد عن كونه بشراً رسولا. والروح عندهم «هبة هواء» وليست جسما وليست جوهرًا روحيا، مجردا عن الجسمية.

(٦) الكتبة: هم علماء اليهود.

اليهود يقولون بإسحق. والإسماعيليون يقولون بإسماعيل.

أجاب يسوع: ابن من كان داود؟ ومن أى ذرية؟ أجاب يعقوب: من إسحق. لأن إسحق كان أباً يعقوب، ويعقوب كان أباً يهوذا. الذى من ذريته داود. فحيثذ قال يسوع: ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون؟

أجاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسوع: لاتغشوا أنفسكم، لأن داود يدعوهُ فى الروح رباً قائلاً هكذا: «قال الله لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيبك، الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعداءك» فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مسياً، ابن داود، فكيف يسميه داود رباً؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل، لا بإسحق.

حيثذ قال التلاميذ: يامعلم. هكذا كُتب فى كتاب موسى: أن العهد صنع بإسحق. أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب، ولكن موسى لم يكتبه، ولا يشوع. بل أحبارنا الذين لا يخافون الله.

الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: ياإبراهيم. سيعلم العالم كله كيف يحبك الله. ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل مايريد الله. فكلم الله حيثذ إبراهيم قائلاً: «خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون إسحق البكر؛ وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين^(١)؟...»

فقال حيثذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء جلّى. لذلك قل لنا أنت الحق. لأننا نعلم أنك مرسل من الله. فأجاب حيثذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراءون، وصانعو الشر كل شيء اليوم. الأولون، بالتعليم الكاذب، والآخرون بمعيشة الخلاعة؛ حتى لا يكاد يوجد الحق

(١) فى التوراة العبرانية ١٤ سنة - وانظر الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين.

تقريبا، ويل للمراثين؛ لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدامة وعذابا فى الجحيم.

لذلك أقول لكم: إن رسول الله بهاء. يسر كل ما صنع الله تقريبا. لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصر والاعتدال. مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر، التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه.

ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم. صدقونى أنى رأيته وقدمت له الاحترام. كما رآه كل نبي. لأن الله يعطيهم روحه نبوة. ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا: يا محمد. ليكن الله معك. وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك، لأنى إذا قلت هذا، صرت نبيا عظيما. وقدوس الله، [برنابا ٤٣: ٥ - ٣١ و ٤٤: ١ - ٣٢]

فأنت ترى مما تقدم: أن عيسى عليه السلام بين أن النبى المنتظر لن يأتى من بنى إسرائيل - كما يقول العبرانيون - وحيثُ إن عيسى من بنى إسرائيل؛ فإنه ليس هو النبى المنتظر «المسيّا» بل النبى المنتظر «المسيّا» آت من بعده.

يقول الدكتور فردريك. و. فارار: «قدّم لهم سؤالا واحدا بسيطا مؤسسا على نفس غمطهم فى التفسير، مستقى من أحد المزامير المعتبر عندهم أنه مَسَيَّاوى. فى هذا المزمور «قال الرب [جيهوفاه] لربى [أدوناي] اجلس عن يمينى» فكيف يكون المسيح ابن داود؟ هل يستطيع إبراهيم أن يدعو إسحق أو يعقوب أو يوسف أو أى واحد من ذريته قرب أم بعد ربا له؟ فإن كان هذا نبيا، فكيف جاز هذا لداود؟^(١)

ولما كانت مهمة المسيح^(٢) عيسى ابن مريم هى التبشير بمحمد النبى الآتى من ولد إسماعيل - عليهم السلام - فقد استدل على مهمته بكل نصوص التوراة. ومن هذه النصوص ماكتبه الأحبار الذين لا يخافون الله فى سفر الزبور عن الابن الآتى إلى

(١) ص ٦٤٧ حياة المسيح - فردريك - طبعة المنصورة سنة ١٩٤٩ م ترجمة عقداوى.

(٢) عيسى يطلق عليه لقب «مسيح» أيضا، كما يطلق على جميع أنبياء بنى إسرائيل وعلمائهم. وملوكهم. لكن ليس هو «المسيح المنتظر» وذلك مثل قولك: «إسلام» كل نبي كان يدعو إلى الإسلام. لكن إذا قلنا «الإسلام» فإنه يخص ديننا نحن المسلمين وحدنا.

العالم. وقال بصريح العبارة: إن الابن آت من بعده. وأن التعبير ليس حقيقيا، بل هو تعبير مجازي؛ لأن الله لم يلد ولم يولد وأتَّى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟ وقال بقوله النبي يحيى عليه السلام - الذى هو يوحنا المعمدان - وهو غير يوحنا صاحب الإنجيل.

ففى إنجيل يوحنا: أن المعمدان قال لعلماء بنى إسرائيل: «الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة. بل يمكث عليه غضب الله» [يوحنا ٣: ٣٦] فلو كان عيسى هو ذلك الابن المشار إليه فى الزبور، لكان يقول: الذى يؤمن بعيسى. والذى لا يؤمن بعيسى. لأنه كان معه ويدعو إلى اقتراب ملكوت السموات معه، ولكنه أشار إلى غيره، وإلى رب هذا الغير الذى سيغضب. وقال عيسى عليه السلام: «الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامى، ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية. ولاياتى إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم: إنه تأتى ساعة. وهى الآن. حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون. لأنه كما أن الأب له حياة فى ذاته. كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا؛ لأنه ابن الإنسان» [يوحنا ٥: ٢٤ - ٢٧] يريد أن يقول: إننى رسول من الله إليكم. ومن يؤمن بالذى أقوله، فلإنه يحيى نفسه. وإنه سيأتى الزمن الذى يُبعث فيه الابن. وقد اقترب هذا الزمن، والذين هم وقتئذ كالأموات بسبب الجهل، سوف يحيون بنور الإيمان. وإن الله قد أعطى هذا «الابن» من قدرته مابه يكون محاربا متصرا. وسوف يهلك الأشرار، ويُبقي الأخيار. وهذا الابن من جنس البشر. مخلوق مثلهم من لحم ودم، من أب وأم.

ثم يبين المسيح عيسى - عليه السلام - أن من يؤمن به من اليهود، يكون تلميذا حقيقيا له، ويعرف الحق. وهذا التلميذ الذى يعرف الحق، سيجعله الحق حرا «قال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إن ثبتتم فى كلامى. فبالحقيقة تكونون تلاميذى. وتعرفون الحق، والحق يحرركم. أجابوه: إننا ذرية إبراهيم ولم نستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت: إنكم تصيرون أحرارا؟ أجابهم يسوع: الحق

الآن أقول لكم: إن كل من يعمل الخطية. هو عبد للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحرارا»
[يوحنا ٨: ٣١ - ٣٦]

وبعد نهاية المسيح عيسى على الأرض. وقد تأكد اليهود العبرانيون أن «الابن» آت من بعده، ولن يكون البتة من آل داود. ادعوا أن «الابن» - في المزمور الثاني - هو عيسى، وماكانوا له بعارفين. وغيروا نسب عيسى من هارون من جهة الأم، إلى داود من جهة رجل أسموه «يوسف النجار» وقالوا: إنه كان خطيا لأمه مريم - رضى الله عنها - وذلك لقصر النبوة على بنى إسحق إلى الأبد. ولتشكيك الناس في النبي الآتى من ولد إسماعيل، لينفضوا عنه، ويتركوه وحده. وبهذه الحيلة يقفلون الباب في وجهه من قبل أن يأتى. ثم جعلوه «أقنوم الابن» أى جعلوا عيسى شخصا إنبيا.

ادعى بولس في رسالة وجهها إلى العبرانيين؛ أن نبوءة الابن خاصة بالمسيح عيسى. وكذلك قول داود عن النبي المنتظر: «فاض قلبى بكلام صالح... الخ» وكتب في أولها مانصه:

«إن الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة. كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذى جعله وارثا لكل شيء، الذى به أيضا عمل العالمين. الذى هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا؛ جلس في يمين العظمة في الأعلى. صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ماورث اسما أفضل منهم.

لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابنى أنا اليوم ولدتك؟. وأما عن الابن: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب مُلكك. أحبت البر، وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من

يقول العلامة جردنر وآخرون فى تفسيرهم لهذه العبارات : «لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك» : هذا الاقتباس منقول عن مزمو ٢ : ٧ وقوله «اليوم» يدل على أن الزمان كله فى عين الله كطرفه عين ، وأنه ينظر إلى الأزل كأنه قد ابتدأ اليوم . وقد شبهت فى الآية بولادة روحية أزلية ، لاتزال مستمرة حتى «اليوم» ولا يخفى أن موضوع الكلام هنا : حقائق روحية . ولما كانت علاقة المحبة بين أقنومى الله والكلمة ، أشبه بالعلاقة بين «الأب» و «الابن» أمكن التعبير عنها بلفظة الولادة ، بشرط أن نتذكر : أن التعبير هو مجاز ^(١)

لقد اعترف بأن النص مقتبس من الزبور الثانى ، واعترف بأن التعبير مجاز . وليس المعنى بالولادة الطبيعية .

ويقول الأنبا أثناسيوس : إن أقنوم الابن للمسيح عيسى ابن الله ، أصله : من الزبور الثانى . يقول تحت عنوان «الْمَسِيَّاءُ فى أسفار الكتاب المقدس» : «على الرغم من أن العهد القديم تكلم عن الْمَسِيَّاءِ فى لمحات قصيرة ، إلا أننا نجد فيه كلمات واضحة عن ألوهيته . فقد قال داود النبى فى المزمور الثانى : «لماذا ارتجت الأمم ... الخ» ^(٢)



لقد وضع لنا أصل أقنوم «الابن» وأنه يشير إلى النبى المتشطر بالمعنى المجازى . وقلنا بالمعنى المجازى مع القائلين من اليهود والنصارى . لأن داود نفسه فى الزبور يتحدث عن الله فيقول : «مبارك الرب الله إله إسرائيل : الصانع العجائب وحده ، ومبارك اسم مجده إلى الدهر» [مزمو ٧٢ : ١٨ - ١٩] وهذا النص مُحْكَم . لاتفاقه

(١) ص ٢٠ الرسالة إلى العبرانيين - وضعها : الكاتن و . هـ ، ت ، جردنر وآخرون - نقلها إلى العربية حبيب سعيد - طبعة ثانية - صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة .
(٢) ص ٣٤ تفسير يوحنا للأنبا أثناسيوس .

مع كتاب موسى عن الله، الذى لم يلد ولم يولد. ولا بد من رد التشابه فى مثل قوله: «أنت ابنى» إلى المحكم.

نبيّن بعد ذلك: أن النصارى فى مجمع نيقية^(١) سنة ٣٢٥ ميلادية اختلفوا فى تفسير عبارة «أنت ابنى». أنا اليوم ولدتك فقال آريوس وأتباعه: إن التعبير مجازى. وقال أثناسيوس وأتباعه: إن التعبير حقيقى. وعرّض «أثناسيوس» وأتباعه: هو تشكيك الناس فى النبى الآتى من ولد إسماعيل، - الذى ادعى اليهود أنه آت منهم أنفسهم. وادعى النصارى أنه هو يسوع المسيح - وقصر النبوة على بنى إسحق وحدهم.

فى كتاب «تاريخ الأقباط» عن آريوس: أنه ولد فى «ليبية» القيروان بأفريقيا سنة ٢٧٠ ميلادية، ودخل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية، ثم رسمه البابا بطرس - بطريرك الإسكندرية - شماسا سنة ٣٠ م. ثم قسا واعظا. وكان ذكيا فصيحاً^(٢).

وفى ذلك الكتاب عن عقيدة «آريوس» فى الله تعالى: أنه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور^(٣).

وفى ذلك الكتاب عن عقيدة آريوس فى الابن: أن الابن ليس مساويا للآب فى الأزلية، وليس من جوهره^(٤).

ثم يقول ذلك الكتاب: إن مناقشة حادة دارت بين آريوس وأثناسيوس - رئيس شمامسة الإسكندرية - جاء فيها:

آريوس: إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا: «خلقنى أول طرقة»^(٥)

(١) تركيا. الآن

(٢) ص ١٥٠ تاريخ الأقباط ج ١.

(٣) ص ١٥١.

(٤) ص ١٥٤.

(٥) يشير إلى خلق مجازى. وانفس فى سفر الأمثال ٨: ٢٣ - ٢١ -

أثناسيوس: معنى خلقتى هنا: ولدنى. كما ينص على ذلك النص العبرانى. كما جاء فى نفس الأصحاح = الفصل قوله: «منذ الأزل مُسحت. منذ البدء كنت معه. قبل أن يخلق الجبال. وقبل أن يصنع الأرض. لما ثبت السموات كنت هناك» وكما ورد فى داود النبى: «أنت ابنى. وأنا اليوم ولدتك. ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك» آريوس: إن الابن قال: «أبى أعظم منى (١)» فالابن إذا أصغر من الأب، ولاساويه فى الجوهر... الخ (٢).



وأيًا ما كان هو المشار إليه فى الزبور الثانى. نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم - كما نقول نحن المسلمين - أو إلى الآن لم يأت كما يقول اليهود. أو هو عيسى كما يقول النصارى، فإن الأوصاف الواردة فى هذا الزبور؛ لاتشير إلى عيسى من قريب ولا من بعيد. فلإن النص يوضح: أن أمم الأرض وشعوبها، المكلفون باتباع هذا النبى سيضيقون به ذرعا. ومن أجل ذلك سيتآمرون عليه لإهلاكه، والقضاء على دعوته. ولكن الله الذى وعد بمجيئه هو قادر على حفظه من أيديهم، فلن يمسه بأذى. وسيتم الله أمره بأن يملك هذا النبى عاصمة الدولة العبرانية نفسها. يملك أورشليم.

يقول داود عليه السلام: إن الله قضى وقدر ألا إرسال هذا النبى وقد قال عنه: إنه مقرب إليه، وأثير لديه، ومترلة كمتزلة الوالد من ولده. وهو اليوم قد قدر ظهوره مستقبلا، وأنه سيعطيه سؤاله، سيعطيه حتى يرضى، وستكون أمم الأرض تابعة لشريعته، وسيتمد صيته إلى أقصى الأرض، وكل من يخالف الحق، ويقاوم الدين، سوف يهلك وينكسر. مثل إناء من خزف. ويجب على الملوك والعلماء أن لا يناوئوا هذا النبى إذا ظهر، وأن يخافوا الله، ويتبعوا شريعته. وإن ناوأوه؛ فإنهم - لامحالة - هالكون. هذا هو معنى النص.

(١) يوحنا ١٤ : ٢٨ .

(٢) ص ١٥٥ ج ١ تاريخ الأقباط.

فأين من هذا المعنى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ لم يتآمر عليه ملوك الأرض ورؤساؤها، وإنما ائتمرت به شردمة من اليهود، لا يمكن أن يطلق عليها أمة فضلا عن أمم. ولا يمكن أن يطلق عليها ملوك الأرض. ولم يجرد المسيح ابن مريم جيشا لمحاربة أعدائه، ولم يكن معه شريعة مستقلة عن شريعة موسى، ولم يكن ملكا، ولم يطلب الملك.



وقلنا: إن النصارى - الذين هم فى الأصل يهود - غيروا نسب عيسى من هارون، إلى داود، ليوهموا الناس: بأن عيسى هو النبى الذى يتظره اليهود العبرانيون. وتحدثت عنه كتبهم المقدسة.

ونقول هنا: إن متى ولوقا اختلفا فى بيان نسب المسيح عيسى. فمتى نسبته إلى سليمان بن داود عليه السلام ولوقا نسبة إلى ناثان بن داود. وإن لوقا صرح بأن المسيح عيسى ينتمى إلى هارون عليه السلام وليس إلى داود. انظر الأصحاح الأول من متى، والثالث من لوقا؛ نجد ما ذكرنا.



وأما عن نسب المسيح إلى هارون. فإننا نقول:

إن يعقوب عليه السلام أنجب اثنى عشر ولدا. وكل ولد وماتناسل منه، يسمى «سبط» والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب وهم:

١ - رأوبين ٢ - شمعون ٣ - لاوى ٤ - يهوذا ٥ - زبولون ٦ - يسّاكر ٧ - دان ٨ - جاد ٩ - أشير ١٠ - نفتالى ١١ - يوسف ١٢ - بنيامين.

وتد أوصى الله فى التوراة بأن كل سبط يحافظ على نسله. وذلك بأن لايتزوج رجل امرأة من سبط غير سبطه «وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى إسرائيل؛ تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها» [عدد ٣٦: ٨] وهذا الحكم خاص بالوارثين فى أرض فلسطين. أما المقيمون فى غيرها: فإنهم اختلطوا بالأمم. كما فى سفر نَحْمِيا.

والإنجيل يحدثنا: أن زكريا - عليه السلام - تزوج «أليصابات» وهو من نسل هارون «كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أياً^(١) وامراته من بنات هارون واسمها أليصابات» [لوقا ١ : ٥] والإنجيل يقول: إن مريم رضى الله عنها جاءها الملاك وبشرها بغلام، ولما استبعدت ذلك قال لها: «وهو ذا أليصابات نسييتك، هى أيضا حبلى بابتن فى شيخوختها» [لوقا ١ : ٣٦] فلما ثبت أن أليصابات من بنات هارون، وثبت أن مريم قريبة لها ونسيية، يثبت: أن مريم من بنات هرون. ويكون عيسى المسيح من نسل هارون، من سبط لاوى. لا من نسل داود من سبط يهوذا. ويكون المكتوب فى الأناجيل من مثل «ارحمنا يا ابن داود» [متى ٩ : ٢٧] من الأقوال الموضوعة للبس الحق بالباطل.

(١) فرقة أياً: إحدى فرق الكهنة الهارونيين. انظر سفر الأخبار الأول ٢٤ : ١٠. وقد تحدثنا عن نسب المسيح إلى هارون فى كتابنا: إعجاز القرآن - الطبعة الثانية فى فصل: (يا أخت هارون) نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.

الفصل الثالث

فى

أقنوم الروح القدس

تدل الكلمة العبرانية «روآه» فى معناها الأصلى الحقيقى على «الريح» هكذا يقول اليهود، وهكذا يقول البعض من النصارى.

فالآية الثانية من الأصحاح الأول من سفر التكوين نصها عند اليهود وبعض النصارى هكذا: «وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وريح الله يرف على وجه المياه» يقول سبينوزا^(١) الفيلسوف اليهودى مانصه: «تدل كلمة «روآه» فى معناها الأصلى على الريح. كما هو معروف^(٢)» ويقول مفسرو التوراة. مفسرو «السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم» عقب الآية المذكورة مانصه: «ذهب جماعة من علماء التفسير إلى أن المقصود بالروح هنا: ريح عظيمة بدد الله بها ظلمات الغمر^(٣)»

وعوام النصارى يقولون: إن كلمة الريح فى الآية المذكورة تعنى: روح الذات الإلهية. الإله الثالث، أقنوم الروح القدس. وكتبوا فى تراجمهم الحالية: «وروح الله» بالواو بدل الياء.

وهذا هو أصل الخلاف بين اليهود والنصارى فى الروح القدس، التى يسألون عنها فى القرآن الكريم. فقد قال تعالى فى القرآن الكريم: (ويسئلونك عن الروح. قل الروح من أمر ربي. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وتنبأ عيسى عليه السلام عن محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: «وأما المعزى. الروح القدس، الذى سيرسله الآب

(١) سبينوزا: فيلسوف يهودى كان فى البرتغال سنة ١٦٥٦ ميلادية وشك فى التوراة وبين أنها ليست من عهد موسى ولا من كتابته (ص ١٣٤ رسالة فى اللاهوت - هامش)

(٢) ص ١٣٥ رسالة فى اللاهوت والياسة - سبينوزا - الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١م

(٣) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم فى التكوين ١ : ٢ - طبع بيروت سنة ١٩٧٣م

باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ماقلته لكم» [يو ١٤ : ٢٦] والمعنى: أن النصارى ماأوتوا من عيسى عليه السلام إلا القليل من العلم، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم سيعلم كل شيء، وسيذكر بكل ماقاله عيسى عليه السلام وقد ظهر محمد، وعلم العالم كله ماالم يكونوا يعلمون، ومافرط الله فى كتابه من شيء.

وقد تأتى كلمة الروح مجازا بمعان أخرى فتعنى مثلا:

١ - نسمة. أو نفس. «ليس فى أفواهها نسمة» [مزمور ١٣٥ : ١٧]

٢ - نفخ أو تنفس. «ورجعت روحه إليه» [صموئيل الأول ٣٠ : ١٣] أى أنه بدأ فى التنفس.

٣ - الشجاعة أو القوة. «ولم تبق بعد روح فى إنسان بسبيكم» [يشوع ٢ : ١١]

٤ - الحكمة. «فقال فرعون لعبيده: هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟ ثم قال فرعون ليوسف: بعد ماأعلمك الله كل هذا. ليس بصير وحكيم مثلك ؟» [تكوين ٤١ : ٣٨ - ٣٩]

٥ - رأى. «فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى» [عدد ١٤ : ٢٤] أى رأى آخر

٦ - الإرادة. «إلى حيث تكون الروح لتسير: تسير» [حزقيال ١ : ١٢]

٧ - الفكر نفسه، أو روح الإنسان أو نفسه «لأن ما يحدث لبني البشر، يحدث للبهيمة. وحادثة واحدة لهم. موت هذا كموت ذاك. ونسمة واحدة للكل. فليس للإنسان مزية على البهيمة.. لأن كليهما باطل. يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب، وإلى التراب يعود كلاهما. من يعلم روح بنى البشر ؟ هل هى تصعد إلى فوق، وروح البهيمة هل هى تنزل إلى أسفل الأرض ؟ فرأيت أنه لاشيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله» [جامعة ٣ : ١٩ - ٢٢]

٨ - قوة تفوق المعتاد. «وملأته من روح الله» [خروج ٣١ : ٣] أى بعقل ومهارة فوق المعتاد.

٩ - نفس الإنسان. «نفخة الله فى أنفى» [أيوب ٢ : ٣]

يقول سبينوزا: «لما كانت عادة الكتاب: إعطاء الله صورة الإنسان، وذلك لضعف مستوى التفكير عند العامة، كما اعتاد أن ينسب له نفسا وحساسة وانفعالات، بل وينسب إليه بدنا ونفسا؛ فإن عبارة «روح الله» فى الكتب المقدسة تدل دائما على النفس. أى على القلب والانفعال أو القوة أو النفس من فم الله»

١٠ - شريعة موسى. لأن هذه الشريعة كانت تعبر عن فكر الله «أين الذى جعل فى وسطهم روح قدسه؟» [إشعيا ٦٣ : ١١] كما يفهم من سياق الكلام.

١١ - فكر الله. «روحك الصالح يهدينى فى أرض مستوية» [مزمور ١٤٣ : ١٠] أى أن فكرك الذى أوحيت به إلينا، سيقودنا إلى الطريق المستقيم.

١٢ - مشاعر الله. «وروحى قائم فى وسطكم لاتخافوا» [حجى ٢ : ٥] أى نعمة الله.

يقول سبينوزا: «وهكذا يسهل علينا تفسير كل نصوص الكتاب التى يرد فيها ذكر روح الله. فعبارة «روح الله» أو «روح يهوه» لاتعنى فى بعض النصوص إلا ريحا قوية جافة عاتية. كما نجد فى إشعيا ٤٠ : ٧ «لأن روح الرب هب فيه^(١)» أى ريح مدمرة، وكذلك فى سفر التكوين ١ : ٢ «وريح الله» أى ريح قوية للغاية «يرف على وجه المياه» وكل شيء يتعلق بالله يسمى إلهيا. لأنه:

١ - يتعلق بطبيعة الله. كما نقول: قدرة الله.

٢ - يكون فى قدرة الله أو يخضع لفعله. مثل سموات الله وأرض الله.

٣ - يوهب لله. مثل معبد الله.

٤ - ينقله الأنبياء الصادقون إلى الناس. فمثلا يطلق على شريعة موسى: شريعة الله.

(١) ترجمتها الحالية «لأن نفخة الرب هبت عليه» البروتستانت ١٩٧٠م

٥ - يعبر عن أعلى الدرجات . مثل جبال الله . أى الجبال الشاهقة .

وبهذا المعنى تعود اليهود أن ينسبوا إلى الله ما كان يتعدى فهمهم ، ويجهلون أسبابه الطبيعية فى ذلك العصر ، فالعاصفة : « غضب الله » والرعد والصاعقة : « سهام الله » وهكذا .

ويقول سبينوزا بعد ذلك : « هذه العبارات : كان روح الله فى النبى - أنزل الله روحه فى البشر - البشر ملئ بروح الله أو بالروح القدس . هذه العبارات لاتعنى سوى أنه كانت للأنبيا فضيلة خاصة فوق المعتاد ، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دوما ، وكانوا بالإضافة إلى ذلك قادرين على إدراك فكر الله أو حكمه^(١) »

وجاءت الروح فى الإنجيل بمثل ما جاءت فى التوراة . ومن أمثلة ذلك :

١ - متزن الوحي إلى الأنبياء والرسل بالإلهام أو الظهور لهم شخصيا . يقول بطرس : « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان . بل تكلم أناس الله القديسون ، مسوقين من الروح القدس » [٢ بط ٢ : ٢١] وهو نفس المعنى الذى اعترف به المسيح عليه السلام عن الوحي فى قوله : « لأن داود قال بالروح القدس » [مرقس ١٢ : ٣٦] ونطقها أيضا : « قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ؟ » [متى ٢٢ : ٤٣]

٢ - الشجاعة . يقول المسيح لتلاميذه : « احذروا من الناس ؛ لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس ، وفى مجامعهم يجلدونكم ، وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى ؛ شهادة لهم ، وللأثم . فمتى أسلموكم ؛ فلا تهتموا كيف ؟ أو بما تتكلمون ؟ لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به ؛ لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » [متى ١٠ : ١٧ - ٢٠]

٣ - قوة الله . يتنزه الإنجيل عن مريم - رضى الله عنها - : « وجدت حبلى من الروح القدس » [متى ١ : ١٨] أى بقوة من الله . ويقولون عن ركزيا عليه (١) ص ١٤٢ رسالة فى اللاهوت والياسة .

السلام: «وامتلاً ذكرى أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلاً»: [لوقا ١: ٦٧] أى من قوة الله الملهمة. ويقول عن أم يحيى عليه السلام: «وامتلات أليصابات Elizabeth من الروح القدس» [لوقا ١: ٤١]

٤ - الإلهام لغير الأنبياء والرسل أيضاً. يقول لوقا: «وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان. وهذا الرجل كان باراً تقياً، ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس: أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب. فأتى بالروح إلى الهيكل» [لوقا ٢: ٢٥ - ٢]

٥ - محرك الناس وهادهم. «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يُقتاد بالروح فى البرية» [لوقا ٤: ١] «ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل» [لوقا ٤: ١٤]

٦ - وكان جبريل - عليه السلام - يبشر الناس بحلول الروح القدس عليهم «وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله... فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك، وقال لها: الروح القدس يحل عليك» [لوقا: ٢٦ - ٣٤]

لقد علم مما تقدم: أن أصل الروح على الحقيقة: ربح^(١) وأنها على المعنى المجازى تأتى بمعانى كثيرة. كالقدرة والشجاعة والفكر والنفس... الخ.

وعلم مما تقدم: أن كل شيء فى الكون من الله، وخاضع له. فإذا ما قلنا عن رجل ماً: إنه روح الله. فهذا يعنى: أنه رجل صالح، له تعلق بالله. وبهذا المعنى كانوا ينادون المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بقولهم: «ياروح الله»

والله - عز وجل - له أسماء كثيرة حسنة. منها: الرحمن - الرحيم - الملك القدوس - السلام - الحق... الخ. فإذا ما قلنا: روح الله أو روح الرحمن أو روح

(١) وهكذا فهمها شيخ الإسلام محمد بن عمر، الذى هو الإمام فخر الدين الرازى مفسر القرآن الكريم انظر (وأيدناه بروح القدس) وفى تفسير سورة الصف قال الإمام فخر الدين إن بارقليط هو اسم أحمد فى إنجيل يوحنا.

القدس أو روح الحق؛ فإن المعنى واحد. وهو شيء مستمد من الله وله تعلق به وغرض شريف. وعلى العكس من ذلك إذا ما قلنا: روح الشيطان أو روح إبليس أو روح الشر؛ فإن المعنى واحد. وهو شيء مستمد من الشيطان، وله تعلق به وغرض خبيث.

وبناء على ماتقدم: فإننا إذا قلنا: إن عيسى ابن مريم - عليه السلام - روح الله أو كلمة الله، فإن ذلك لا يعنى أكثر من نسبة عيسى إلى الله نسبة. فيها تشريف وتكريم. كما يقال: بيت الله، وشريعة الله، وناقة الله. وبهذا المعنى عبر عيسى عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بلغة بنى إسرائيل - كما بين الله تعالى فى القرآن الكريم: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، ليبين لهم ^(١)) - عبر بقوله «يبر كليت الروح القدس» أى «أحمد روح الله الطاهر» أى المصطفى من الله، والآتى بأمره والمنسوب إليه والمتعلق به. وحذر اليهود من ذمه فقال: «كل خطية وتجديف، يُغفر للناس، وأما التجديف على الروح، فلن يغفر للناس... من قال على الروح القدس، فلن يغفر له. لا فى هذا العالم، ولا فى الآتى ^(٢)» [متى ١٢: ٣١ - ٣٢]

ولقد تحدث عيسى عليه السلام عن نبي الإسلام «أحمد» ولقبه بالروح القدس فقال: «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب؛ فيعطىكم مُعزّيًا آخر ^(٣)؛ ليملك معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله؛ لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه؛ لأنه ماكث معكم، ويكونُ فيكم» - «وأما المعزّي

(١) إبراهيم ٤

(٢) يشير بالآتى إلى زمن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم والمعنى: لا فى عهده، ولا فى عهد النبي الآتى «الميا»

(٣) فى تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافسون:

«الروح القدس» ١ يو ١٤: ١٦ - ٣١ «سيرسل لهم أيضا «معزّيًا آخر» اللفظة اليونانية «باراكليتوس» مستعملة أربع مرات فى هذا الإنجيل، ومرة واحدة فى رسالة يوحنا الأولى. والمعنى الحرفى هو واحد يُدعى إلى جانب الشخص. واحد يدعى لمساعد فى التحقيق أمام المحكمة. ومن هنا جاءت «شفيع» فى ١ يو ٢: ١ «إن وظيفة الروح هى أن يبكث» ١ يو ١٦: ٨ «وأن يشهد» ١ يو ٢٦: ١٥ «وأن يعلم» ١ يو ٢٦: ١٤ «والتُرجمة «المعزّي» كان أول من استعملها «ويكلف» وقصد بها «مقوى» ولها امتياز توليد قوة فاعلية الكلمة. على أن الترجمة القديمة «معزّي»

الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ماقلته لكم» - «وقلت لكم الآن قبل أن يكون؛ حتى متى كان، تؤمنون» - «إن كان العالم يُبغضكم، فاعلموا: أنه قد أبغضنى قبلكم. لو كنتم من العالم؛ لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذى قلته لكم: ليس عبد أعظم من سيده إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامى؛ فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى. لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى. لو لم أكن قد جئتُ وكلمتهم؛ لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم. الذى يُبغضنى يبغض أبى أيضا، لو لم أكن قد عملتُ بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى، لم تكن لهم خطية. أما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى. لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم: «إنهم أبغضونى بلا سبب»

ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق؛ فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضا؛ لأنكم معى من الابتداء.

قد كلمتكم بهذا لكى لاتعثروا، سيخرجونكم من المجمع، بل تأتى ساعة. فيها يظن كل من يقتلكم: أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم، لأنهم لم يعرفوا الآب ولاعرفونى. لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة، تذكرون أنى أنا قلته لكم.

= مناسبة فى قريتها هنا. وبسبب الغرض المنشود فى هذا الإنجيل، فالمعزى هو من يقوى. ليس فقط بالمواساة بل أيضا بإعلان طيعة يسوع وعمله. وهنا العدد يثبت الاقنومية الشخصية الواضحة للروح القدس.... الخ»

وفى الكثر الجليل لتفسير الإنجيل: «معزيا آخر» قال «آخر» لأنه هو المعزى الأول مدة كونه معهم بالجسد لـ ٢: ٢٥ لـ والمعزى هنا ترجمة «فارقليط» فى اليونانية، وليس فى العبرية كلمة بتمام معناها. فإن معناها: معز ومعين وشفيع معا، وجاءت فى الإنجيل خمس مرات، نُسبت فى أربع منها إلى الروح القدس لـ ١٤: ١٦، ٢٦، ١٥: ٢٦، ١٦: ٧ لـ وفى واحدة للمسيح لـ ١ يو ٢: ١ لـ والمراد بالمعزى هنا: الروح القدس. الاقنوم الثالث فى اللاهوت المعين، لينوب عن المسيح بعد صعوده إلى السماء فى المستشارية والإرشاد والصداقة والعون فى الضيق» أ. هـ

ولم أقل لكم من البداية؛ لأننى كنتُ معكم. وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذى أرسلنى. وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى؟ لكن لأننى قلت لكم هذا، قد ملأ الحزن قلوبكم. لكننى أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتاكم المعزى^(١). ولكن إن ذهبت؛ أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطية وعلى بر، وعلى دينونة. أما على خطية؛ فلأنهم لا يؤمنون بى، وأما على بر؛ فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى. وأما على دينونة؛ فلأن رئيس هذا العالم قد دين.

إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم. ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع؛ يتكلم به. ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدىنى لأنه يأخذ مما لى، ويخبركم [يوحنا ١٤: ١٥ - ١، ٢٦ يوحنا ١٥: ١٨ - الخ يوحنا ١٦: ١ - ١٥]



هذه عبارات من كلام المسيح عيسى عليه السلام عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم. فماذا فعل بها اليهود الذين اعتنقوا النصرانية زورا؟

إنه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م جعلوا المسيح عيسى هو «الله والابن»، وقالوا: إن ابن الله الذى تحدث عنه داود عليه السلام فى المزمور الثانى. قالوا: إنه ابن حقيقى لله. وهو والله واحد فى اللاهوت - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وإنه فى مجمع «القسطنطينية» سنة ٣٨١ م قرروا «الوهية الروح القدس» الذى تكلم عنه المسيح فى العبارات التى ذكرناها. قالوا إن «المعزى» هو الإله الثالث. مع أن «المعزى» موصوفٌ بـ بدل اسم «أحمد» والله ليس من أسمائه «أحمد»

يقول مؤلف تاريخ الأقباط تحت عنوان «مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية» يسمى مجمع القسطنطينية بالمجمع المسكونى الثانى. وكان الغرض من عقد المجمع

(١) المعزى وضعها النصارى حالياً بدل باركليت. والكلمة التى نطقها المسيح هى بيركليت بكسر الباء وفتح الراء وسكون الكاف والتاء (انظر الكتاب المقدس للكاتوليك طبعة بيروت سنة ١٩١٢ م)

محاكمة أصحاب البدع التي ظهرت فى ذلك الحين، ومنهم «مكدونيوس» و «يوسابيوس» و «أبوليناريوس» وكان «مكدونيوس» أسقفا أقامه الأريسيون على «القسطنطينية» سنة ٣٤٣ ميلادية، ثم عزل فى سنة ٣٦٠ ميلادية؛ لمناذاته بيدغة جديدة، وهى إنكار لاهوت الروح القدس. إذ قال: إن الروح القدس؛ مخلوق كسائر المخلوقات، وقد ناقشه المجمع ثم حرمه وحرم بدعته، وأسقطه من رتبة الأسقفية.

وكان «يوسابيوس» ينكر وجود الثلاثة الاقانيم... الخ^(١)

وبذلك على أن أصل أقنوم الروح القدس من عبارات المسيح هذه عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم: قول الأنبا أثناسيوس:

«إن كلمة بارقليط مشتقة من Parakletos اليونانية. ومعناها: «المعزى الروح القدس. الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ماقلته لكم» [يوحنا ١٤ : ٢٦] و «متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب؛ روح الحق، الذى من عند الآب ينبثق» [يوحنا ١٥ : ٢٦] و «أما متى جاء ذاك روح الحق؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لايتكلم من نفسه، بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذاك يمجدىنى؛ لأنه يأخذ مما لى، ويخبركم. كل ما هو للآب؛ هو لى. لهذا قلت: إنه يأخذ مما لى، ويخبركم» [يوحنا ١٦ : ١٣ - ١٥] ومن هذا يتضح: أن الروح القدس هو الله الأقنوم الثالث^(٢) أ. هـ.

إن النص - كما هو واضح منه - يشير إلى اسم أحمد صلى الله عليه وسلم، وإلى أوصافه. فما هو السبب الذى حدا بالنصارى إلى القول بالوهية الروح القدس، ولاسند لهم. لا من التوراة ولا من الإنجيل ؟ ولماذا اختلفوا فى ألوهية الروح القدس. هل هو الله نفسه على مذهب الأرثوذكس أم ثالث ثلاثة على مذهب

(١) ص ١٧٥ - ١٧٦ ج ١ تاريخ الأقباط - الطبعة الثانية ١٩٦٨ م - مطابع البلاغ بالقاهرة.

(٢) ص ٧٩ تفسير يوحنا - الأنبا أثناسيوس.

ولاحظ أن كلمة بيركليت وردت فى الإنجيل خمس مرات يوحنا ١٤ : ١٦ يوحنا ١٤ : ٢٦ يوحنا ١٥ :

٢٦ يوحنا ١٦ : ٧ الرسالة الأولى ليوحنا ٢ : ١.

الكاثوليك ؟ وهل هو منبثق من الآب وحده على مذهب الأرثوذكس ، أم هو منبثق من الآب والابن على مذهب الكاثوليك ؟

ما أعتقد أن السبب خاف على العقلاء ولا على البسطاء . فبأنه واضح ووضح الشمس في رابعة النهار . وهو أن اليهود من أيام سبى بابل سنة ٥٨٦ ق . م جادون في المحافظة على استقلالهم ، والتعصب لمجدهم . ولذلك وضعوا النص المشير إلى نبي بنى إسماعيل - عليه السلام - محتملا لمعنيين : إما منهم ، وأما من بنى إسماعيل . ثم اجتهدوا في إيهام الناس بأنه سيكون منهم ، وخلعوا عليه ألقابهم ، ووضعوه في لغتهم ، على أنه سيكون واحدا منهم . وقد بعث الله المسيح عيسى - عليه السلام - ليبين المراد حقا من النص . ويبين أنه سيكون من بنى إسماعيل ، وسيكون اسمه أحمد «بيركليت» وأنه سيستمد تعاليمه من الله .

وهذا هو السبب في إرادة اليهود قتل عيسى المسيح ؛ لأنه أضاع جدتهم واجتهادهم في إخفاء الحقيقة من أيام سبى بابل . يقول اليهود : «وانكى من ذلك : أنه يقول : إن مَسِيَّا ، لا يأتى من نسل داود - كما قال لنا أحد تلاميذه الأخصاء - بل يقول : إنه يأتى من نسل إسماعيل ، وأن الموعد ^(١) صُنع بإسماعيل لا بإسحق . فماذا يكون الثمر إذا تركنا هذا الإنسان يعيش ؟ من المؤكد أن الإسماعيليين يصيرون ذوى وجاهة عند الرومانيين ^(٢) ؛ فيعطونهم بلادنا ملكا . وهكذا يصير إسرائيل عرضة للعبودية . كما كان قديما [برنابا ١٤٢] ولهذا السبب فإنه بعد رفع المسيح عيسى إلى السماء ؛ تظاهر فريق

(١) يشير المسيح بالموعد إلى قول التوراة : «وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه إسحق . وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده . وأه إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثني عشر رئيساً يولد ، وأجعل أمة كبيرة ، ولكن عهدي أقيم مع إسحق الذى تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية» { تكوير ١٧ }

يقول المسيح : إنهم كتبوا : أن الموعد لإسحق إلى الأبد من قبل ولادته ، وكتبوا : أنه هو الذبيح . فبأنه افترضنا أنه قد ذبح بالفعل . فكيف يتم الوعد من بعد ذبحه ؟

(٢) روى يوحنا هذا الموضع هكذا : «فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ، ونظروا ما فعل يسوع ، آمنوا به . وأما قوم منهم ، فمضوا إلى الفريسيين . وقالوا لهم عما فعل يسوع . فجمع رؤساء

من اليهود باعتناق النصرانية. وهم والنصارى (أولياء بعضهم أولياء بعض ^(١)) وعملوا على جعل عيسى المسيح هو «المعزى» الروح القدس وهو النبى الذى وعد به موسى فى سفر التثنية. وهو الابن الذى تحدث عنه داود فى المزمور الثانى. هو الكل فى الكل. وبنينا: أنه لانبى من بعد عيسى المسيح. أى أن النبوة والكتاب لا يمكن أن يكونا فى غير بنى إسحق - عليه السلام - ثم إنهم لبسوا على الناس دينهم. فقالوا: إن روح الله الذى كان يرفّ على وجه المياه، هو نفسه المعزى الروح القدس. فى حين أن روح الله الذى كان يرفّ على وجه المياه: هو ريح شديدة عاتية. أما المعزى الروح القدس: فهو نبى يأتى من بعد المسيح. اسمه «أحمد» بيركليتوس.

ولعل توضيح كلمة «المعزى» يكون مساعدا على فهم هذه الحقيقة، ودحض هذه البدعة، والرجوع بالحق إلى أهله.

إن كلمة «المعزى» فى الأصل العبرى «بيرقليط» وينطقها النصارى «باركليت» وهى باتفاق اليهود والنصارى وسائر علماء اللغات تعنى «أحمد» ولكن الذين حرفوا إنجيل يوحنا نطقوها «باراقليط» لثلاث تدل صراحة على الاسم المبارك. وإذا ما ترجمت «بيرقليط» إلى اللغة اليونانية تكون «باراكليتوس» والذين حرفوا النطق فى إنجيل يوحنا يريدون أن يقولوا: إن ذهاب يسوع المسيح كان كارثة على تلاميذه. ولذلك وعدمه بديل له، ويعوض عنه، وهذا البديل سيعزيهم عن فقد يسوع المسيح. ثم كتبوا فى سفر الأعمال: أن هذا البديل هو الأقنوم الثالث.

الكهنة والفريسيون مجمعا، وقالوا: ماذا نصنع، فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكلنا، يؤمن الجميع به، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا { يوحنا ١١ }
إن الفرق بين الروايتين هو فى احتلال الروم لموضعهم وهو هيكل سليمان ولدينتهم وهى أورشليم. فهل بسبب الشغب والانقسام يحتل الروم موضعهم وأمتهم ؟ كيف يصح هذا والروم يحتلون موضعهم وأمتهم من سنة ثلاث وستين من قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام ؟ هل بسبب الشغب والانقسام يسلم اليهود موضعهم وأمتهم إلى أهل الروم ؟ أم أن الإسماعيليين هم الذين سيحتلون موضعهم وأمتهم إذا ظهر النبى الآتى منهم ؟ من المؤكد أنهم هم الإسماعيليون، وقد صدق التاريخ على ذلك، فإنهم هم الذين طردوا الروم من أقصى الأرض. وما يزالون فيها مقيمين على دين محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) المائدة ٤١

١ - يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «وصلت إلى رسالة صغيرة في لسان أردو من رسائل القيسيين في سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة. وكانت هذه الرسالة طبعت في «كلكته» وكانت في تحقيق لفظ «فاراقليط» وادعى مؤلفها: أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم في الغلط من لفظ «فاراقليط» وكان ملخص كلامه: «أن هذا اللفظ معرب من لفظ يوناني. فإن قلنا: إن هذا اللفظ اليوناني الأصلي «باراكلي طوس» فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل. وإن قلنا: إن اللفظ الأصلي «بيركلوطوس» يكون قريبا من معنى محمد وأحمد. فمن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة؛ فهم أن اللفظ الأصلي «بيركلوطوس» ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد. فادعى: أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد. لكن الصحيح: أنه باراكلي طوس^(١)»

٢ - ويقول الأب متى المسكين: «حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها - كما وردت في النصوص التفسيرية - نجد المعنى ينحصر في الصفة القضائية للشخص الذي يمكنه القانون من الدفاع والمحاماة والشفاعة عن آخر. وقد وردت في اصطلاحات الربيين اليهود بهذا المعنى، وبالأذات في كتابات العلامة «فيلو» اليهودي. وإنما كانت تنطق باللغة العبرية هكذا «البيراقليطا»^(٢) وهذا النطق عينه هو الذي اشتق منه نطق الكلمة باللغة العربية «البراقليط» لأن اللغة العربية تميل إلى الأخذ من اللغة العبرية القديمة أكثر من اللغة اليونانية^(٣)»

٣ - ويقول الأنبا أثناسيوس: «إن لفظ «باراقليط» إذا حرف نطقه قليلا؛ يصير بيركليط. ومعناه: الحمد أو الشكر. وهو قريب من لفظ «أحمد»^(٤)»

٤ - ويقول حبيب سعيد: «كانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علّة حتى

(١) ص ١٦٥ - ١٦٦ ج ٢ إظهار الحق. (البشارة رقم ١٨)

(٢) لاحظ أنه كتب الباء ويعملها ياء.

(٣) ص ١٢ - ١٣ الباركليط الروح القدس في حياة الناس. تأليف الأب متى المسكين - طبعة ١٩٧٣ م دار العالم العربي.

(٤) ص ١١٩ دراسات في الكتاب المقدس - الأنبا أثناسيوس - مطبعة دار العنتم بالعربى.

سنة ٥٠٠ م^(١) وعلى قوله هذا: فإن حروف بيرقليط هى نفسها حروف بارقليط. ولما كانت الأوصاف فى النص تشير إلى شخص بشرى؛ فإن نطقها بيسركليت أو بيرقليط؛ يكون هو الصواب.

٥ - وفى دائرة المعارف الكتابية: «كتب العهد القديم باللغة العبرية، فيما عدا بعض أجزاء قليلة، كتبت بالآرامية [عز ٤: ١٠٨: ١٨ و ٧: ١٢ - ٢٦ إرمياء ١٠: ١١ دانيال ٢: ٤ - ٧: ٢٨] وكانت اللغة العبرية القديمة تنقصها حروف اللين والحركات التى أدخلت إليها بمعرفة علماء اليهود «الماسورين» فى القرن السادس بعد الميلاد، على أساس النطق القديم المتواتر وقد تمت ترجمة النص العبرى إلى اليونانية بالاسكندرية فيما بين ٢٥٠ - ١٥٠ ق. م. وهى الترجمة المشهورة باسم الترجمة السبعينية، وفى الكثير من الحالات؛ تذكر الاقتباسات من العهد القديم فى العهد الجديد، نقلا عن الترجمة السبعينية، وليس عن النص العبرى رأسا.

العهد الجديد

كتب العهد الجديد باللغة اليونانية. وكان اكتشاف الكثير من أوراق البردى المكتوبة باللغة اليونانية الدارجة [الكوينى Koine] وهى اللغة التى كانت شائعة فى أزمنة العهد الجديد...



وعلى أية حال ينبغى أن نسأل النصارى هذا السؤال: لقد وعد عيسى المسيح بإرسال المعزى الروح القدس. فهل تحقق هذا الوعد؟ ومتى تحقق؟ وماهو العمل الذى يقوم به؟

يقولون: لقد وعد المسيح عيسى بإرسال المعزى الروح القدس. ولقد جاء فعلا بعد خمسين يوما من قيام المسيح عيسى من الأموات. وحامى عن النصارى الأوائل

(٣) ص ١٦٦ أديان العالم - حبيب سعيد - صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

وما يزال يحامى. يقول الانبا اثناسيوس: «إن كلمة المعزى Paraklete تعنى المحامى، ولقد قال الرب فى يوحنا ١٤ : ١٦ «وأنا أطلب من الآب فيعطيك معزيا آخر؛ ليملك معكم إلى الأبد» إنه يطلب إلى الآب أن يعطيهم «معزيا آخر إلى الأبد» أى أنه فى حال تجسده كان هو المعزى لهم والمدافع عنهم. وهذه الكلمة «باراكليت» هى التى كانت مستعملة فى القضاء بمعنى محام. فالرب هو المحامى عنا وشفيعنا بجسده وفدائه. والروح القدس يحامى هنا أيضا ويدافع عنا فى العالم، بعمله الخفى فينا، وفى الناس^(١)»

لقد بين الانبا اثناسيوس: أن كلمة المعزى ترجمة كلمة باراكليت. وأن معناها: المحامى، وأن عمله كان فى الماضى بعد رفع المسيح مباشرة وما يزال.

ويقول النصارى عن كيفية نزول المعزى. باراكليت الروح القدس مايلى:

(أ) ظل عيسى فى القبر ثلاثة أيام ثم قام من الأموات وصعد إلى السموات، ثم نزل منها وظهر للتلاميذ، وتحدث معهم عن «ملكوت الله» مدة أربعين يوما. وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يرحلوا من أورشليم، بل ينتظروا «موعدا الآب» [أعمال ١ : ٤] ثم صعد وإلى صعوده لم ينزل.

(ب) وبعد عشرة أيام من الصعود الأخير. أى بعد خمسين يوما من قيام عيسى الأول من الأموات، وحينما كان يجتمع نحو مئة وعشرين شخصا من النصارى فى منزل واحد، فى أورشليم، ومع هؤلاء مريم العذراء - رضى الله عنها - يذكرون الله ويسبحونه «لما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة وصار بغثة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملا كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلا الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى. كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» [أعمال ٢ : ١ - ٤]

(ت) هذا الصوت الفظيع مثل العاصفة الشديدة، الذى جعل لهم ألسنة غير

(١) ص ٣٠٦ تفسير يوحنا - الانبا اثناسيوس.

ألستهم، ولغة غير لغتهم. هذا الصوت كان من تأثير الروح القدس الإله الثالث حال نزوله. وقد امتلأ الجميع من الروح القدس وأصبحوا ينطقون بجميع لغات العالم. وهذا الروح القدس الإله هو الباراقليط [المعزى] الذى وعد به عيسى، ويعبرون عنه «موعد الآب»

يقول حبيب جرجس عميد الكلية الإكليركية سابقا: «إن السيد المسيح وعد تلاميذه قبل صعوده أن يرسل لهم الروح القدس بقوله لهم: «اطلب من الآب فيعطىكم معزيا آخر؛ ليملك معكم إلى الأبد» [يوحنا ١٤: ١٦] وكان - له المجد - أمرهم أن لا يرحوا من أورشليم حتى يأتهم موعد الآب [لوقا ٢٤: ٤٩] فحل الروح القدس عليهم بعد عشرة أيام من صعوده - وذلك فى يوم الخمسين - شبه السنة نارية، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلا الجميع من الروح القدس^(١)»



وإننا لنقول لهم: هذه الفكرة خاطئة بأدلة منها:

الدليل الأول:

إن أقدم نسخة خطية وجدت لسفر أعمال الرسل، هذا الذى يتحدث عن هذا الوعد وزمانه؛ لا وجود لها إلا فى القرن الرابع الميلادى، وهو القرن الذى ظهرت فيه بدعة ألوهية الروح القدس، وأقرت رسميا فى المجمع المسكونى الثانى وهو مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م. يقول الدكتور لورانس براون: «إن الأدلة المأخوذة من المخطوطات ذاتها لا تمدنا بأية معلومات إلى ما قبل القرن الرابع. وهو التاريخ الذى كُتبت فيه أقدم تلك المخطوطات^(٢)»

وفى التوراة عن يوم الخمسين هذا:

«تحتسبون لكم من غد السبت من يوم إتيانكم بحزمة التريد؛ سبعة أسابيع تكون

(١) ص ٥٢ خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

(٢) ص ٢٠ شرح سفر أعمال الرسل. الدكتور لورانس براون - نقله إلى العربية حبيب مسعد - صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية.

بها، ويجب أن يوحوا بتعاليمه بأمانة وإخلاص «إن كنتم تحبوننى» فاقبلوا المعزى الآخر، وإن كلمة «آخر» لتدل على شخص مغاير لشخص المسيح، ولا يمكن أن تدل على روح الله، الذى هو فى نظر النصارى الأرثوذكس: الآب وهو نفسه الابن، وهو نفسه الروح القدس، وهو فى نظر الكاثوليك: أقنوما متميزا؛ لأن لفظ «آخر» الذى يفيد المغايرة هو يفيد أيضا: أن المعزى سيظل باقيا إلى الأبد، ولما كان الله نفسه باق إلى الأبد، وقد كان منذ الأزل. فما معنى التنبيه بأنه سيمكث معهم إلى الأبد بطلب من عيسى لله عنه ؟ ذلك قوله: «وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزيا آخر»

وأن هذا المعزى لا يستطيع العالم أن يقبلوا شريعته ؛ لأن العالم لا يعرف يقينا عن الله ورسله. ولكن التلاميذ يستطيعون معرفته لقبول شريعته؛ لأنهم يؤمنون بالتوراة، شريعة الله، ويعرفون الله من الكتب التى يتدارسونها منذ زمن بعيد.

ولم أعلمكم كثيرا، وسوف تتسبون من القليل الذى علمته لكم شيئا. وإذا جاء «المعزى» فسوف يعلمكم الكثير، أكثر مما علمت، وسوف يذكركم بكل ماقلته لكم «وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان، تومنون»

إن اليهود أيها التلاميذ قد أنكرونى، وشكّوا فى نبوتى. وإذا جاء المعزى، فإنه سيشهد بنبوتى، وأنتم سوف تشهدون أيضا؛ لأنى من الآن قلت. وعندكم تعاليمى فى الكتب.

إن انطلاقى خير لكم؛ لأن فى انطلاقى إلى العالم الآخر، مجئ المعزى. وهو خير لكم منى، لأنه سوف يوبخ العالم^(١) على آثامهم وذنوبهم. سيوبخهم على الخطايا؛ لأنهم لا يؤمنون بى.

وسيوبخهم على البر الذى أشارت إليه التوراة «البر الأبدى» [دانيال ٩ : ٢٤] لماذا يرفضون تبرير أنفسهم. تبرير أنفسهم باتباع البر الأبدى. نبي البر الذى وعد به موسى، وتحدث عنه دانيال ؟

(١) يشير بالعالم إلى اليهود

و سيوبخهم على أنه قد استطاع هزيمة الشيطان، هذا الشيطان الذى وسوس لهم بإخفاء الحق، وإذا كان هو قد استطاع هزيمة الشيطان وأدانه وأخزاه؛ فهو بالحرى يدين الناس ويخزيهم.

إنى لأريد أن أحدثكم حديثا طويلا، ولكنكم لن تحتملوا. وإذا جاء المعزى روح الحق؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه. بل يتكلم بما يوحيه الله إليه. وسوف يخبركم بأمور تحدث مستقبلا. وإن العلم الذى يأتى به هو من الله الذى تعلمت منه.



ذلك هو المعزى الروح القدس، الذى جعله النصرى إلها ثالثا. بدون سند من النقل أو العقل؛ لتكون النبوة والكتاب فى نسل إسحق وحده. وإنه ليتعين علينا القول: بأن عيسى عليه السلام قد وعد بإرسال المعزى، ليكون معلما ومرشدا، ومويخا ومبكتا، وأنه لابد أن يكون عمل المعزى عملا دائما متصلا لا انقطاع له «يمكث معكم إلى الأبد» فما هو هذا العمل الدائم المتصل الذى لا انقطاع له الآن؟ سؤال يوجه بالضرورة إلى النصرى الذين جعلوه إلها ثالثا. وهو سؤال ضرورى لأن التوراة صرحت بأن روح الله كان يلهم ويشجع ويقوى، ولأن الإنجيل صرح بأن المعمدان كان ممتلئا من الروح القدس؛ ومات من قبل المسيح، وذكريا أبوه كان ممتلئا من الروح القدس [لو ١: ١٥] وهو كذلك حقا فى الأزمنة القديمة والأزمنة الحديثة، وإلى أن تنتهى الدنيا. وإذا كانت التوراة قد صرحت بأن الروح ملهم ومشجع ومقوى، وصرح الإنجيل؛ فما هو العمل الجديد للروح، فى نظر النصرى من بعد يوم الخمسين؟ ذلك لأنهم يصرحون بأن «الروح» قد جاء حقا، وأن الوعد قد تحقق

لقد ذكرنا وجهة نظر الأرثوذكس فى عمل الروح القدس بإيجاز. وهذه هى وجهة نظر الكاثوليك والبروتستانت بإيجاز أيضا:

يقولون: إن أعمال الروح القدس على ثلاثة أقسام:

(أ) الأعمال المنظورة (ب) الأعمال الخفية . (ت) الأعمال التي لا بد من حدوثها في المستقبل .

(أ) الأعمال المنظورة تشمل :

١ - الخلق. فكل شيء يجد في العالم من إبداع؛ فالذي أبدعه هو الروح القدس .

٢ - التحرير. كل حركة تحريرية عظمى، ضد الظلم والطغيان والفساد والشر في المجتمع البشري، تكون بإيعاز من الروح القدس .

٣ - قيادة الكنيسة. هو الذي يعين ^(١) لها القادة، ويعين لهم مكان العمل ونوعه ومجاله وزمنه وأسلوبه، ولا يترك شيئا مهما، صغير أو كبير، دون إعداد وترتيب وتنسيق وتنظيم .

٤ - الولادة الجديدة. إذا تغير قلب الخاطئ من الشر إلى الخير، يقال: إنه ولد من الروح القدس ولادة روحية .

٥ - توزيع المواهب. أي إنسان لا بد أن يكون له اتجاه محدد في فعل الخير أمام الله .

٦ - الأثمار. أي نتيجة عمل الإنسان: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاة، إيمان، وداعة، تعفف. ذلك كله من الروح القدس .

٧ - القوة الدائمة في الكنيسة. أي أن الكنيسة نشطت نشاطا عظيما بعد ظهور الروح القدس في يوم الخمسين، وغيّرت وجه العالم .

(ب) الأعمال الخفية :

أي تأثير الروح القدس في الفكر البشري. وذلك بتطهيره المنبع الذي تنبع منه هذه الأفكار، ونعني به القلب البشري .

(١) هذا اعتراف من النصاري بأن الإنسان مثير لا مخير، وقد صرح بولس بذلك، والمأثور عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الإنسان مخير، لا مثير .

(ت) أعمال الروح فى المستقبل يشمل :

١ - مستقبل المؤمن .

٢ - ومستقبل الكنيسة .

أما عن المؤمن فإن الروح يظل مصاحباً له من التجديد - أى التوبة - حتى الموت . ومثل هذا الأمر يمكن أن يقال عن الكنيسة كذلك ؛ فإن الروح لا يضمن هذه الكنيسة فى عصر دون عصر ، أو فترة دون فترة ، أو تاريخ دون تاريخ ، بل سيظل ضامناً لها على الدوام حتى تبلغ مجدها الأبدى العظيم ^(١) .



هذا مجمل مايقولونه عن عمل الروح القدس . الذى ظهر فى يوم الخمسين . وإنه لعجيب أن يكون هذا العمل جديداً فى هذه الحياة الدنيا . وذلك لأن الدنيا من أيام آدم إلى ظهور المسيح ، هى نفسها الدنيا من ظهور المسيح إلى الآن ، وإلى الأبد . سلام وخصام ، إيمان وكفر ، أمن وفرع ، لاشيء قد تغير فى طبيعة الدنيا عما كانت عليه من قبل .

وإنه لمن الممكن أن يقول اليهود عن الروح القدس كما يقول النصارى . ولكنهم لم يقولوا . فإنهم يقولون : إن الله بروحه خلق كل شيء . أى بقدرته . ومع ذلك لايقولون بأن الله شيء ، والروح شيء آخر « تُرسل روحك فتُخلق ، وتجدد وجه الأرض ^(٢) » [مزمور ١٠٤ : ٣٠] وإن التوراة تصرح أن « جِـدعون » قبل حلول الروح

(١) ص ١٩٣ إيمانى .

(٢) يقول داود عليه السلام : « ما أعظم أعمالك يارب ، كلها بحكمة صنعت ، ملائكة الأرض من غناك ، هذا البحر الكبير الواسع الأطراف . هناك دبابات بلا عدد . صفار حيوان مع كبار . هناك تجرى السفن . لو يأتان هذا ، خلقت ، ليلعب فيه . كلها إياك ترجى ، لتروقها قوتها فى حينه . تعطىها ، فلتلقط . تفتح يدك فتشيع خيراً ، تحجب وجهك ، فترتاع . تنزع أرواحها ، فتموت . وإلى ترابها ، تعود . تُرسل روحك ، فتخلق . وتجدد وجه الأرض » وقوله هذا هو نص فى نفى عذاب القبر أو نعيمه ، لأنه يقول : « إنه بعد نزاع الأرواح تعود الاجسام الى التراب . وأن الله يرسل روحه ليخلقها فى القيامة . » [مزمور ١٠٤ : ٢٤ - ٣٠] .

عليه كان أشبه بالبطل المقهور البائس، وبعد حلول الروح أصبح قوة هائلة حررت قومه من الذل [القضاة ٨] وقد كان لليهود قادة فى كنائسهم ومع ذلك لم يقولوا: بأن روح الله هو الذى كان يعين الربانيين والأحبار، ويرسلهم إلى أى مكان يشاء، وكانوا ينسبون كل شيء يحدث فى الكون إلى الله وحده. لقد جاء فى التوراة قول بنى حث لإبراهيم عليه السلام: «أنت رئيس من الله» [تكوين ٢٣: ٦] «قالت راحيل: مصارعات الله قد صارعت أختى، وغلبت» [تكوين ٣: ٨]

والتوراة تصرح بأن الروح القدس كان يحلّ على بعض الناس فى قديم الزمان. فإن بلعام بن بَعُور الذى آتاه الله آياته فانسَخ منها - كما يقول بعض مفسرى القرآن الكريم - كان عليه روح الله [العدد ٢٤: ٢] وأن شاول - طالوت - كان عليه روح الله «يحل عليك روح الرب، فتنبأ معهم» [صموئيل الأول ١٠: ٦] وأن روح الله كان فى داود عليه السلام. يقول داود لله عز وجل: «لا تطرحنى من قدام وجهك. وروحك القدوس لاتنزع منى» فإذا ما قال النصارى: إن حلول الروح فى العهد القديم قبل المسيح؛ كان حلولا وقتيا، وحلول الروح فى العهد الجديد بعد المسيح هو حلول دائم وعام وشامل ومستمر، وفى أوسع المظاهر وأكمل الأوضاع؛ يكون من اللازم عليهم أن يبينوا الفرق بين الحلول فى العهدين. وهم أنفسهم قد حلّ عليهم من بعد المسيح اضطهاد لأمثال له. فما أيديهم نار نزلت، ولا نجتهم آية ظهرت. ولم يمتازوا عن غيرهم بأى ميزة، وليس لهم فى العالم أى فضل. ولقد جاء الإسلام، وقضى على كل امتياز لهم فى بلاد الشام ومصر خاصة. ولولا أن الإسلام عاملهم بالرفق والرحمة مع وضعهم تحت الجزية؛ لقضى عليهم، وصاروا فى عداد الهالكين.



وإذا مارجعنا إلى القرون المسيحية الأولى لنسأل النصارى عن «بيركليت» الموصوف: بالروح المعزى أو روح الحق أو روح القدس. فلننا نجد أنهم كانوا يعنون بها شخصا بشريا يأتى بشرية خالدة من بعد المسيح عيسى عليه السلام:

١ - يقول الأب متى المسكين: «توجد وثيقة فى كنيسة «فيينا» ليوسابيوس القيصرى. وردت فيها كلمة «الباراكليت» كصفة أطلقت على شخصبنى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المتهمين بمسيحتهم، وهى مقالة متمعة فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص واسمه: «فيتوس. أيب. أجاتوس» بالبراكليتى؛ لأنه حامى عنهم، وتشفع لهم جهاراً، معرضاً حياته للهلاك. وهذه الوثيقة تصور كلمة «الباراكليت» تصويراً واقعياً حياً. إنما على مستوى بشرى^(١)»

٢ - ويقول الفونسوس ماريا دى ليكورى: «مونتanos ولد كما أخبر أورسى [مجلد ٢ ك ٤ عدد ١٧] فى «أردابا» وكان يقول هو وابنتيه: «إنهم قبلوا بالتمام الباراقليط الذى وعد به يسوع المسيح»

وقال عن رجل آخر اسمه مانى: «مانى كان أباً المانين، ودعى كذلك؛ لأنه نسب إلى ذاته لقب «الباراقليط» كما فعل مونتanos^(٢)»

٣ - ويتحدث زكى شنودة فى تاريخ الأقباط عن المشابهة التامة بين شخصية المسيح وبين «الباراكليت» فيقول: إن مانى «أشاع بين الناس منذ سنة ٢٦٩ ميلادية أن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصاً، وأنه هو الذى سيتمه لأنه هو «الباراقليط» وتشبه بالمسيح، فاتخذ لنفسه اثنى عشر تلميذاً، واثنين وسبعين أسقفا^(٣)، وأرسلهم إلى بلاد الشرق حتى الهند والصين؛ ليذيعوا تعاليمه^(٤)»

(١) ص ١٢ - ١٣ الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس.

(٢) ص ٣٤ تاريخ الأقباط..

(٣) هذا يؤيد قول برنابا أنهم اثنان وسبعون ولا يؤيد قول لوقا: إنهم سبعون فقط.

(٤) ص ١٤٩ ج ١ تاريخ الأقباط.

الفصل الرابع

فى

قانون الإيمان

فى نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية؛ عقد النصارى المجمع المسكونى العالمى الاول. وأصدروا «قانون الإيمان» العام. ونصه فى رواية الكاثوليك هكذا:

«نؤمن بإله واحد. أب ضابط الكل، خالق كل الأشياء، مايرى وما لايرى. ويرب واحد يسوع المسيح ابن الله. المولود من الأب، المولود الوحيد، أى من جوهر الأب. إله من إله. نور من نور. إله حق، من إله حق. مولود غير مخلوق، مساو للأب فى الجوهر^(١). الذى به كان كل شيء فى السماء وعلى الأرض. الذى من أجلنا نحن البشر. ومن أجل خلاصنا؛ نزل وتجسد وتأنس وتآلم ومات، وقام أيضا فى اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيأتى من هناك؛ ليدين الأحياء والأموات. وبالروح القدس. وأما الذين يقولون: إنه كان زمان لم يوجد فيه. وأنه لم يكن له وجود قبل أن يولد. وأنه خلق من العدم، أو أنه من مادة أو جوهر آخر، أو أن ابن الله مخلوق أو أنه قابل للتغيير أو متغير؛ فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية^(٢)» ونصه فى رواية الأرثوذكس هكذا:

«نؤمن بإله واحد. الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض. مايرى وما لايرى. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور. نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للأب فى الجوهر. الذى به كان كل شيء. الذى من أجلنا نحن البشر. ومن أجل خلاصنا؛ نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء وتأنس. وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى

(١) المعنى فى الأصل: ذو جوهر واحد مع الأب (كلام مؤلف إيمانى ص ٦٦)

(٢) ص ٦٥ - ٦٦ إيمانى أو قضايا المسيحية الكبرى - تأليف القس إلياس مختار - دار الثقافة المسيحية بالقاهرة - مطبعة دارالعالم العربى سنة ١٩٧٥ بمصر.

وتألم وقبر. وقام من الأموات فى اليوم الثالث. كما فى الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه. وأيضا: يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات. الذى ليس للملكه انقضاء^(١)



وفى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م رادوا على العبارات السابقة مايلى:

النص فى رواية الكاثوليك هكذا: «وبالروح القدس الرب المحيى، المنبثق من الآب، الذى هو مع الآب والابن. مسجود له وممجّد. الناطق بالانبياء^(٢)»

النص فى رواية الأرثوذكس هكذا: «ونؤمن بالروح القدس المحيى المنبثق من الآب، المسجود له مع الآب والابن، الناطق فى الانبياء. وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ونعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وترجى قيامة الأموات. وحياة الدهر الآتى آمين^(٣)»



وفى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م وضعوا مقدمة لقانون الإيمان. هذا نصها «نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجّدك أيتها العذراء المقدسة. والدة الإله^(٤) لأنك ولدت لنا مخلص العالم. أتى وخلص نفوسنا. المجد لك يا سيدنا وملكتنا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا. نبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد. نسجد له ونمجّده. يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك آمين^(٥)، أ. هـ.

(١) ص ٩٩ - ١٠١ خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - تأليف حبيب جرجس - طبعة وزارة المعارف بمصر سنة ١٩٢٦م.

(٢) ص ٦٦ إيمانى. (٣) ص ١٠١ خلاصة الأصول الإيمانية.

(٤) لقب والدة الإله أو أم النور باللغة اليونانية (ثيوتوكوس) وإذا كان المسيح فى نظرهم إلها فأمه إلهة من باب أولى، ولفظ «الإله» على المسيح عندهم على المعنى الحقيقى، وعلى مريم عندهم على المعنى المجازى وهو «سيدة» فى الزبور: «أنا قلت: إنكم آلهة» أى سادة. رجالا ونساء، ومريم إله عندهم على هذا المعنى المجازى. فاللفظ واحد على مريم والمسيح. وهو على مريم بمعنى سيدة.

(٥) ص ٥٣ العذراء فى التاريخ الكنسى - تأليف القس يوسف أسعد - مطبعة دار العالم العربى بمصر سنة ١٩٤٤م وانظر ص ١٨ ج ١ تاريخ الأقباط.

وفى مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ ميلادية

قرر الكاثوليك: أن المسيح له طبيعتين ومشيئتين. طبيعة إنسانية كاملة، وطبيعة إلهية كاملة. وله مشيئة إنسانية كاملة، ومشيئة إلهية كاملة. أى أن الآب مستقل بأقنومه، والمسيح مستقل بأقنومه، وهما متساويان فى اللاهوت فقط.

وقد رفض الأرثوذكس هذه العقيدة، واعتبروا: الله هو المسيح، والمسيح نفسه هو الله. قالوا: إن المسيح له طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة.

يقول مؤلف تاريخ الأقباط: «عقد مجمع خليقدونية أولا فى القسطنطينية، ثم انتقل إلى خليقدونية بالقرب من البفور، وقد حضره أساقفة روما، كما حضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومنعه أساقفته، وقد اشتد الخلاف بين الفريقين فى اليوم الأول، حتى إذا كان اليوم الثانى للمجمع؛ منع البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة، واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق وحكموا بعزل ديسقورس ونفيه، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين، ولاتعترف الكنيسة القبطية بمجمع خليقدونية ولابقراته، كما لاتعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك، فى سنة ٥٥٣ وسنة ٦١٠ وسنة ٧٨٦ لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية، فى الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة»^(١)

وفى تاريخ الكنيسة للآب جان كُمبى - دار المشرق بيروت.

قانون الإيمان النيقاوى الكاثوليكي

«نؤمن بإله واحد. أب. ضابط الكل، خالق كل الأشياء. ما يُرى وما لا يُرى. وبرب واحد يسوع المسيح. ابن الله الوحيد، المولود من الآب. أى من جوهر الآب. إله من إله. نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. له وللآب جوهر واحد (هو مو أو سيوس) به كان كل شيء. ما فى السماء، وما على الأرض. الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا؛ نزل من السماء، وتجسد، وصار إنسانا، وتألم وقام فى اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسيأتى ليدين الأحياء والأموات.

(١) ص ١٧٩ ج ١ تاريخ الأقباط.

ونؤمن بالروح القدس .

والذين يقولون: كان وقت لم يكن فيه الابن، وقبل أن يولد؛ لم يكن، وقد خُلِقَ من العدم، أو الذين يعلنون أن ابن الله من أقنوم آخر (هيو ستايس) أو من جوهر آخر (أوسبا) أو أنه خُلِقَ أو أنه خاضع للتغير أو التبذل؛ فالكنيسة الجامعة الرسولية؛ تحرّمهم



الإضافة على قانون الإيمان في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م

أضاف إليه فقرة عن الروح القدس، وهى: «نؤمن بالروح القدس. الرب المالك والمحى والمنبثق من الآب. الذى مع الآب والابن؛ يُسجد له، ويمجد»
وقد أضاف اللاتين فى القرن الثامن عبارة: «والابن» فصارت تقرأ: «المنبثق من الآب والابن»

وفى تاريخ الكنيسة للآب جان كُمبى - دار المشرق ببيروت. ١١٩ هـ مانصه تحت

| أريوس | ألكسندروس |
|---|--|
| ١ - لم يوجد الكلمة مع الآب من الأزل | ١ - وُجِدَ الكلمة مع الآب منذ البدء |
| ٢ - خُلِقَ الكلمة من العدم | ٢ - لم يُخْلَقْ لابن، بل هو الذى خلق كل شيء |
| ٣ - ليس الكلمة ابنا للآب بالطبيعة، ويحصر المعنى | ٣ - الكلمة هو ابن بالطبيعة لا بالتبني |
| ٤ - طبيعة الابن لا تصور من طبيعة الآب | ٤ - للابن طبيعة مساوية لطبيعة الآب |
| ٥ - بدأ الكلمة فى الوجود بفعل من إرادة الآب | ٥ - الكلمة موجود باتحاده بجوهر الآب |
| ٦ - الكلمة بطبيعته خاضع للتغير جسدياً وأدياً | ٦ - الكلمة فى طبيعته الإلهية لا يخضع للتغير أو الألم |

وقانون الإيمان النيقاوى هو الذى عرضه أوسابيوس القيصرى - وهو قانون كنيسته - على المجتمعين فى المجمع بحضور الإمبراطور قسطنطين، وقبله المجمع. وعلى طلب قسطنطين وبمشورة أوسيسيوس أضاف الأساقفة عند الكلام عن «ابن الله» صفة «هو مو أوسيسوس» Homooousios التى تعنى أن الابن هو نفس ("Ousia") جوهر الآب، أو مساو لجوهر الآب (Abstantiel Cons)

تلك هى عقيدة النصارى فى المسيح عيسى ابن مريم وأمه، وهى عقيدة ابتدعوها من بعد المسيح بأربعة قرون. ولا سند لها من التوراة ولا من الإنجيل ولا من العقل السليم. وسوف نتعرض لهذه العقيدة ببيان زائد فيما بعد. ونكتفى هنا بنقد موجز لقانون الإيمان. وقد مضى نقد، وسيأتى نقد.

١ - «نؤمن بإله واحد. الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض. ما يُرى وما لا يرى» هذا حق. لأنه فى التوراة: «اعلم اليوم وردد فى قلبك: أن الرب هو الإله فى السماء، من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه» [تثنية ٤: ٣٩] «الرب إلهنا رب واحد» [تثنية ٦: ٤] «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواى» [إشعيا ٤٥: ٥] «ليس أنا الرب، ولا إله آخر غيرى؟ إله بار. ومخلص. ليس سواى» [إش ٤٥: ٢١] وفى الإنجيل: ^(١) «الله واحد هو» [رومية ٣: ٣٠] «ليس إله آخر إلا واحدا؛ لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة. سواء كان فى السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرن وأرباب كثيرن، لكن لنا إله واحد. الآب الذى منه جميع الأشياء. ونحن له» [١ كورنثوس ٨: ٤ - ٦] «المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده له عدم الموت ساكننا فى نور لا يندى منه. الذى لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه. الذى له الكرامة والقدرة الأبدية» [١ تيموثاوس ٦: ١٥ - ١٦] هذا القول يثبتُ الانفراد لله تعالى بالالوهية. وأنه هو البادئ بالخلق والاختراع. فدخل فى هذه

(١) لاحظ: اعتراف بولس بأن الله واحد. وهذا هو الذى لقي الله عليه. أما العبارات التى تدل على أنه وضع الالوهية على عيسى. فإنها قد حشرت فى رسائله من بعد موته وفرتها كل طائفة على حسب معتقدها فى المسيح. وغرض بولس وشيعته هو تطبيق نبوءات التوراة التى هى لمحمد على عيسى فى مجيئه الثانى والمناداة بترك العمل بالتوراة.

المخلوقات: المسيح، والروح القدس. وغير ذلك. لأنهما إن كانا مرتين كالأجسام والأعراض، فالآب الواحد خالقهما. وإن كانا غير مرتين كالعقول والأرواح - على القول باستقلال كل عن الجسد - فالآب خالقهما وصانعهما، وهذا كلام حسن لو ثبتوا عليه، غير أنهم نقضوه على الفور. وقالوا:

٢ - «نؤمن برب واحد: يسوع المسيح»

وهذا يعنى أنهما إلهان منفصلان «نؤمن بإله واحد: - الآب - ونؤمن برب واحد: يسوع» أى أن هناك إله، وهناك رب. وهذا مخالف لما ثبت من التوراة والإنجيل. إذ فيهما: إله واحد. وكيف يكون المسيح ربا وهو أقل رتبة من الملائكة؟ يقول بولس: «ولكن الذى وُضع قليلا عن الملائكة يسوع؛ نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت؛ لكى يذوق بنعمة الله الموت؛ لأجل كل واحد» [عبرانيين ٢: ٩] وكونه «مسيحا»^(١) يدل على أنه كسائر البشر المسحاء فى عرفهم: يستلزم له ماسحا.

٣ - «ابن الله الوحيد، المولود من الآب، قبل كل الدهور. نور من نور»

هذا القول يدل على أن المسيح: مخلوق. إذ لا معنى لكونه ابنه؛ إلا تأخره عنه. إذ الوالد والولد لا يكونان معا فى الوجود، وكونهما معا مستحيل ببداثة العقول.

٤ - «إله حق، من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب فى الجوهر»

لو كان المسيح إلهًا. لكان يعرف الغيب، ولكنه لم يعرف. ولو كان من جوهر الآب، لعلم ما يعلمه الآب. فثبت: أنه إنسان حق. يقول المسيح «وأما ذلك اليوم»^(٢)

(١) أصل كلمة المسيح من المسح بالزيت أو الدهن. ثم صارت تعنى مجازا المصطفى من الله نبيًا أو علما أو ملكا. أو من يجمع الصفات الثلاثة، أو من يجمع صفتين، والمسيح عيسى كان يجمع صفتين صفتي النبوة والعلم ولم يكن ملكا.

(٢) راجع علامات ابن الإنسان فى كتابنا البشارة بنبي الاسلام فى التوراة والإنجيل. والمراد باليوم: هو يوم دخول المسلمين أرض فلسطين.

وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن . إلا الآب»
 {مرقس ١٣ : ٣٢} وهم يطلقون لفظ الجوهر^(١) على الله . وذلك محال . إذ الجوهر
 مفترق فى وجوده إلى عرض يقوم به . والقديم - جل جلاله - بخلاف ذلك .
 ٥ - «الذى به كان كل شيء»

هذا يعنى : أن المسيح موجود فى الزمن قبل خلق العوالم . وكيف يكون ذلك ،
 وأمه أسبق منه فى الزمن ؟ ثم إذا كانت العوالم من خلقه هو ، فلماذا قال إبليس
 للمسيح : «إن خررت وسجدت لى ؛ أعطيك ممالك العالم ؟» وكيف يجرب الشيطان
 الإله ، والإله خالق الكل ؟ «ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا . وأراه جميع
 ممالك العالم ومجدها ، وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حيثئذ
 قال له يسوع : اذهب يا شيطان ؛ لأنه مكتوب : للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد»
 [متى ٤ : ٨ - ١٠]

٦ - «الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من
 الروح القدس»
 هم يقولون : المسيح تكون بكلمة^(٢) الله «كن» فقولهم : إن المسيح نزل من
 السماء باطل :

١ - لأن اسم «المسيح» لا يخص الكلمة على مجردها . ولا الجسد على مجردة ،

(١) العرض : الصفة . والجوهر : هو الجزء الذى لا يتجزأ . لا يقبل القسمة أصلا لا قطعاً ولا كسراً ،
 ولا وهما ولا فرضاً مطابقاً للواقع . وإلا فقد يفرض العقل المحال . ومعنى كونه حادثاً : أنه مسبوق
 بالعدم لأنه لا معنى للمحادث إلا ما كان مسبوقاً بالعدم . وجميع الأجسام متركبة منه فهى حادثة والعالم
 بجميع أجزائه حادث . هذا مذهب المسلمين . وقالت الفلاسفة : جميع الأجسام متركبة فى الهيولى أى
 المادة كالطين بالنسبة للإبريق ومن الصورة وهى عندهم جوهر حال فى غيره كالإبريقية الحال فى الطين .
 وأما عندنا فهى عرض لا جوهر (جوهر التوحيد لليجورى ص ٢٤٦ - طبعة الأزهر)

(٢) يقول يوحنا : «فى البدء كان الكلمة» والمراد بالكلمة «المسيا المنتظر» أى كان وعد الله بإرساله
 على لسان إشعياء - الأصحاح الأربعون - «وأما كلمة إلهنا فثبت إلى الأبد» { انظر كتابنا الاقتباسات }

بل هو اسم يخص هذا الجسد المأخوذ من ^(١) مريم ^(٢) والكلمة. ولم تكن الكلمة فى الأزل تسمى مسيحا. فبطل أن يكون هو الذى نزل من السماء.

٢ - لأنهم يقولون: «تجسد من الروح القدس» لو كان الذى نزل من السماء هو المسيح، لم يكن لتجسده ثانيا معنى، فتجسد المتجسد محال.

٣ - ولأن الموصوف بالتزول. لا يخلو أن يكون الكلمة أو الناسوت. فإن زعموا: أن الذى نزل هو الناسوت، فذلك كذب. لأن ناسوته مكتسب من جسد مريم. وإن زعموا أنه اللاهوت. قلنا لهم: أتعتنون الأب أو صفته. وهى «العلم» فإن زعموا الأب نزل من السماء وتجسد؛ لزمهم لحق النقائص بالبارى بالاكل والشرب والقتل وحصر الشيطان وغير ذلك. وإن زعموا أنه العلم المعبر عنه بالكلمة. قلنا لهم: لو جاز تجسده، لجار بقاء البارى بلا علم أو علم قائم بغيره. وكلاهما محال. والتزول والصعود والحركة والانتقال مستحيل عليه تعالى وعلى صفاته. وإذا كان ذلك كذلك؛ بطل أن يكون النازل من السماء هو المسيح. لأن المسيح اسم موضوع للمعنيين: الكلمة والجسد - عندهم - وإن قالوا: نعنى كلمة «كن» وحدها لاسائر كلام الله، نقول: فلماذا تجسدت هى وحدها دون سائر كلمات الله ؟

٧ - «وتجسد من الروح القدس»

(١) ثبت من الإنجيل أن المسيح شخص، والروح القدس شخص آخر. «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له. فرأى روح الله. نازلا مثل حمامة، وآتيا عليه» [متى ٣: ١٦] وهذا يعنى - إن سلمنا بالنص - أن الأقاليم ذوات متميزة لأذاتا واحدة فى مراحل ثلاث.

(ب) ثم إن المتجسد من الشيء إنما يصح لو كان من جنسه. كالماء مع الماء، والنار مع النار، ولاتجانس بين الإله والإنسان، وبين القديم والحادث.

(ت) وإن سلمنا باعتقادهم أن المسيح تجسد من الروح القدس، فإنه يلزم عليه: أن يكون المسيح ابن الروح القدس، لا ابن الله.

٨ - «وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء»

فى الإنجيل يقول لوقا: «لكن العلى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى. كما يقول النبى: «السما كرسى لى. والأرض موطنى لقدمى. أى بيت تبنون لى ؟ يقول الرب ؟» [أعمال الرسل : ٤٨ - ٥٠] لقد ادعوا أن الله سكن بطن مريم، مع أن الله لا تناله الأيدى، ولا مكان لراحته، ولما كان قد صبح أن المسيح مولود، فهو إذا مخلوق من الله.

٩ - «وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه»

أولا: لم يصعد أحد إلى السموات، ورأى المسيح جالسا عن يمين أبيه، ثم عاد إلى الأرض وأخبر به. ثانيا: من يجلس على يمين شيء أو جهة من جهاته؛ فإنه يدل على حدوث الشئين معا. ولاخلاف بينهم فى أن جسد يسوع حادث. فإذا قالوا: إن الجسد الحادث قد جلس عن يمين أبيه، فقد اعتقدوا أن البارى تعالى جسم من الأجسام. وفى ذلك يساوا حشوية اليهود، الذين قالوا بأن الله تعالى فى صفة شيخ أبيض الرأس واللحية، وأنه ينزل إلى الأرض ويتردد فيها.

وقد جمعوا فى هذا الموضع بين أمرين^(١) متناقضين: وهو أنهم قالوا: إن المسيح خالق كل شيء. فإذا قالوا هنا: إن اليهود قتلوه وصلبوه، يلزم عليه: أن يكون اليهود المخلوقين، قتلوا الإله الخالق لكل شيء. وهذا باطل.

١٠ - «وأىضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات. الذى ليس للملكه انقضاء»
إن المسيح لما جاء إلى الحياة الدنيا متجسما؛ أهين إهانة بالغة من اليهود. ولم يستطع أن يحمى نفسه - كما قالوا - فإذا ما أتى ثانية وهو هو؛ فإنه يحتمل أن يكن عاجزا كالمرءة الأولى، ويحتمل أن يكون قويا. والشك فى قوته أقرب من اليقين؛ لأنه كان إلها عاجزا فى الحياة الدنيا. فبطل أن يكون ديانا للأحياء وللأموات؛ لمجرد الاحتمال على أبسط تقدير. هذا مع ما فى الإنجيل من أنه لن يأتى مرة أخرى. وهو قوله: «ولست أنا بعد فى العالم» [يو ١ : ١١]

(١) هما: أن المسيح هو الخالق، وأن اليهود قتلوه.

ثم إنكم تقولون: بأن المسيح قُتل وصلب، ليفدى البشر من خطية آدم. وإذا كان البشر قد رَفَع عنهم الخطأ؛ فكيف يكون مجازيا للمحسن وللمسيح؟

١١ - «نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب»

قالت النصارى عن المسيح: إنه «المولود من الآب» وقال الأرثوذكس عن الروح القدس إنه «المنبثق من الآب» وهذا يعنى: أن المسيح بن مريم وروح القدس أخوان، وأن الله أبوهما. وقد ثبت فى إنجيل متى: أن المسيح ليس مولودا من «الآب» بل حبل به من الروح القدس. فأيهما تصدق: قانون الإيمان أم إنجيل متى؟ يقول متى: «ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا: يا يوسف بن داود: لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك؛ لأن الذين حبل به فيها هو من الروح القدس» [متى ١: ٢٠]

وقد كذَّب الكاثوليك قانون الإيمان هذا، واعتبروا الروح القدس منبثق من الآب والابن^(١).

١٢ - «وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية»

يعنون الذين كتبوا قانون الإيمان. وفى الإيمان بقانون الإيمان كفر بالتوراة والإنجيل للذين صرحا بوحداية الله.

١٣ - «ونعترف بعمودية واحدة لغفران الخطايا»

هذا يعنى: أن غفران الخطايا يكون بسبب المعمودية. والمعمودية عندهم هى: تغطيس الإنسان فى الماء ثلاث دفعات على مذهب الأرثوذكس، ورشه بالماء على مذهب الكاثوليك^(٢). وهذا لأصل له فى التوراة. والذى هو فيها: هو تقديم القرايين والذبايح من المخطئ إلى الكاهن [لاويين ٥] أما المعمودية فبدعة؛ لأن المسيح لم يأت لنسخ التوراة. ويزعم النصارى: أن المعمودية حلت محل الختان للذكور.

ولقد قالوا: إن الخطايا قد غُفرت بقتل المسيح وصلبه. ولذلك سموه حمل الله الذى يرفع خطية العالم «هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» [يوحنا ١: ٢٩]

(١) أنظر الجزء الأول من تاريخ الأقباط لذكى شنودة - طبعة ١٩٦٨ م بمصر فى الخلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك. صفحة ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق.

لقد وقعوا فى تناقض بين أمرين: هل غفران الخطايا بالمعمودية، أم بموت المسيح ؟ فإذا آمنوا بأن المعمودية الواحدة هى التى تغفر خطاياهم وتخلصهم من ذنوبهم، فقد صرحوا بأنه لا حاجة لقتل المسيح. وذلك لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة.



ولقد لاحظ ذلك كله أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. المتوفى سنة ٢٥٥ هـ فقال فى رسالته المصممة «فى الرد على النصارى» مانعه:

«ولو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم فى المسيح؛ لما قدرت عليه حتى تعرف به حدّ النصرانية، خاصة قولهم فى الإلهية. وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصرانى نسطورى، فسألت عن قولهم فى المسيح، لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطورى مثله، فسألت عن قوله فى المسيح؛ لأتاك بخلاف قول أخيه وضده، وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ؟ ولذلك صرنا لانعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان^(١)». أ. هـ .

وسبب اضطرابهم كما قلنا: هو خلطهم بين الله - عز وجل - وبين النبی المنتظر الذى حلف اليهود نبوءات التوراة عنه؛ ليزعموا أنه يأتى منهم لا من بنى إسماعيل عليه السلام. خلطهم بين الله، والابن، والروح القدس. وقولهم هم واحد. كيف يكون ذلك، ولا مساواة بين الخالق وسائر الخلق ؟

(١) ص ٢٢ ثلاث رسائل للجاحظ - الأولى فى الرد على النصارى، سعى فى نشره: يوشع فنكل - الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ المطبعة السلفية بمصر.

الفصل الخامس

فى

أقانيم الأرثوذكس والكاثوليك

النصارى فى العالم فريقان كبيران:

١ - نصارى الشرق، ويسمون: الأرثوذكس. وراثستهم فى مصر.

٢ - نصارى الغرب، ويسمون: الكاثوليك. وراثستهم فى روما. والبروتستانت مع الكاثوليك فى عقيدة الأقانيم^(١)

عقيدة الأرثوذكس:

يعتقد الأرثوذكس: أن الله واحد فى أقانيم ثلاثة هكذا:

الله عز وجل - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - نزل من السماء، واختبأ فى بطن مريم العذراء تسعة أشهر، وكان لما دخل بطنها؛ نطفة؛ ثم علقه، ثم مضغه، ثم أصبح جنينا كاملا، ثم خرج طفلا. اسمه عيسى^(٢). ونما كما ينمو الأطفال، ولما بلغ سن الثلاثين؛ بلغ الرسالة، وبعد ستين وأشهرًا قتله اليهود وصلبوه. ثم دفن فى القبر ثلاثة أيام، ونزل إلى الجحيم وهو فى القبر. ثم خرج فى اليوم الثالث وصعد إلى السموات. ويسمى: الآب قبل التجسد. ويسمى: الابن بعد التجسد. ويسمى: الروح القدس. الاسم الذى كان له قبل إنشاء العالم. أى أن عيسى هو الله خالق السماء والأرض، والله هو عيسى.

ويستدلون على مذهبهم بقول منسوب للقديس بولس وهو: «الله ظهر فى الجسد». تبرر فى الروح، تراءى للملائكة، كُرِّز به بين الأمم، أومن به فى العالم.

(١) الأرثوذكس قديما يسمون: اليعاقبة، والكاثوليك قديما يسمون: الملكانية (انظر: الملل والنحل. للإمام الشهر ستانى)

(٢) الاسم الاصلى العبرى: يهوشوع وتفسيره: الله مخلص. ثم صارت يشوع. ثم يسوع. وأما اسم عيسى فمن اليونانى: إيسا. وينطق فى حالة الرفع: إيسوس.

يقول حبيب جرجس عميد الكلية الإكليريكية بمصر سابقا: «إن فادينا العظيم قد تنازل عن سماء مجده، وقَبِلَ أن يتحد بالإنسان باتخاذَه جسدا حقيقيا بنفس عاقلة ناطقة، فحبل به بقوة الروح القدس في بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء، آخذا كل ماننا ماعدا الخطيئة؛ لأنه قدوس القديسين. وقد مثل آباء الكنيسة اتحاد اللاهوت بالناسوت بمثل تقريبي يبين لنا هذا الاتحاد الشريف: وهو أن الإنسان مركب من جزئين. أحدهما: الجسد الكثيف المأخوذ من التراب. وثانيهما: النفس العاقلة أو الناطقة. ومع وجود هذين الشيئين واتحادهما بدون اختلاط ولا امتزاج؛ يصيران شخصا واحدا ذا طبيعة واحدة. هكذا اتحاد اللاهوت بالناسوت. فاللاهوت هو الجزء البسيط، والناسوت هو الجزء الكثيف. مع النفس الناطقة، وباتحادهما معا بدون اختلاط ولا امتزاج؛ صار المسيح ذاتا واحدة. جوهرها واحدا، طبيعة واحدة، مشيئة واحدة^(١)»

عقيدة الكاثوليك:

يقولون: إن الآلهة ثلاثة متميزون ومتفصلون: الآب - الابن - الروح القدس. يقول الكاثوليك في شرح الآية الأولى من إنجيل يوحنا: «والكلمة كان عند الله:» يعنى: أن الكلمة متميز عن ولده، فالآب غير الابن. والابن غير الآب. ومع ذلك فهما شئ واحد، في الطبيعة والذات والحكمة^(٢)»



والاقانيم على مذهب الأرثوذكس: مراحل. لأن الله انقلب إلى إنسان، واتخذ جسد إنسان. فله طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة. والاقانيم على مذهب الكاثوليك والبروتستانت: ذوات متميزة؛ لأن عيسى كما جاء في كلام أثناسيوس: «مساو للآب بحسب لاهوته، ودون الآب بحسب ناسوته» ومع هذا التمييز يقول الكاثوليك والبرتسانت: بأن الله واحد. لثلا يكذبوا التوراة والإنجيل المصريحين بالوحدانية. جاء

(١) ص ٢٨ - ٢٠ خلاصة الاصول الايمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الارثوذكسية.

(٢) ص ٤٧٩ المجلد الثالث - حواش على الكتاب المقدس للكاثوليك - طبعة بيروت سنة ١٩٦٨ م.

فى كلام أناسيوس: «وهو إن يكن إليها وإنسانا، إنما هو مسيح واحد، لا اثنان. ولكن واحد ليس باستحالة لاهوته إلى جسد، بل باتخاذ الناسوت إلى اللاهوت. واحد فى الجملة، لا باختلاط الجوهر، بل بوحداية الأقنوم»
و تعبر كلمة «ثرياس» اليونانية عن الأقانيم الثلاثة. ثم استعملت كلمة «ترينيتاس» ومعناها «الثالث» للدلالة على النصرانية.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الأقانيم على المذهبين بقوله تعالى: (ولا تقولوا ثلاثة)^(١) وأشار القرآن إلى مذهب الأرثوذكس بقوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم)^(٢) وأشار القرآن إلى مذهب الكاثوليك بقوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة)^(٣)
وإمعانا فى تمويه الحقائق وتشويهها؛ أثاروا نقاشا طويلا حول «أقنوم الابن» قالوا: هو «علم الله وكلمته وحكمته» فالآب: هو الله. والابن: كلمة الله. هما شخص واحد فى نظر الأرثوذكس، وهما ذوات مستقلة فى نظر الكاثوليك، فالكلمة القديمة - وهى علم الله - انفصلت عن الله وتجسدت. ويعبرون عن العلم بالعقل. ويقولون بانفصال الإنسان عن جسده، وبانفصال روحه عن جسده.
وفى اللغة اليونانية ثلاثة كلمات للتعبير عن معنى «كلمة»:

١ - الكلمة المجردة، مجرد لفظ يعبر عنها: Rhema

٢ - الكلمة التى تفيد جملة، أو تدل على مثل، أو التى يقولها شخص فتؤخذ

منه باعتبارها كلمته. يعبر عنها: إفوس Epos

٣ - الكلمة بمعنى النطق والفكر. يعبر عنها: لوجوس Logos

ويقول النصارى: إن اللوجوس هو الذى يدل على «الابن» يقول الأنبا أناسيوس بعد ما قدمنا: «واستعمل القديس يوحنا لفظة Logos للدلالة على الأقنوم الثانى،

(١) النساء ١٧١

(٢) المائدة ٧٢

(٣) المائدة ٧٣

وهو لفظ بعيد كل البعد عن مجرد مايعنيه لفظ كلمة فى اللغة العربية، أو Word فى الإنجليزية أو ماشابهها ^(١) .

ويجدر بنا أن نذكر هنا صورة القانون الذى نادى به أثناسيوس ، ونسب إليه ^(٢) والذى يتمسك به الكاثوليك والبروتستانت حرفيا، لنعرف منه بوضوح تمييز الأقانيم وانفصالها. إن صورة هذا القانون يعرضها القس إلياس مقار هكذا:

- ١ - «إن كل من ابتغى الخلاص، يجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الكاثوليكي، أى الإيمان الجامع للكنيسة المسيحية.
- ٢ - وهذا الإيمان كل من لا يحفظه دون إفساد، يهلك بدون شك هلاكا أبديا.
- ٣ - الإيمان الكاثوليكي هو: أن نعبد إلها واحدا فى تثليث. وثالوثا فى توحيد
- ٤ - لانمذج الأقانيم ولا نفصل الجوهر.
- ٥ - إن للآب أقنوما على حده، وللابن أقنوما على حده، وللروح القدس أقنوما آخر.
- ٦ - ولكن الآب والابن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساوى، وجلال أبدي معا.
- ٧ - كما هو الآب كذلك الابن. وكذلك الروح القدس.
- ٨ - الآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.
- ٩ - الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.
- ١٠ - الآب سرمد، والابن سرمد، والروح القدس سرمد.
- ١١ - ولكن ليسوا ثلاثة سرمدين، بل سرمد واحد.
- ١٢ - وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولا ثلاثة غير محدودين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدود.

(١) ص ٤٩ تفسير يوحنا للأبنا أثناسيوس

(٢) يقول مؤلف: إيماني: «لا نستطيع أن نجزم من الوجهة التاريخية الخالصة عما إذا كان القانون الاتناسي المعروف باسمه يرجع إليه أم لا ؟» { ص ٦٣ }

١٣ - وكذلك الآب ضابط الكل، والابن ضابط الكل، والروح القدس ضابط الكل.

١٤ - ولكن ليسوا ثلاثة ضابطى الكل، بل واحد ضابط الكل.

١٥ - وهكذا الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله.

١٦ - ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.

١٧ - وهكذا الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب.

١٨ - ولكن ليسوا ثلاثة أرباب. بل رب واحد.

١٩ - وكما أن الحق المسيح يُكلفنا أن نعرف بأن كلا من هذه الأقانيم بذاته: إله ورب.

٢٠ - كذلك الدين الكاثوليكي ينهانا عن أن نقول: بوجود ثلاثة آلهة، وثلاثة أرباب.

٢١ - فالآب غير مصنوع من أحد، ولا مخلوق. ولا مولود.

٢٢ - والابن من الآب وحده غير مصنوع ولا مخلوق. بل مولود.

٢٣ - والروح القدس من الآب والابن ليس بمصنوع ولا مخلوق، ولا مولود بل منبثق

٢٤ - فلذا أب واحد، لا ثلاثة آباء. وابن واحد، لا ثلاثة أبناء، وروح قدس واحد، لا ثلاثة أرواح قدس.

٢٥ - وليس فى هذا الثالث من هو قبل غيره، أو بعده. ولا من هو أكبر منه ولا أصغر منه.

٢٦ - ولكن جميع الأقانيم سرمديون معاً، ومتساوون.

٢٧ - ولذلك فى جميع ما ذكر يجب أن نعبد الوجدانية فى ثالث، والثالث فى وحدانية.

٢٨ - إذأ من شاء أن يخلص، فعليه أن يتأكد هكذا فى الثالث.

٢٩ - وأيضاً من يلزم له الخلاص؛ أن يؤمن كذلك بأمانة، بتجسد ربنا يسوع المسيح.

٣٠ - لأن الإيمان المستقيم هو: أن نؤمن ونقر: بأن ربنا يسوع المسيح: ابن الله؛ هو

إله وإنسان.

٣١ - هو إله من جوهر الآب. مولود قبل الدهور، وإنسان من جوهر أمه، مولود في هذا الدهر.

٣٢ - إله تام، إنسان تام، كائن بنفس ناطقة، وجسد بشرى.

٣٣ - مساو للآب بحسب لاهوته، ودون الآب بحسب ناسوته.

٣٤ - وهو وإن يكن إلها وإنسانا إنما هو مسيح واحد لا اثنان.

٣٥ - ولكن واحد ليس باستحالة لاهوته إلى جسد. بل باتخاذ الناسوت إلى اللاهوت.

٣٦ - واحد في الجملة، لا باختلاط الجوهر. بل بوحداية الأقسام.

٣٧ - لأنه كما أن النفس الناطقة والجسد، إنسان واحد، كذلك الإله والإنسان مسيح واحد.

٣٨ - هو الذى تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم^(١) وقام أيضا فى اليوم الثالث من بين الأموات.

٣٩ - وصعد إلى السماء. وهو جالس عن يمين الآب الضابط الكل.

٤٠ - ومن هناك يأتى ليدين الأحياء والأموات.

٤١ - الذى عند مجيئه يقوم أيضا جميع البشر بأجسادهم. ويؤدون حسابا عن أعمالهم الخاصة.

٤٢ - فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية. والذين عملوا السيئات يدخلون إلى النار الأبدية.

٤٣ - هذا هو الإيمان الكاثوليكي الذى لا يقدر الإنسان أن يخلص من دون أن يؤمن به، بأمانة ويقين^(٢) أ. هـ.

(١) ص ٦٣ - ٦٥ إيماني.

(٢) أى عالم الأرواح أو الهاوية أو بقاء المسيح تحت سلطان الموت إلى اليوم الثالث (كلام مؤلف إيماني

ص ٦٥)

وإن سألت النصارى: لم ظهر الله فى الجسد ؟ لأجابوا جميعا بما يلى:

لما خلق الله آدم وحواء وأسكنهما الجنة، أمرهما أن لا يأكلا من شجرة الخلد، فعصيا الأمر وأكلا. لذلك صارا خاطئين، واستحقا الطرد من الجنة، واللعن من الله. ولما كانا قد طردا ولعنا، فإن الله ظل غاضبا على أولادهما، وظل يحسب عليهم جميعا إثم آدم وحواء، حتى جاء المسيح، وقُتل كفارة عن خطايا البشر. يقول جيب جرجس:

«إن خطية آدم عمّت جميع نسله، وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشرى، وصار محكوما عليهم بأن يُولدا أئمة، وعبيدا للخطية والموت. وذلك لأن آدم لم يلدهم إلا وهو فى حالة الإثم والمعصية والغضب، فبناء عليه كان جميع الجنس المتناسل منه بالطبيعة آثما ومخطئا وواقعا فى المعصية، ومعاقبا عليها. كما عوقب آدم وزوجته من قبل. ولذلك حسبت المعصية عليهم كما حسبت عليه... ولما فد الجنس البشرى وصار الناس مستعبدين للخطيئة وأبناء للمعصية والغضب؛ لم يتركهم الله يهلكون بانغماسهم فيها، بل شاء بمجرد رحمته أن ينقذنا من الهلاك بواسطة فاد يقدنا من حكم الموت. وهذا القادى ليس إنسانا ولا ملاكا ولا خليقة أخرى، بل هو مخلصنا وفادينا؛ ابن الله الوحيد. ربنا يسوع المسيح. الذى له المجد إلى الأبد. آمين^(١)»



هذا القول يعنى: أن الله قد غضب على الجنس البشرى. وأنه هو نفسه نزل من علياء مجده؛ ليحل فى بطن امرأة. ثم يأخذ جسد إنسان، ثم هو نفسه يُقتل على أيدي اليهود الآثمين، ثم يوضع فى القبر وينزل إلى النار؛ ليعذب فيها ثلاثة أيام. ثم يقوم ناقضا أوجاع الموت، ويصعد إلى السموات.

إننى لا أستطيع أن أفهم الحكمة من ذلك. لأن غضب الله على آدم وحواء. إن كان فهو بالضرورة واقع عليهما أنفسهما - وقد تابا - لا على أبنائهما من بعدهما. كيف وفيهم أنبياء ورسول هم آباء المسيح نفسه بحسب الام ؟ فيهم على سبيل المثال:

(١) ص ٢٣ - ٢٧ خلاصة الأصول الإيمانية.

إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون وزكريا ويحيى - عليهم السلام -

ثم غضب الله على إنسان يعنى: أن يتقرب هذا الإنسان من الله؛ ليرفع غضبه عنه، لا أن يُهلك الله نفسه من أجل الإنسان. هذا الذى كان معدوما من قبل. ومعلوم بداهة: أن الحاجة من الإنسان إلى الله، وليست الحاجة من الله إلى الإنسان. كيف وقد كان الله كائنا قبل وجود الناس ؟

ثم إننا نسأل النصارى هذين السؤالين: هل تغير حال الدنيا من بعد المسيح عما كان قبله ؟ سيقولون: لا. هل أنتم امتزتم عن سائر الناس بشيء ؟ سيقولون: لا. ذلك لأنه لامزية لهم على سائر البشر، فإنهم يكدّون ويكدحون فى طلب الرزق والسعى فى الأرض كسائر الناس. منهم الفقير والغنى. وإن التوراة قد فرضت أحكاما فى العبادات والمعاملات. قد التزم بها عيسى وتلاميذه وعمل بها وأمر أتباعه أن يعملوا بها ومن لا يعمل بها يعتبر ملعونا «ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها» [التثنية ٢٧: ٢٦] وأن التوراة لتصرح بأن من لا يعمل بالشريعة وكذلك الإنجيل لن ينجو من عذاب جهنم. فى تورا موسى التوراة العبرانية المتداولة حاليا عن يوم القيامة يقول الله تعالى: «أليس ذلك مكنوزا عندى ؟ مختوما عليه فى خزائى ؟ لى النعمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» [التثنية ٣٢: ٣٤] وفى التوراة السامرية: ^(١) «أليس ذلك مكنوزا عندى ؟ ومختوما عليه فى خزائى إلى يوم الانتقام» وفى الإنجيل: «خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تُعشرك؛ فاقطعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله وفى جهنم» [متى ٥: ٢٩ - ٣٠] فأى مزية لهم وهم كسائر الناس ؟ وأى تغير فى الدنيا قد حصل من بعد المسيح، وماتزال الدنيا مليئة بالخير والشر، وبالسرور. والأحزان، وبالسلام والحرب، وبالأمن والخوف ؟

وإذا كان ذلك هو قصد الله - عز وجل - فلماذا لم يعلنه للجنس البشرى من بدء الخليقة على ألسنة الأنبياء والرسل ؟ لماذا لم يوضحه موسى فى كتابه ؟ ولماذا لم

(١) انظر ص ٩ التاريخ مما تقدم عن الآباء - تأليف أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى - طبع ألمانيا

إن كتاب موسى قد وضع: أن كل امرئ بما كسب رهين: وكذلك وضع كتاب المسيح يقول الله فى التوراة: «لَا يُقْتَلُ الْآبَاءُ عَنِ الْوُلَادِ، وَلَا يُقْتَلُ الْوُلَادُ عَنِ الْآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيئَتِهِ يَقْتُلُ» [الثنية ٢٤ : ١٦] ويقول: «النفس التى تخطئ؛ هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بَرُّ الْبَارِ؛ عَلَيْهِ يَكُونُ. وَشَرُّ الشَّرِيرِ؛ عَلَيْهِ يَكُونُ» [حزقيال ١٨ : ٢٠] وفى إنجيل متى يقول المسيح فى موعظة الجبل: «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا؛ أَشْبَهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخَرِ؛ فَتَزُلُّ الْمَطَرُ وَجَاءَتْ الْأَنْهَارُ وَهَبَتِ الرِّيحُ وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَلَمْ يَسْقُطْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخَرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا يَشْبَهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ فَتَزُلُّ الْمَطَرُ وَجَاءَتْ الْأَنْهَارُ، وَهَبَتِ الرِّيحُ، وَصَدَمَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ. وَكَانَ سَقُوطُهُ عَظِيمًا» [متى : ٢٤ - ٢] وفى سطر الحكمة فى الأصحاح العاشر: أن آدم تاب، وتاب الله عليه. والتائب من الذنب، كيف تنتقل ذنوبه إلى أبنائه ؟

على أنه قد ورد فى كتب التواريخ المسيحية المدونة من قبل ظهور الإسلام بكثير: أن المسيح لم يقتل ولم يصلب. وهذا يعنى الشك - على أقل تقدير - فى عقيدة الصلب والفداء، وأنها ليست محل إجماع. حينما توجه جند الرومان بمساعدة تلميذ عيسى الذى خانته، ويُدعى «يهوذا الاسخريوطى» للقبض على عيسى؛ ألقى الله - عز وجل - القادر على كل شيء؛ شبه عيسى على ذلك التلميذ، فأخذه مستيقنين أنه عيسى وقتلوه وصلبوه. يقول برنابا: «دخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أٌصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياما. فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه، فصار شبيهاً بيسوع، حتى أننا اعتقدنا أنه هو يسوع. أما هو فبعد أن أيقظنا؛ أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ؟ لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت هو ياسيد هو. معلمنا. أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسما: هل أنتم أغبياء حتى لاتعرفون يهوذا

الإسخرىوطى ؟ وبينما كان يقول هذا، دخلت الجنود وألقوا بأيديهم على يهوذا؛ لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه» [برنابا ٢١٦ : ١ - ٩]

وقال مؤلف فى هذا الشأن: إن فى الأناجيل الأربعة مايوحى بإلقاء شبه عيسى على شخص آخر؛ لأنهم سوف يشكّون فيه. هل هو هو أم لا ؟ «قال لهم يسوع: كلکم تشکون فى هذه الليلة» [متى ٢٦ : ٣١ مرقس ١٤ : ٢٧] ففى هذا الشك مايدل على إلقاء الشبه على غيره.

والحق: أن من أوصاف النبى الآتى على مثال موسى: أنه لا يقتل بيد أعدائه؛ وهم يريدون وضع النبوءات عنه على عيسى. وإذا هم وضعوها وقالوا بقتله؛ فإنه يلزم الشك فى أن عيسى هو النبى الآتى. ولتفادى هذه الشبهة فى المستقبل؛ كتبوا أنه قال لهم: «كلکم تشکون فى هذه الليلة»

و يقول القديس الفونسوس ماريا دى ليكورى. فى الجزء الخاص ببدء القرن الأول المسيحى فى كتابه «تاريخ الأرطقات مع دحضها»: إن باسيليدى كما كتب فلورى نفسه، يقول: إن نوس هذا الذى هو يسوع المسيح، كان قوة غير هيولية، وكان يتشع ماشاء من الهيئات. ولذا لما أراد اليهود صلبه، أخذ صورة سمعان القروى، وأعطاه صورته. فُصِّل سمعان لا يسوع، الذى كان يسخر باليهود. ثم عاد غير منظور وصعد إلى السماء»^(١)

ويقول جورجى زيدان: «الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب حقيقة، وإنما صلب رجل آخر مكانه»^(٢)

ولماذا قال النصارى بالخلاص ؟ لأن من أوصاف النبى الآتى على مثال موسى أن

(١) ص ١٧ تاريخ الأرطقات مع دحضها المعنون انتصار الديانة، ترجمه من الإيطالية الخورى يوسف إلياس الدبس المارونى سنة ١٨٥٢ مطبعة الرهبة اللبنانية ١٨٦٤ م.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامى ج ١ ص ٥٤ طبعة دار الهلال بمصر.

يخلص المؤمنين به من أمم الكفر بالحرب والقتال. ولما أرادوا وضع نبوءات التوراة عنه على عيسى عليه السلام، ابتدعوا هذه البدعة. وهى: أن الخلاص ليس بالحرب وفتح البلاد بقوة السيوف والرماح؛ وإنما هو خلاص من الخطايا. وقد قام به المسيح على الصليب. وكل ذلك هو للغو فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

والعقل يستطيع دحض هذه العقيدة تماما. لأن وجود الله داخل بطن مريم تسعة أشهر؛ يستلزم منه: أن يكون غافلا عن شيء من العالم، فى هذه المدة. ووجوده مقتولا ومصلوبا؛ يستلزم منه: أن يكون عاجزا عن حماية نفسه. فضلا عن حماية غيره.

إن العقل ليقول:

١ - إن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسما ولا متحيزا ولا عرضا. وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشرى الجسمانى الذى وُجد بعد أن كان معدوما، وقُتل بعد أن كان حيا - على قولكم - وكان طفلا أولا، ثم صار مترعرا ثم صار شابا. وكان يأكل ويشرب، ويحدث وينام ويستيقظ. وقد تقرر فى بدائه العقول: أن المحدث لا يكون قديما، والمحتاج لا يكون غنيا، والممكن لا يكون واجبا، والمتغير لا يكون دائما.

٢ - إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسمانى المشاهد، أو يقال: حل الإله بكليته، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه. والاقسام الثلاثة باطلة. أما الاول: فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم. فحين قتله اليهود، كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم. فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله؟ ثم إن أشد الناس ذلا ودناءة هم اليهود. فالإله الذى تقتله اليهود هو إله يكون فى غاية العجز. وأما الثانى: وهو أن الإله بكليته حلّ فى هذا الجسم؛ فهو أيضا فاسد؛ لأن الإله. إن لم يكن جسما ولا عرضا؛ امتنع حلوله فى الجسم. وإن كان جسما فحيثُذ يكون حلوله فى جسم آخر، عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم. وذلك يُوجب وقوع التفرقة فى أجزاء ذلك الإله. وإن كان عَرَضاً، كان محتاجا إلى المحل، وكان الإله محتاجا إلى غيره. وكل ذلك سخيف. وأما الثالث: وهو أنه حلّ فيه بعض من أبعاد الإله وجزء من أجزائه. فذلك أيضا محال؛ لأن ذلك الجزء. إن كان معتبرا فى الإلهية فعند انفصاله

عن الإله، وجب أن لا يبقى الإله إلها. وإن لم يكن معتبرا فى تحقيق الإلهية ، لم يكن جزءا من الإله.

٣ - لقد ثبت بالتواتر: أن عيسى - عليه السلام - كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى. ولو كان إلها لاستحال ذلك. لأن الإله لا يعبد نفسه. وهو قد قال للشيطان: «مكتوب: للرب إلهك، تسجد، وإياه وحده، تعبد» [متى ٤ : ١٠]

إن العقل يستطيع دحض هذه العقيدة بمثل ما قدمنا. ولكن النصارى أنفسهم يقولون: إن عقيدتنا فوق مستوى العقول، وإننا لانفهمها، وإنها سر يستحيل على العقل أن يتصوره وأن يتخيله، فضلا عن أن يسلم بإمكانه. وإذا كان هذا هو رأيهم، فماذا نقول لهم ؟ ولماذا نجهد أنفسنا فى مناقشتهم بالعقل ؟ إنه يتعين علينا أن نناقشهم بنصوص من التوراة والإنجيل؛ لأن هذه الكتب موحى بها من الله - فى نظرهم - وهم يتعلمون منها، ويعلمون بها.

يقول القس إلياس مقار تحت عنوان «الإيمان بالثالوث فى الإله الواحد»: «إن الله الواحد الشخص الروح. ذو ثلاثة أقانيم. وواضح أن هذه العقيدة عما تنفرد به المسيحية عن غيرها من الديانات والفلسفات القديمة والحديثة. إذ لامراء أن صفحات التاريخ لم تسجل على وجه الإطلاق عقيدة اعتنقها دين أو فكر كهذه التي يؤمن بها المسيحيون. على أننا ونحن نتأمل هذه العقيدة بشيء من التفصيل والتوضيح، لامندوحة لنا من الاعتراف بأننا إزاء سرٍّ من أعمق أسرار الوجود والحياة. وإذا كان «أوغسطينوس» و «كلفن» قد اعترفا بأن اللغة اللاتينية على ما فيها من غنى وجمال؛ عاجزة كل العجز عن التعبير عن كنهها وعمقها؛ فإننا نقول ما هو أكثر. إذ نقول: إن بيان البشر أو الملائكة أعجز من أن يسبر غورها، إلا إذا أمكنه أن يبلغ المستحيل^(١)»

إن التوراة تصرح بأن الله واحد لا شريك له فى ملكه، وأنه هو وحده خالق السموات والأرض، وأنه هو وحده يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير. وليس كمثله شيء. وهو السميع البصير.

(١) ص ٦٠ - ٦١ إيماني.

١ - «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد؛ فتحبّ الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصّها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك، وحين تمشى فى الطريق، وحين تنام، وحين تقوم. واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك، وعلى أبوابك» [الثنية ٦ : ٤ - ٩]

٢ - «احمدوا الرب، لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته. احمداوا إله الإلهة؛ لأن إلى الأبد رحمته. احمداوا رب الأرباب؛ لأن إلى الأبد رحمته. الصانع العجائب العظام وحده. لأن إلى الأبد رحمته» [مزمور ١٣٦ : ١ - ٦]

والأنجيل المعترف^(١) بها تصرّح بوحدانية الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله :

١ - فى إنجيل يوحنا قال المسيح لله عز وجل: «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته» [يوحنا ١ : ٣] فقد بين عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية هى عبارة عن أن يعرف الناس: أن الله واحد حقيقى، وأن عيسى عليه السلام رسوله. وماقال: إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتارة بامتيار حقيقى، أو أن عيسى. إنسان وإله. أو أن عيسى إله مجسم. وإذا ثبت أن الحياة الأبدية هى اعتقاد التوحيد لله، واعتقاد الرسالة للمسيح؛ فضدهما يكون موتا أبديا، وضلالا بينا.

٢ - فى إنجيل مرقس: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون. فلما رأى أنه أجابهم حسنا. سأله: أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هى: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هى الوصية الاولى. وثانية مثلها هى: تحبّ قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. فقال له الكاتب: جيّدا ياعلم بالحق قلت؛ لأنه الله واحد وليس آخر سواء. ومحبه من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة. ومحبة القريب كالنفس؛ هى أفضل من جميع

(١) التاموس: التوراة والأنبياء: كتب الانبياء الذى أتوا من بعد موسى.

المحرقات والذبائح. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيدا عن ملكوت الله» [مرقس ١٢: ٢٨ - ٣٤] وفي الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى قال المسيح بعد ذكر الحكمين السابقين: «بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس^(١) كله والأنبياء» فعلم: أن أول الوصايا - الذى هو مصرح به فى التوراة وفى جميع كتب الأنبياء، وهو الحق، وهو سبب قرب الملوك - أن يعتقد الإنسان بأن الله واحد، ولإله غيره.

٣ - قال عيسى عليه السلام: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الابن^(٢) إلا الآب» [مرقس ١٣: ٣٢] وهذا القول ينادى على بطلان التثليث. لأن عيسى عليه السلام خصص علم الغيب بالله، ونفاه عن نفسه، كما نفاه عن عباد الله الآخرين، وسوى بينه وبينهم فى هذا. فلو كان المسيح إلها متجسدا، لعلم. ولو كانت كلمته هى التى تجسدت لعلم أيضا؛ لأن الكلمة عندهم قديمة أزلية ومنفصلة عن الله القديم الأزلى. وهى والله - على رأيهم - شيء واحد.

٤ - فى إنجيل متى: «وإذا واحد تقدم، وقال له: أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل؛ لتكون لى الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعونى صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد. وهو الله» [متى ١٩: ١٦ - ١٧] فهذا القول يقلع أصل التثليث لأنه مارضى تواضعا أن يطلق عليه لفظ الصالح. ولو كان إلها، لما كان لقوله معنى، ولكان عليه أن يبين: لا صالح، إلا الآب وأنا وروح القدس.

٥ - فى إنجيل متى: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلى إيلى لما شبقتنى؟ أى إلهى إلهى لماذا تركتنى^(٣)؟... فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح» [متى ٢٧: ٤٦ - ٥٠] وفى إنجيل لوقا: «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبته فى يديك أستودع روحى. ولما قال هذا، أسلم الروح. فلما رأى قائد المئة

(١) الاناجيل المعترف بها هى:

١ - متى ٢ - مرقس ٣ - لوقا ٤ - يوحنا.

(٢) يقصد الابن فى قول داود «أنت ابنى»

(٣) اعلم: أن «إلهى إلهى لماذا تركتنى؟» و «يا أبته فى يديك أستودع روحى» هما نبوءتان عن محمد ﷺ فى سفر المزامير. وقد طبقتهما النصارى على المسيح وهو على الصليب. وهذا مبين فى كتابنا {اقتباسات كتاب الاناجيل من التوراة}

ماكان؟ مجدّ الله قائلا: بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً» [لو ٢٣ : ٤٦ - ٤] وهذا القول ينفي ألوهية المسيح رأسا. سيما على مذهب الأرثوذكس القائلين بالانقلاب؛ لأنه لو كان إلهها لما استغاث بإله آخر، ولامتنع العجز عليه والموت. لأنه فى التوراة: «أما عرفت أم لم تسمع ؟ إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض؛ لا يكلّ ولايعيا. ليس عن فهمه فحص» [إشعيا ٤٠ - ٢٨]

٦ - قال المسيح لمريم المجدلية: «لاتلمسينى؛ لأننى لم أصعد بعدُ إلى أبى، ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم» [يوحنا ٢٠ - ١] فسوّى بينه وبين الناس فى هذ القول «أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم» لكيلا يقولوا عليه الباطل، فيقولوا: إنه إله أو ابن إله. فكما أن تلاميذه عباد لله، وليسوا بأبناء لله حقيقة، بل بالمعنى المجازى. كما يقول الشيخ لتلميذه يابنى؛ فكذلك هو عبد لله وليس بابن الله حقيقة. ولما كان هذا القول منه بعد ما قام من الأموات - على زعمهم - قبل رفعه إلى السماء بقليل. ثبت: أنه كان يصرح بأنى عبد الله إلى زمان الرفع. وهذا القول يطابق ما أوحى الله عنه فى القرآن الكريم: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(١)

٧ - قال عيسى عليه السلام: «لأن أبى أعظم منى» [يوحنا ١٤ : ٢٨] ففيه أيضا نفى لآلوهيته؛ لأن الله ليس كمثله شيء، فضلا عن أن يكون أعظم منه.

٨ - قال المسيح: «الكلام الذى تسمعون، ليس لى، بل للآب. الذى أرسلنى» [يوحنا ١٤ : ٢٤] ففيه أيضا تصريح بالرسالة، ويأن الكلام الذى تسمعون وحى من جانب الله.

ومن يبحث عن ذات الله فى التوراة والإنجيل يجد حقيقة واحدة لاختلاف فيها. وهى: أن الله واحد، ولاشريك معه، وليس كمثله شيء: فإن أول آية فى التوراة تنص: «فى البدء خلق الله السموات والأرض» أى أن الله وحده هو الخالق، ولاشريك

معه. وأنه هو وحده الذى بارك نوحا عليه السلام أول نبي صاحب دعوة عالمية «وبارك الله نوحا وبنيه» [تك ٩ : ١] وأنه هو وحده الذى تحدث عنه ملك ساليم [أورشليم = القدس] فقال عنه لإبراهيم عليه السلام: «مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض. ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك» [تكوين ١٤ : ١٩ - ٢٠] وأنه هو الذى تحدث مع إبراهيم «وقال له: أنا الله القدير سر أمانى، وكن كاملا» [تك ١٧ : ١] وأنه هو الذى قال عنه إبراهيم نافيا عنه الظلم: «أديان كل الأرض لا يصنع عدلا؟» [تك ١٨ : ٢٥] وهو نفسه الإله الذى طلب منه إسحق عليه السلام أن يبارك يعقوب. إذ قال ليعقوب: «ليعطك الله من ندى السماء» [تك ٢ : ٢٨] وهو نفسه الإله الذى نادى يعقوب عليه السلام: «قال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق» [تك ٢٨ : ١٣] وهو نفسه الإله الذى به بارك يعقوب أولاده، وأوصاهم حين حضره الموت: «ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم» [تك ٤٨ : ٢١] ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه، ضم رجله إلى السرير وأسلم الروح» [تك ٤٩ - ٣٣] وهو نفسه الإله الذى ظهر لموسى عليه السلام فى طور سيناء، وقال له: «لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجلك؛ لأن الموضع الذى أنت واقف عليه: أرض مقدسة. ثم قال: أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» [خروج ٣ : ٥ - ٦] وأنه هو الذى كلم موسى قائلا: «أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أسمى» [خروج ٢٠ : ١ - ٢] ولقد قال موسى: (أرنى أنظر إليك). فقال له: «لا تقدر أن ترى وجهى؛ لأن الإنسان لا يراى ويعيش» [خروج ٣٣ : ٢٠] وبناء على ذلك: فإن من يكون مرثيا لا يكون إلهًا. ويقول الله عن نفسه: «أنا أنا هو، وليس إله معى. أنا أميت وأحى» [تث ٣٢ : ٣٩] وقد وصفه موسى بقوله: «ليس مثل الله» [تشية ٣٣ : ٢٦]

هذا هو الله وحده. كما تحدثت عنه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام. إله واحد لا شريك معه، ولا يقدر إنسان أن يراه. وليس كمثله شيء. الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى تحدثوا عن الله بمثل ما تحدث عنه السابقون،

ووصفوه بالأوصاف الواردة عنه فى توراة موسى. ففى زبور داود عليه السلام مانصه: «من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة. منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» [مزمو ر ٩٠ : ٢] وفيه: إن كل شيء كان بكلمة الله «بكلمة الرب صنعت السموات، وبنسة فيه كل جنودها» [مزمو ر ٣٣ : ٦]

وفى سفر الملوك الأول يقول سليمان عليه السلام عن الله تعالى مانصه: «هل يسكن الله حقا على الأرض ؟ هو ذا السموات وسماء السموات لاتسعك» [الملوك الأول ٨ : ٢]

وفى سفر إشعياء ما نصه: «حقا أنت محتجب ياإله إسرائيل» [إشعياء ٤٥ : ١٥]

وفى سفر يونان: أن يونس عليه السلام لما ذهب إلى أهل نينوى «وقال بعد أربعين يوما تنقلب نينوى، فأمن أهل نينوى بالله» [يونا ن ٣ : ٤ - ٥] وفى سفر ملاخى وهو آخر أسفار الأنبياء فى التوراة العبرانية: «أليس أب واحد لكلنا ؟ أليس إله واحد خلقنا ؟» [ملاخى ٢ : ١٠]

فأنت ترى مما تقدم: أن ناموس موسى، والأنبياء، تحدثوا عن الله الواحد، وبينوا: أنه لاشريك له، وليس كمثله شيء، وهو فى كل مكان، ولا يُوصف بصفات الحوادث.



ترى بعد ذلك ماذا يقول المسيح بن مريم عليه السلام وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل؟ إنه سارع على الفور فى بدء نبوته، وألقى خطبة على الجبل قال فيها مانصه: «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء» [متى ٥ : ١٧]

لم ينسخ كتاب موسى ولا كتب الأنبياء الذين أتوا من بعده. وبناء عليه: فإنه قد اعترف بالإله الواحد، الذى لا شريك له وليس كمثله شيء، كما اعترف به الرسل السابقون عليه. ولو كان هو مغيرا لهذه العقيدة، لما كان

بصرح بالتزامه بالناموس والأنبياء، وكان بصرح بالعقيدة الجديدة التى يُريد أن يوضحها للناس. ولما كان هو قد التزم بالناموس والأنبياء؛ فإنه يكون مقرا بالوحدانية للإله جل جلاله.

وهذا هو ما صرح به كتاب الأناجيل عنه. فلما متى يقول: «جاء إلى يسوع كتبة وقريسيون الذين من أورشليم قائلين: لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ؟ فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا؟ فأجاب وقال لهم: وأنتم أيضا: لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟ فإن الله أوصى قائلا: أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أبا أو أما؛ فليمت موتا، وأما أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو أمه: قربان هو الذى تنتفع به منى. فلا يكرم أباه، أو أمه. فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم» [متى ١٥: ١ - ٦] لقد رى متى: أن المسيح كان أستاذا. له تلاميذ، وأنه كان يعلمهم وصايا الله، الذى نقل شريعته إلى الناس موسى، وأنه وبخهم على إبطالهم لوصايا الله الواردة فى التوراة، وعلى اتباعهم لكلام علمائهم الذين شرعوا لهم مالم يأذن به الله.



وفى كتب تواريخ النصارى، وتفسير أناجيلهم المعتبرة: أن الأحزاب من بينهم قد اختلفوا من بعد رفع المسيح إلى السماء. واذكر ههنا شواهد يسيرة للبيان:

أ - فى كتاب تاريخ الأقباط:

١ - قال باريليدس: «حين أراد اليهود أن يصلبوه - أى المسيح - اتخذ صورة سيمعان القروى، وأعطاه صورته؛ فصُلب سمعان، أما يسوع فقد صعد إلى السماء. وقد نشر باريليدس مذهبه بين الناس سرا؛ فتبعه كثيرن، واستمر هذا المذهب قائما حتى أواخر القرن الرابع^(١)»

(١) ص ١٤٥ تاريخ الأقباط ج ١.

- ٢ - قال بولس السمساطي: «إن ابن الله لم يكن من الأزل. بل ولد إنسانا»^(١)
- ٣ - قال آريوس: «الآب أقدم من الابن، لأنه خلق الابن من العدم، فالابن إذاً غير مساو للآب في الجوهر. لأنه أدنى منه في الطبيعة والمنزلة»^(٢)
- ٤ - قال مكيدونيوس: «إن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، وليس أفنوما متميزا عن الآب والابن»^(٣)
- ٥ - قال نسطور: «إن مريم لم تلد إلهًا. بل مايولد من الجسد ليس إلا جسدا، ومايولد من الروح هو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق، بل ولدت إنسانا هو آلة اللاهوت»^(٤)
- ٦ - قال أوطاخي: «إن طبيعة المسيح الناسوتية، اندمجت في اللاهوتية»^(٥)
- ٧ - قال يوليانوس الهليكارنوس سنة ٥١٩ م: «إن الطبيعة الإلهية اتحدت بجسد السيد المسيح، منذ قبل به، فتغير في طبيعته، وصار عديم الفساد»^(٦)
- ٨ - قامت في القرن السادس طائفة تعارض رأى يوليانوس وتقول: «إن جسد المسيح كان نظير جسدا قابلا للفناء والفساد»^(٧)
- ٩ - روى مؤرخو اللاتين والأروام: أن البابا دميان البطريك الخامس والثلاثين في القرن السادس، اعتقد أن لكل من الأقانيم الثلاثة وجودا خاصا، وأن للثلاثة معا وجودا رابعا^(٨).
- ١٠ - وزعم «لوكيوس» في القرن التاسع أن الروح القدس منبثق من الآب والابن^(٩).

ب - في كتاب: تفسير إنجيل يوحنا للأبنا أثناسيوس مانصه:

- | | |
|----------------|----------------------|
| (١) ١٤٨ ج ١. | (٦) ص ١٦٥ - ١٦٦. |
| (٢) ص ١٥١ ج ١. | (٧) ص ١٦٦ - ١٦٧ ج ١. |
| (٣) ص ١٦٠. | (٨) ص ١٦٦. |
| (٤) ص ١٦١. | (٩) ص ١٦٧. |
| (٥) ص ١٦٤. | |

١ - «الأيونيون: - وهم جماعة من المؤمنين من أصل يهودى - اعتبروا التمسك بالفروض اليهودية، وطقوس الآباء ضرورة على المسيحيين، ثم فى حماسهم الزائد لموسى والأنبياء؛ اعتبروا السيد المسيح مجرد ابن داود^(١) بدن وجود قبل التجسد، ومجرد نبي ممتاز كانوا ينتظرونه^(٢) وسموا أنفسهم الأيونيين، من الكلمة العبرانية Ebyon ومعناها فقير.

٢ - وشابهم فى اعتقادهم تلاميذ يوحنا^(٣) الذين بدورهم اعتبروا السيد المسيح شبيها بيوحنا، وتابعا له، وأنكروا لاهوته^(٤)،

(١) أى وند فى مملكة اليهود العبرانيين.

(٢) ليس فى تورا موسى نبوءات عن المسيح عيسى عليه السلام إلا الرمز فى قوله «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعيم... الخ» فالإشراق من سعيم إشارة إلى علماء بنى إسرائيل الهارونيين ومنهم المسيح الذى اصطفاه الله نيا.

(٣) يوحنا المعمدان هو النبی يحيى عليه السلام... وهو غير كاتب إنجيل يوحنا. فالكاتب من تلاميذ المسيح.

(٤) من ٢١ - ٣٢ تفسير يوحنا.

الفصل السادس

فى

أقانيم الأقدمين

مالذى أوحى إلى النصرارى بعقيدة الثالوث، وليس من سند لهم. لا من التوراة، ولا من الإنجيل ؟ وكيف أقنعوا الناس بهذه الفكرة ؟ ينبغى أن نقول أولا: إن العالم كله كان من قبل موسى - عليه السلام - لا يعبد الله حق عبادته، ولا يعرف الله حق معرفته. وأن الله قد أرسل موسى بالتوراة هداية لقومه وللعالم، وأن قومه لم يؤمنوا به كما ينبغى، ولا العالم أيضا. يقول تعالى عن العرب: (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم، فيقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فاتبع آياتك، ونكون من المؤمنين، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا: لولا أوتى مثل ما أوتى موسى، أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ؟ قالوا: سحران تظاهرا. وقالوا: إنا بكل كافرون. قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما. أتبعه . إن كنتم صادقين ^(١)) إن كفرهم بكتاب موسى. هذا الكتاب الذى كان من قبل القرآن هدى ورحمة، وكان هداية للإنس وللجن؛ يدل: على أن العرب كانوا مكلفين به. وكفروا به. وإذا كان هذا هو شأن العرب ذرية إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فما ظنك بغيرهم من الأمم ؟

ومن المعلوم للناس جميعا: أن بنى إسرائيل لم يقوموا بالدعوة إلى الله خير قيام. ولم يجاهدوا فى سبيله حق جهاده. من بعد سبى «بابل» فإنه لما جاءهم «نبوخذ ناصر» ملك «بابل» وساق أعيانهم وعلماءهم أسرى إلى «بابل» هنالك فكروا فى قصر الدعوة عليهم وحدهم، وللغرياء الساكنين معهم. وترك الأمم فى طغيانهم يعمهون.

ولقد ظهر عيسى - عليه السلام - بعد ستة قرون من سبى بابل، وويخهم على

احتكارهم الشريعة لأنفسهم، وترك العالم من حولهم فى ضلال مبین. ومع احتكارهم شريعة الله لأنفسهم؛ لم يعملوا بها. يقول لهم عيسى عليه السلام:

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون، لأنكم تُغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون» [متى ٢٣ : ١٣] وقد أصلح عيسى ما استطاع إصلاحه من عاداتهم وأحوالهم، ونظمهم وشرائعهم . وفسر لهم ما كانوا فيه يخطئون. وكان جزاؤه: أن اضطهدوه اضطهادا عنيفا، وحاولوا قتله مرارا. لولا أن كف الله أيديهم عنه. ومن بعد رفعه إلى السماء؛ اجتهد اليهود فى ضياع دعوته، ماوسعتهم قوتهم. إما بالصلاح وإما بالفكر. ولما كانوا عاجزين عن ضياع الدعوة بالصلاح ضياعا كلياً؛ لوقعهم تحت سيطرة الرومان. لجأوا إلى سلاح الفكر. يُلبسون به الحق بالباطل، ويحرفون به الكلم من بعد مواضعه. وعن مواضعه.

ظهر منهم «بولس» وهو يهودى صميم. يقول عن نفسه: «أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس» [أعمال ٢٢ : ٣] وقد اعترف النصارى بظلمه لهم أول الأمر. فقالوا: «كان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت، ويجبر رجالا ونساء، ويسلمهم إلى السجن» [أعمال ٨ : ٣] ولما علم بولس اليهودى أن اضطهاد النصارى لايجدى؛ تظاهر باعتناق النصرانية. وقال للنصارى: إتنى حزين جدا على اليهود الذين لم ينتصروا «إن لى حزنا عظيما، ووجعا فى قلبى لاينقطع. فلانى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل إخوتى. أنسابى حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون، ولهم التبنى، والمجد والعهود والاشترac والعبادة والمواعيد. ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل. إلها مباركا. إلى الأبد» [رومية ٩ : ١ - ٥] وبعد ما بين لهم. أن المسيح «إلها مباركا إلى الأبد» بين لهم: أن العمل بالتوراة لايجوز ولافائدة منه. فقال بصريح العبارة: «إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كائنكم عاثشون فى العالم، تُفرض عليكم فرائض. لا تمسّ، ولا تذق، ولا تمسّ. التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال، حسب وصايا وتعاليم الناس» [كولوسى ٢ : ٢٠ - ٢٢] وشدد على إلغاء أحكام التوراة. فقال: «فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو

شرب، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التى هى ظل الأمور العتيدة» [كورلوسى ٢ : ١٦ - ١٧] وبين سبب إهماله التوراة فى قوله لأهل غلاطية: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس. إذ صار لعنة لأجلنا» [غلاطية ٣ : ١٣] وفى قوله لأهل أفسس عن المسيح: «لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدا. ونقض حائط السياج المتوسط. أى العداوة، مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض» [أفسس ٢ : ٤ - ١٥] وفى قوله للعبرانيين: «لأنه إن تغير الكهنوت؛ فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضا» [عبرانيين ٧ : ١٢] ثم يقول بعد ذلك لهم: «فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب؛ لما طُلب موضع لثان» [عبرانيين ٨ : ٧] ويقول أيضا عن التوراة؛ إنها قريت من الاضمحلال: «وأما ماعتق وشاخ، فهو قريب من الاضمحلال» [عبرانيين ٨ : ١٣]

واليهود زمن وجودهم فى بابل من سنة ٥٨٦ ق. م كانوا قد اطلعوا على عادات أهل بابل وتقاليدهم، وعلى أديانهم ومعتقداتهم، وقرأوا كتبهم. واطلعوا على آدابهم وفلسفاتهم، ولما رجعوا إلى بلادهم؛ نقلوا معهم أفكارا كثيرة اقتبسوها من بلاد بابل ومن بلاد فارس. لما وقعوا تحت أيديهم. ومن هذه الأفكار. عقيدة التثليث. هذه العقيدة هى التى ذكرتهم أن يجعلوا المسيح هو الآب وهو الابن، وهو الروح القدس. كذبا. هو الكل فى الكل. خالق السموات والأرض. ورازق الناس وقد كان فى الزمن القديم تقارب بين الأمم، فأهل بابل مرة يسيطون نفوذهم على جميع البلاد، ومرة يكون النفوذ للفرس، ومرة يكون النفوذ لليونان، ومرة للرومان. ولقد كانت الأفكار الرئيسية فى بلد ما تنتقل إلى البلاد الأخرى نتيجة الغزو والاحتلال غالبا.

وقد كان اليهود منذ زمن بعيد مقطعين فى الأرض أئما. منهم الصالحون ومنهم دون ذلك. وكان منهم فريق فى مصر، لهم معابد ومدارس. وكذلك فى اليمن وفى فارس وغيرهم من البلاد الكبيرة. وما من شك فى أنهم كانوا يتزاورون، ويتبادلون المعارف والعلوم، وكانوا على علم تام بما يجرى فى العالم من حولهم، وما يميز به كل إقليم.

لكن ماهو السبب الذى جعل اليهود يفكرون فى تاليه الآب والابن والروح القدس ؟
إن السبب - كما قد أوضحنا من قبل - هو أن الله عز وجل قد أعطاهم النبوة
والكتاب. وأرشدهم إلى أن نبيا سوف يأتى من ذرية إسماعيل عليه السلام وإذا جاء؛
يؤمنون به، وينصرونه. ولما علموا أن زمنه قد اقترب، وأنه إذا جاء؛ سيكون له النفوذ
عليهم. حاولوا تشكيك الناس فى اسمه، وفى بلده، وفى نسبه، وفى أوصافه، وفى
زمن مجيئه. فادعوا: أن هذا النبى سيكون منهم لا من بنى إسماعيل.

ولقد اغتاظوا جدا من المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. لأنه جاءهم بما
لانهى أنفسهم. جاءهم بقوله: إن النبى المنتظر سيكون من نسل إسماعيل، وسيكون
اسمه أحمد «پيركليت» وسيأتى من بعده قريبا، وسيهلك اليهود الذين يناوئونه،
وسيملك على بلاد الشام كلها، وسينسخ شريعة موسى بن عمران.

من أجل ذلك طلبوا قتل المسيح عيسى وصلبه، واضطهدوا أتباعه، وفكروا فى
طريقة تشوش على نبى بنى إسماعيل - عليه السلام - وتشكك الناس فيه. فلم يجدوا
طريقة أحسن من جعل عيسى نفسه، هذا الذى فضح تحريفهم لكتاب الله؛ هو النبى
المنتظر. ولأنبى من بعده إلى يوم القيامة. وذلك ليظل لهم كيان مستقل، ولا يذوبون فى
المجتمع الجديد. مجتمع نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم، والذين معه، ولينصرهم
النصارى فى المستقبل إذا احتاجوا إليهم. لقد علموا؛ أن الله واحد لا شريك له،
وعلموا: أن داود عليه السلام عبر عن النبى المنتظر بقوله: «أنت ابنى» وعلموا: أن
عيسى عليه السلام عبر عن النبى المنتظر بأنه «پيركليت روح الحق» أو روح القدس.
فماذا يفعلون ؟

لقد جعلوا تعبير الابن تعبيرا على الحقيقة، وقالوا: إن الابن هو عيسى لا
محمد. وجعلوه أقتوما. وجعلوا كلمة «المعزى» بدل «پيركليت» وقالوا: إنه
«روح الله» على الحقيقة، لا «أحمد» صلى الله عليه وسلم. وجعلوا «أحمد» أقتوما.
وصاغوا الثلاثة فى قالب واحد، هو الآب والابن والروح القدس.

لقد ذكرت عقيدة التثليث فى العالم الوثنى القديم؛ اليهود أن يجعلوا المسيح بن

مريم عليه السلام هو الأب والابن والروح القدس. وقد أقبل كثير من الوثنيين على هذه العقيدة؛ لأنها ليست غريبة على أذهانهم، وليست بعيدة من عقولهم، وساعد على نشرها؛ اليهودُ المقيمون في كل مكان، لأنهم يعلمون أن في نشرها؛ امتداد لوجودهم، وحفظ لكيانهم. وإقبال للدنيا عليهم، ووفرة للمال في أيديهم. فإن الأناجيل لا تفهم إلا بعد الرجوع إلى التوراة، والرجوع إلى التوراة يعنى الرجوع إلى علماء اليهود الذين يفسرون ويشرحون. وكيف لا يكون ذلك؟ والمسيح نفسه في الإنجيل قد أمر أتباعه بأن يسمعوا لكلام علماء اليهود، وأن يعلموا به. فقال: «على كرسى موسى. جلس الكتب والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه، وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا؛ لأنهم يقولون، ولا يفعلون؟» [متى ٢٣: ٢ - ٣]

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: «لما كشفت أمريكا الوسطى؛ وجد الأسباب فيها أقواما يتعبدون على أديان لا يعرفونها، فحف القساوسة والمبشرون إلي البلاد الجديدة لبيحثوا في أديانهم، ويحولوا أقوامها إلى العقيدة المسيحية، فأدهشهم بعد قليل من الدراسة أن يروا أن لهم شعائر على شيء من الشبه بنظائرها في الديانة المسيحية، وذلك كالتكفير عن الخطيئة والخلاص، وغيرها»^(١)

ويعترف النصراني بأن العالم قديما كان يعرف عقيدة التثليث، ولكنهم مع اعترافهم يقولون: بأن هناك مغايرة تامة بين عقيدة التثليث عندهم، وبين عقيدة التثليث في العالم. وإننا لنسلم لهم بهذه المغايرة، لأن الذي يقتبس فكرة غيره، ليضع فيها مبادئ دعوته، قد لا يسلم من أن يضيف شيئا أو ينقص شيئا. ولكننا لانعفيهم من القول بأن عقيدة التثليث التي كانت متشرة في العالم؛ هي التي ذكرتهم، حين أرادوا قصر النبوة عليهم؛ أن يجعلوا الإله الواحد الذي أخبر عنه موسى وعيسى، والابن الذي أخبر عنه داود، والروح القدس الذي أخبر عنه عيسى؛ أن يجعلوا الكل واحدا. يقول القس إلياس مقار: «فالمصريون القدماء كانوا يؤمنون بثالوث مقدس، ممثل في أوزوريس، وإيزيس، وحوريس. ولكن هؤلاء لم يكونوا إلها واحدا.

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ص ٦١ - ٦٢

بل كانوا ثلاثة آلهة تمثل العائلة البشرية. إذ كان أوزوريس الأب، وإيزيس الأم، وحوريس الابن. كما أن الهنود وهم كما نعرف أكثر الناس قبولاً لعقائد التطور، والتناسخ، قد آمنوا بالآلهة: «براهما» و «شنوا» و «شيوا» ولكن هذه لم تكن عندهم سوى التطورات المتلاحقة في الكون من ناحية «وجوده» و «بقائه» و «فناؤه» وكان كل واحد من هذه الآلهة يمثل مظهراً منفرداً من هذه المظاهر. وقد ابتدع بعض الفلاسفة من القدماء والمحدثين صوراً غامضة خيالية. فيها هذا المظهر أو ذاك من التثليث. كما ذكر أفلاطون في طيماوس، أو كما جاء في بعض كتابات «فيلو» و «كومت» و «هيجل» وغيرهم^(١)

لقد اعترف القس إلياس مقار بأن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث، وأن الهنود كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شيوع هذه العقيدة في العالم. تلك العقيدة التي جعلت العالم يقبل على النصرانية حينما صاغها اليهود على مثالها، لأنها لاتتصادم أساساً مع عقائد آبائهم وأجدادهم.

وإننا لنورد ههنا نبذة تاريخية موجزة عن تعدد الآلهة في العالم، لنرى كيف أن الدين النصراني حل محل العقيدة البدائية القديمة. كما يقول تعالى في القرآن الكريم (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) ^(٢)

في كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي ما خلاصته:

١ - أما موضوع تعدد الآلهة. فموضوع يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات القديمة، قال به المصريون القدماء، وقال به الآشوريون، والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونانيون. على اختلاف في عدد الآلهة ومكانتهم، واختلاف في تصور صلة بعضهم ببعض، أو صلتهم بالبشر^(٣).

(١) ص ٦٠ إيماني

(٢) التوبة ٣٠

(٣) تاريخ الفلسفة للدكتور إبراهيم مذكور ص ٦ - ١٩

- ٢ - أما التثليث فلعله كان تحديدا لهذا التعدد، الذى بُرِّغ فيه أحيانا. ولعل البابليين هم أول من قال بالتثليث. وذلك فى الألف الرابع قبل الميلاد.
- ٣ - نشأ مذهب فى العالم هو وسط بين تثليث البابليين، وبين عقيدة التوحيد عند اليهود هو «التعدد فى وحدة»، والوحدة فى تعدد» وقد قال به الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام. فقد كان عندهم «براهما» و «فشنو» و «سيفا» وكانوا يعدونهم ثلاثة جوانب لإله واحد، أو كانوا يعدون «براهما» واحدا. له ثلاثة أقانيم. فهو «براهما» من حيث هو موجود، وهو «فشنو» من حيث هو حافظ، وهو «سيفا» من حيث هو مهلك.
- ٤ - لما فتح الإسكندر الأكبر مصر. أقام بطليموس الأول فى الإسكندرية مدرسة، وأقام معبدا عظيما هو معبد الراجيوم، كان يُعبد فيه نوع ما. من ثلاث الأرباب مكون من: سيراييس، وإيزيس، وحوروس. ولم يكن الناس يعدونهم أربابا منفصلة، بل هيئات ثلاثا لإله واحد.
- ٥ - فى مدرسة الإسكندرية. ظهر مذهب «أفلوطين» وعلى يده كان تجديد مذهب «أفلاطون» وخلاصة مذهبه:
- أ - أن فى الوجود «الواحد» أو «الأول» وهو جوهر كامل فياض، وفيضه يحدث شيئا غيره، وهو مبدأ الوجود.
- ب - والشئ المحدث عنه «عقل» شبيه به.
- ت - وهذا يفيض بدوره فيحدث صورة منه هى «نفس» وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر، أو بعبارة سهلة موجزة : ثلاثة فى واحد، وواحد فى ثلاثة:
- ٦ - ظهر رجل يهودى يسمى «بولس» تظاهر باعتناق النصرانية. وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية. فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية وديانة ذلك الزمان التى تعتقها «الإسكندرية» فنقل إلى المسيحية كثيرا من أفكارهم ومصطلح تعابيرهم^(١)

(١) ص ٩٣ - ٩٦ المسيحية - الدكتور أحمد شلبى - طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ ميلادية.

ومتى بدأ اعتبار عيسى المسيح إلها متجسدا ؟

ذلك سؤال هام . أجاب عنه كثير من الباحثين بأنه من زمن بولس . يقول الدكتور أحمد شلبي : «وضع بولس بذرة ألوهية المسيح ، وصادفت البذرة أرضا خصبة ، فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التى سبقت المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ، مصادفه المسيحيون الأوائل من الاضطهادات المدمرة^(١)»

ولكننا نقول : إن الرومان فى فلسطين آله بعضهم المسيح ، فى حياة المسيح نفسه ، من قبل وجود دعوة بولس . ولم يكن غرض بولس تأليه المسيح . وإنما كان غرضه هو تطبيق نبوءات التوراة التى هى لمحمد صلى الله عليه السلام على عيسى عليه السلام وإبطال العمل بالتوراة . ذلك أن الرومان كانوا يحتلون بلاد اليهودية من سنة ٦٣ ق . م ، وفى عهدهم ظهر يسوع المسيح . وكان الرومان الذين هم الورثة الشرعيون لفلسفات اليونان يقولون بتجسد الآلهة . ولقد أشاع الرومان هذا القول فى حياة المسيح ، ومن بعده ، بل زعم بعضهم : أن بولس هذا إله متجسد . ولقد انتهز محرفو النصرانية هذه الفرصة السانحة ، ونسبوا إلى «بولس» أنه نادى بالوهية المسيح جهرا وبدون خوف ، اعتمادا على أن الرومان يألفون هذه العقيدة ، وسوف يساعدون على نشرها . وزعموا : أنه استعان بالفلسفة الشائعة فى العالم عن التثليث ؛ لتثبيت أركان هذه العقيدة . أى أن بولس - فى زعمهم - لم يجهر بتجسد المسيح إلا من بعد مارأى الرومان يجهرون بتجسد المسيح . فى حياة المسيح نفسه .

يقول برنابا فى إنجيله : أشاع جنود الرومان الذين يحتلون أورشليم آنئذ «أن يسوع هو الله قد جاء ليفتقدهم . فحدث بسبب ذلك فتنة كبرى ، حتى أن اليهودية كلها تدججت بالسلاح مدة الأربعين يوما . فقام الابن على الأب ، والأخ على الأخ ، لأن فريقا قال : إن يسوع هو الله قد جاء إلى العالم ، وقال فريق آخر : كلا بل هو ابن الله . وقال آخرون : كلا لأنه ليس لله شبه بشرى ، ولذلك لايلد . بل إن يسوع الناصرى ؛ نبي الله» ووقف عيسى خطيبا ليحمد هذه الفتنة فقال : «أشهد أمام السماء ، وأشهد كل

(١) ص ١٠٤ - ١٠٥ المسيحية .

شيء على الأرض: أنى برئ من كل ماقد قلمت. لأننى إنسان مولود من امرأة فانية بشرية، وعرضة لحكم الله. أكابد شقاء الأكل والنمائم وشقاء البرد والحر. كسائر البشر، لذلك متى جاء الله ليدين؛ يكونُ كلامى كحسام يحرق كل من يؤمن بأنى أعظم من إنسان» [برنابا ٩٣]

ويحكى برنابا: أن كاهن اليهودية والوالى والملك قالوا ليعسى عليه السلام: «لاتزعج نفسك يايسوع قدوس الله. لأن هذه الفتنة لاتحدث فى زمنا مرة أخرى. لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الرومانى المقدس بإصدار أمر ملكى: أن لا أحد يدعوك فيما بعد: الله، أو ابن الله. فقال حينئذ يسوع: إن كلامكم لايعزىنى. لأنه يأتى ظلام حيث ترجون النور. ولكن تعزيتى هى مجئ الرسول الذى سيبيد كل رأى كاذب فى، وسيمتد دينه، ويعم العالم بأسره» [برنابا ٩٦ / ٩٧] وقد أشار إلى هذا المرسوم الملكى صاحب تاريخ الاقباط^(١)

ويقول لوقا فى سفر أعمال الرسل: «فالجموع لما رأوا ما فعل بولس؛ رفعوا صوتهم بلغة ليكاونية قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس، ونزلوا إلينا» [أعمال ١٤ : ١١]



ومتى بدأ اعتبار الروح القدس إلها ؟

سؤال أجبتنا عنه من قبل: بدأ اعتبار الروح القدس إلها فى المجمع المسكونى الثانى سنة ٣٨١ ميلادية. ولكننا هنا نوضح أمرا هاما جديرا بالنظر والاعتبار.

وهو أن بطريرك الاسكندرية فى هذا المجمع أعلن مايلى:

«ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئا غير حياته، فإذا قلنا: إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا: إن روح الله مخلوق. وإذا قلنا: إن روح الله مخلوقة. قلنا: إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة؛ فقد زعمنا: إنه غير حى. وإذا زعمنا أنه غير حى؛ فقد كفرنا به. ومن كفر به؛ وجب عليه اللعن» أ.هـ.

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الاقباط ص ٦٩ - ٧٠

يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه «محاضرات فى النصرانية» معلقا على كلام البطريق:

«ومن النظرة فى هذه السلسلة المنطقية بمقدماتها ونتائجها، يظهر أن أساسها ومقدمتها الضرورية - وهى أن روح القدس هى روح الله -؛ مقدمة ساقطة، لا يوافقها عليها أغلب الناس، ولا يستطيع أن يقيم الدليل عليها. فالعقيدة السائدة الصحيحة هى: أن روح القدس؛ خلقه الله. واتخذهُ ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحيا، من خلقه أو أمرا كونيا^(١)»

يقصد البطريق - فى الظاهر -: أن «روح الله» التى هى حياته، هى التى يشير إليها سفر التكوين «فى البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه» [تكوين ١: ١ - ٢] والتى يشير إليها الزبور: «ترسل روحك؛ فتخلق. وتجدد وجه الأرض» [مزمو ١٠٤: ٣٠] ويقصد الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة: أن «روح الله» هى جبريل - عليه السلام - ولكن البطريق فى الحقيقة لا يقصد من وراء ذلك إلا «المعزى»^(٢) الروح القدس الذى قال عنه المسيح: «إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم. ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع؛ يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية» [يوحنا ١٦: ١٢ - ١٣] ولذلك القصد؛ كان الانشقاق فى المجمع؛ لأن كل المجمع يهودا كانوا أم نصارى هم مجمعون على أن روح الله، التى يشير إليها سفر التكوين: هى ربح شديدة عاتية، والتى يشير إليها الزبور هى بالمعنى المجازى: القوة والقدرة.

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٣٤.

(٢) المعزى: باركليت العبرانية أو باركليوس اليونانية، وأذكر أن المسيح نطق: بيركليت العبرانية أو بيركليوس اليونانية. وبيركليت أحمد، وباركليت المعزى، والمؤيد والمحامى... الخ

ولقد انتهز بولس فرصة اعتقاد الرومان فى الثلاثين وانتَهزَ فرصة غضب اليهود على تعاليم المسيح، وجعل نبوءات التوراة عن نبي بنى إسماعيل - عليه السلام - على شخص عيسى المسيح نفسه. وذلك بجعله كل شيء، حتى لا يفكر الناس فى نبي من بعده.

(أ) قال: إن تعبير الابن فى عبارة الزبور «أنت ابني» المراد بها: المسيح، وكذلك كل عبارات الزبور عن الابن. ووجه رسالته إلى العبرانيين مصدرته بهذا المفهوم قائلا: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة؛ كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه، الذي جعله وارثا لكل شيء» [عب ١ : ١ - ٢]

(ب) وقال: إن النبي الذي وعد به موسى فى قوله: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا» هو عيسى المسيح. قال: «وموسى كان آمينا فى كل بيته كخادم. شهادة للعبيد أن يتكلم به، وأما المسيح فكابن على بيته؛ وبيته نحن. إن تمسكنا بثقة الرجاء، وافتخاره ثابتة إلى النهاية» [عب ٣ : ٥ - ٦]

(ت) وقال: إن الروح القدس هو نفسه يسوع المسيح، هذا الروح الذى عبر عنه يوحنا المعمدان بقوله: «الذى يأتى بعدى هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه» [متى ٣ : ١١] والذي عبر عنه المسيح نفسه بقوله: «وأما المعزى الروح القدس. الذى سيرسله الأب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يوحنا ١٤ : ٢٦] قال بولس: إن ذلك يعنى يسوع المسيح «جاء إلى أفسس. فإذا وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنا عمّد بمعمودية التوبة قائلا للشعب: أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده. أى بالمسيح يسوع» وبعدها فسر المعزى الروح القدس بأنه المسيح يسوع. وضح: أن حلول الروح القدس الذى هو المسيح يسوع نفسه، يكون على التلاميذ المؤمنين فى شكل لغات ينطقون بها بدون تعليم «فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع، ولما وضع بولس يديه

عليهم؛ حلّ الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون» [أعمال ١٩ : ١ - ٦] لغة عبرانية ويونانية وقبطية وهكذا. بدون تعليم.

وبعدما طبق كل نبوءات التوراة التى هى لمحمد صلى الله عليه وسلم على عيسى عليه السلام.

(ث) وضع غرضه بقوله: «يسوع المسيح هو هو. أمسا واليوم وإلى الأبد، لاستاقوا بتعاليم متنوعة وغريبة» [عب ١٣ : ٨] أى أنه لانبوة قط بعد يسوع المسيح، ولاتعاليم قط غير تعاليم بولس. ولما وجد كثيرين يناوئون تعاليمه، كتب إلى أهل غلاطية يقول: «يُوجد قوم يزعمونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم؛ فليكن أنائما، كما سبقنا، فقلنا. أقول الآن أيضا: إن كان أحد ييشركم بغير ماقبلتم، فليكن أنائما» أى ملعونا [غلاطية ١ : ٦ - ٨]

وهذه نماذج من العقائد الوثنية القديمة، يتبين منها المشابهة بينها وبين التعاليم النصرانية الحالية:

١ - ذكر الدكتور أحمد شلبى فى كتابه «المسيحية» ماخلاصته:

أولا : ظهرت البوذية قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون ويلاحظ «غوستاف لوبون» تشابها واضحا بين الديانتين من ناحية الشكل، ومن ناحية الموضوع. ونقتبس منه قوله: «إنك تلاحظ تماثلا عجيبا من كل وجه، بين صيام عيسى فى البرية، حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات، وصيام بوذا فى الآجام، حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضا... الخ

ثانيا: يقول Hwaia Kama Uddin فى كتابه The sources of Christianity. P.

15 «يسرنى إن أسجل: أنه من بين المسيحيين، الذين تعرضوا لكتابى هذا بالنقد والمناقشة؛ لا يوجد واحد عارض الحقائق التى ذكرتها به. تلك التى قادتنى إلى أن أقرر: أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية؛ مستعار من الوثنية»

ثالثا: يقول المؤلف السابق ومؤلف آخر اسمه Reopertson :

«إن المسيحية استعارت شعائرها وعقائدها من الوثنية» ويذكران تفاصيل عن الشعائر والعقائد المستعارة هكذا:

قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة، تقدر عددا كبيرا من الآلهة. فهناك مثلا «آبلو» الذى كان يقدسه الإغريق، و «هيراكوليس» معبود الرومان، و «مثر» معبود الفرس، و «أدونيس» معبود السوريين، و «أوزيريس» و «إيزيس» و «حوريس» معبودات المصريين، و «بعل» معبود البابليين، وسواهم كثيرون. وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس. وفى هذه الأديان أو أكثرها، كانت توجد المعتقدات الآتية:

- ١ - كل هذه الآلهة يُنسب لها: أنها ولدت فى نفس الفترة (الشهر أو الموسم) التى ينسب ليعسى أنه وُلد فيها.
 - ٢ - كل هؤلاء ولدوا فى كهف أو حجرة تحت الأرض.
 - ٣ - كلهم كانوا ينعنون: المخلص - المنتقذ - الوسيط.
 - ٤ - كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشرى.
 - ٥ - كلهم قهروا بقوى الشر والظلام.
 - ٦ - ألقى بهم بعد هزيمتهم فى المدافن أو النيران السفلى.
 - ٧ - هبوا جميعا من مدافنهم بعد الموت، وصعدوا إلى عالم السماء.
 - ٨ - أسسوا جميعا خلفاء لهم ورسلا ومعابد.
- ويتضح من هذا: أن المسيحية اقتبست كل هذه المعتقدات.



ويمكن أن نعطي تفاصيل أوسع عن أحد المعتقدات السابقة؛ لنرى مدى صلة المسيحية بها:

ديانة متراس:

فارسية الأصل، وقد ازدهرت فى بلاد فارس قبل الميلاد بحوالى ستة قرون^(١). ثم

(١) لاحظ أنه زمن وجود اليهود فى بابل

نزحت إلى روما حوالى سنة ٧٠ ق. م، وانتشرت فى بلاد الرومان، وصعدت إلى الشمال حتى وصلت بريطانيا. وقد اكتُشفت بعض آثارها فى مدينة: يورك. ومدينة: شستر. وغيرهما من مدن إنجلترا. وتذكر هذه الديانة: إن متراس:

- ١ - كان وسيطا بين الله والبشر.
- ٢ - وأن مولده كان فى كهف أو زاوية من الأرض فى ٢٥ ديسمبر.
- ٣ - كان له اثنا عشر حواريا.
- ٤ - مات ليخلص البشر من خطاياهم.
- ٥ - دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره.
- ٦ - صعد إلى السماء أمام تلاميذه، وهم يتهللون له ويركعون.
- ٧ - كان يدعى مُخلصًا ومنقذاً.
- ٨ - ومن أوصافه: أنه كان كالحمل الوديع.
- ٩ - كان أتباعه يُعمدون باسمه.
- ١٠ - وفى ذكره كل عام؛ يُقام عشاء مقدس.

ويقول Ropertson : إن ديانة متراس لم تنته فى روما، إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأسامية إلى المسيحية^(١).

ديانة بعل:

وإذا كانت ديانة متراس قد أمدّت المسيحية بهذه التعاليم، فإن ديانة بعل إله البابليين كانت معينا للمسيحية فى موضوع هام من موضوعاتها العاطفية. ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه، وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل فى تمثيلية مؤثرة كانت تُمثل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض والحزن. وقد اكتُشفت فى مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد. وسجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته. وقد أخذ اليهود إلى سجن «بابل» منذ عهد نبوخذنصر. وهناك رأوا هذه التمثيلية تُعرض كل مطلع ربيع، وعندما

(١) هذا يؤكد كلام برنابا فى أن الرومان الهوا عيسى - عليه السلام - فى حياته.

محاكمة بعل

- ١ - أخذ بعل أسيرا.
- ٢ - حوكم بعل علنا.
- ٣ - جرح بعل بعد المحاكمة.
- ٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل
- ٥ - كان مع بعل مُذنب، حُكم عليه بالإعدام، وجرت العادة أن يُعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت. وقد طلب الشعب إعدام بعل، والعفو عن المذنب الآخر.
- ٦ - بعد تنفيذ الحكم على بعل، عمّ الظلام، وانطلق الرعد، واضطرب الناس.
- ٧ - حُرس بعل في قبره، حتى لا يسرق أتباعه جثمانه.
- ٨ - إلهات جلسن حول مقبرة بعل، يكيّنه.
- ٩ - قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء.

محاكمة عيسى

- ١ - أخذ عيسى أسيرا.
- ٢ - وكذلك حوكم عيسى.
- ٣ - اعتُدى على عيسى بعد المحاكمة.
- ٤ - اقتيد عيسى لصلبه على الجبل
- ٥ - وكان مع عيسى قاتل اسمه: «باراباس» محكوم عليه بالإعدام ورشح «بيلاطس» عيسى؛ ليعفو عنه كالعادة كل عام.
- ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس وإعدام «عيسى»
- ٦ - عقب تنفيذ الحكم على عيسى؛ زلزلت الأرض وغامت السماء.
- ٧ - وحرس الجنود مقبرة عيسى، حتى لا يسرق حواريوه جثمانه.
- ٨ - مريم المجدلية، ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.
- ٩ - قام عيسى من مقبرته فى يوم أحد، وفى مطلع الربيع أيضا وصعد إلى السماء.

رابعاً: وهناك مقارنة أخرى، هذه المرة بين «بوذا»، وبين «عيسى» وقد أورد هذه

المقارنة كل من: Kamal ud - din khwaja, Edward Thomas, T. W. Doane

بوذا

١ - عند مولد «بوذا» ظهر نجم في السماء يشر به وقد رُئي هذا النجم يسير نحو مكان مولده. وتبعه من رآه، ليجدوا للوليد.

٢ - ولد بوذا في اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر كما تذكر الأساطير الهندية.

٣ - عند مولد بوذا احتفلت الملائكة بولادته وسبحت بحمده قائلة: إن المبارك قد ولد اليوم ليمنح السلام للناس والمسرة للأرض.

٤ - كان مولد بوذا خطراً على الملك والسلطان فهدده ملك «بنبا سارا» وأراد قتله حتى لا يكون سبباً في القضاء على سلطانه.

٥ - وعندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان

عيسى

١ - وعند مولد «عيسى» ظهر هذا النجم أيضاً يشر بمولد المخلص، وقاد جماعات المجوس نحو مكان ولادته؛ فأوا الطفل وسجدوا له.

٢ - ولد عيسى في الخامس والعشرين من ديسمبر أيضاً.

٣ - وعند مولد عيسى ظهرت الملائكة في الجو مبهجة في الحقول بالقرب من «بيت لحم» وكانت تسبح بحمد «المبارك» وتقول: «للناس المسرة، وعلى الأرض السلام»

٤ - وكان عيسى خطراً كذلك على الملك «هيرودوس» ولذلك أراد هيرودوس قتله، لولا أنه فر إلى «مصر» مع أمه.

٥ - وعند بدء دعوة «عيسى» ظهر له الشيطان محاولاً تضليله.

ليحاول تضليله.

٦ - قال مارا لبوذا: ابتعد عن الدعوة الدينية؛ لتصبح إمبراطور العالم.

٧ - ولم يهتم بوذا بما را وصاح به: ابتعد عني.

٨ - وبعد أن انتصر «بوذا» على «مارا» أمطرت السماء زهورا، وعبق الهواء بعبير طيب.

٩ - وصام «بوذا» فترة طويلة

١٠ - وتعمّد «بوذا» بالماء المقدس. وفي أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة، التي هي روح القدس.

١١ - وتُقبل صلاة البوذيين، وتقودهم إلى الفردوس مادامت تُقدم باسم بوذا.

١٢ - وعندما مات بوذا ودفن؛ شق قبره بقوة من قوى مافوق الطبيعة، وعاد للحياة.

١٣ - وصعد بوذا إلى السماء بعد أن أتم دعوته على الأرض.

٦ - وقال الشيطان لعيسى: إذا عبدتني، سأجعلك مَلِكًا للعالم كله.

٧ - ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به: إخسأ أيها الشيطان.

٨ - وبعد أن انتصر عيسى على الشيطان؛ هبطت الملائكة لعيسى وكرمه.

٩ - وصام عيسى أربعين يوما بلياليها

١٠ - وعمّد يحيى عيسى فى نهر الأردن. وكان ذلك أيضا فى حضرة روح الله لتي هي روح القدس.

١١ - وتقبل صلاة المسيحيين مادامت باسم عيسى، وينالون بسببها الفردوس.

١٢ - وعندما مات عيسى ودفن؛ أزاحت قوة من قوى مافوق الطبيعة؛ الحجارة عن قبره، وعاد عيسى إلى الحياة.

١٣ - وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء دعوته على الأرض.

١٤ - وسيعود بوذا إلى الأرض في آخر الزمان؛ ليواصل دعوته، ويستعيد مجده، ويملا الأرض سعادة ونعيما.

١٥ - وسيوكل حساب الناس إلى بوذا بعد البعث.

١٦ - وبوذا لا أول له ولا نهاية. وهو خالد.

١٧ - ويروى عن بوذا أنه قال: إننى أحمل سيئات البشر عنهم؛ ليصلوا إلى السلامة.

١٨ - ويروى عن بوذا قوله: إخف أعمالك الطيبة، وأعلن على الناس سيئاتك التى ترتكبها.

١٩ - وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم.

٢٠ - ونصح بوذا حواريه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانبا، ويتنازلوا عن غناهم، ويؤثروا الفقير؛ ليقبلوا فى الدعوة.

٢١ - وكان هدف بوذا الأسمى: أن يكون ماسمته الفلسفة البوذية؛ ملكوت السماء.

٢٢ - ونادى بوذا بعدم الزواج. وشبه الزواج بالاحتراق فى الفحم، ولم يجزه إلا عند خوف الزنا.

١٤ - وسيعود عيسى كذلك؛ ليحكم الأرض من جديد، وينشر دعوته ويعم الأرض بالخير والسلام.

١٥ - وسيوكل لعيسى أن يحاسب الناس أيضا فى الدار الآخرة.

١٦ - وعيسى لا أول له ولا نهاية. وهو خالد خلود الأب.

١٧ - وعيسى مخلص البشر الذى قدم نفسه فداء؛ ليكفر عن خطيئة أبيهم آدم.

١٨ - ومما علمه عيسى لأصحابه: أن يخفوا أعمالهم الطيبة، ويعلموا مساوئهم وخطاياهم.

١٩ - وقال عيسى لأتباعه: «أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا لمن ييغضكم»

٢٠ - واشترط عيسى على من يريد الدخول فى الدعوة: أن يتصدق بماله، ويؤثر الفقير؛ ليدخل ملكوت الله.

٢١ - ودعا عيسى منذ مطلع رسالته أتباعه؛ ليدخلوا ملكوت السماء.

٢٢ - وروى عن عيسى قوله: إنه من الأفضل للرجل: ألا يمس امرأة، ولكن إذا خاف الزنا؛ جاز له أن يتزوج. فالزواج خير من الاحتراق بالنار^(١).

عاد اليهود إلى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة في حياتهم. فانعكست على أدبهم وعلى حياتهم العامة، وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها، مع اسم جديد وضع مكان «بعل» وهذا الاسم هو «المسيح» حتى ليتمكن القول: أن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة متتحلة تماما.

وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين:

٢ - ويقول حبيب سعيد في كتابه «أديان العالم»:

«لما غزت الديانة البوذية بلاد الهند، حفزت الهندوسية لأن تخرج فكرة «المظاهر المتجسدة للآلهة incarnations» وهي فكرة لم تظهر في الوجود إلا حوالى سنة ٥٠٠ ق. م وقامت هذه الفكرة على أن «فيشنو» vishnu هو الإله الحافظ و «سيفا» Siva هو الإله المدمر. كونا بالاشتراك مع «براهما» الإله الخالق؛ ثالثا، بدت مظاهره المتجسدة في أوضاع شتى^(١)»

ويقول حبيب سعيد عن الرهينة في البوذية:

«وللبوذية نظام معين من حيث رجالها وخدامها. وكان محتما على من يريد الدخول إلى إحدى رتب النظام الدينى: أن يستشير أولا والديه. وقد عاش أولئك النساك في الأديرة التي شرع في تشييدها في زمن «غوتاما» نفسه. وارتدوا الثوب الأصفر البسيط، أما عملهم فكان علاوة على صيانة الأماكن المقدسة: الدرس والتأمل^(٢)»

ويقول حبيب سعيد عن انتشار البوذية:

«وليس لدينا من تاريخ البوذية المتأخر إلا القليل من المعلومات. منها: أن إمبراطورا شهيرا يدعى «أسوكا» بسط سلطانه على بلاد الهند كلها، حوالى سنة ٢٥٠ ق. م وشجع البوذية بكل قواه. فكان لها كما كان الإمبراطور قسطنطين للمسيحية^(٣)»

(١) ص ٦٦ - ٦٧ أديان العالم تأليف حبيب سعيد - المطبعة الفنية الحديثة بمصر - صادر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بالقاهرة.

(٢) ص ١٠٦ أديان العالم.

(٣) ص ١٠٦ أديان العالم.

ويقول حبيب سعيد تحت عنوان «عقيدة الثالوث فى غير المسيحية»:

«هذه العقيدة منتشرة فى أهم الأديان الوثنية قديما، وحديثا. ففى ديانة الفينيقيين نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم ولكل مستعمرة؛ ثالوث. وقد وجد المنقبون فى «جبيل» ثالوثا وهو إيل وتموز وعولم - أى القدير - والسيد، والأزلى. وثالوث المصريين: أوزيريس وإيزيس وحوريس وثالوث الهنود: بوذا وبرهما وفيشنا. وعند الصينيين ثالوث يعبرون عنه بثلاث متساوى الأضلاع والزوايا^(١)»

وقد أشار النبى حِزْقِيَال فى سفره إلى عباده تموز فقال: «وقال لى: بعد تعود تنظر رجاسات أعظم. هم عاملوها. فجاء بى إلى مدخل باب بيت الرب الذى من جهة الشمال. وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز» [حزقيال ٨: ١٣ - ١٤]



ويقول النصارى: إن الذى وقف ضد «آريوس» الذى كان ينادى بالتوحيد هو القديس «أثناسيوس» ولولا أثناسيوس لضاعت النصرانية الحالية إلى الأبد، ويقولون: إن إثناسيوس هذا كان وثنيا، وأن أباه وأمه أيضا كانا وثنيين.

فى كتاب «التربية الدينية المسيحية» مايلى: «كلنا يعلم ما للقديس إثناسيوس الرسولى من مكانه ممتازة فى الكنيسة المقدسة على عمر العصور؛ لأنه رمز الصلابة فى التمسك بالحق والنضال لأجله، حتى لقب أثناسيوس: «ضد العالم» كان أثناسيوس أولا وثنيا ولد بالإسكندرية سنة ٢٩٦ م من أبوين وثنيين، ومات أبوه فى طفولته، وكفلته أمه. ولقد حضر هذا القديس مع البابا الكسندروس مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م الذى ضم ٣١٨ أسقفا للرد على بدعة رجل يدعى «آريوس» فكان القديس أثناسيوس هو الجندى الصالح ليسوع المسيح، وكان للقديس أثناسيوس أيضا الفضل فى صياغة «قانون الإيمان» كما نعرفه الآن، من بداية قوله: «بالحقيقة نؤمن...» حتى قوله: «نعم نؤمن بالروح القدس» وفى أواخر سنة ٣٢٩ م اختير بطريركا خليفة للبابا الكسندروس^(٢)»

(١) ص ٢٨٤ أديان العالم.

(٢) ص ١٩٣ - ١٩٤ التربية الدينية المسيحية - طبعة وزارة التربية بمصر ١٩٧٣م.

الفصل السابع

فى

رفع الشبهات

يتمسك النصارى بتوراة موسى عليه السلام [الأسفار الخمسة] مع تمسكهم بالأناجيل الأربعة، ويتمسكون بأسفار الأنبياء الذين كانوا من بعد موسى إلى عيسى . ويطلقون عليها لقب «التوراة» مجازاً. ويستدلون على ألوهية عيسى بن مريم عليه السلام بآيات من أسفار الأنبياء، وليس بآيات من توراة موسى . وما يحق لنا بعد ما ألزمتهم بوحداية الله وعبودية عيسى له بآيات من التوراة المتداولة فى أياديهم، والأناجيل المتداولة؛ أن نُغفل الرد على هذه الآيات التى يستدلون بها:

ونقول أولاً وقبل كل شيء: إن استدلالهم من أسفار الأنبياء؛ خطأ. بدليلين: الدليل الأول: إن توراة موسى [الأسفار الخمسة] هى المعول عليها فى العقيدة والشريعة، وأسفار الأنبياء مصوغة على مثالها فى العقيدة والشريعة، إلا مخالافات طفيفة من حزقيال - كما أعلم - فى بعض الطقوس. ويؤمن بكتاب موسى جميع اليهود بلا استثناء، وجميع النصارى أيضاً؛ لأن المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - قال لهم مانصه: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه» [متى ٢٣: ٢ - ٣] لقد أوصاهم بالحفظ وبالفعل.

وقال لهم: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم. إفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم. لأن هذا هو ناموس والأنبياء» [متى ٧: ١٢]

وقال لهم: «أليس مكتوباً فى ناموسكم ؟ ولا يمكن أن ينقض المكتوب» [يوحنا ١٠: ٣٤ - ٣٥]

وقال لهم أيضا: «لاتنظنوا أنى جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء» [متى ٥:

[١٧

فالواجب على النصارى وجوبا مؤكدا - اقتداء بنبينهم عيسى المسيح - أن يأخذوا عقيدتهم من التوراة، وأن يأخذوا شريعتهم من التوراة^(١). وإذا التبس عليهم أمر ما فى الإنجيل؛ فإنه يجب عليهم أن يرجعوا إلى التوراة رجوعا كليا؛ للتفسير وللإيضاح. وذلك لأن المسيح ماجاء للنسخ بل للإصلاح.

الدليل الثانى: إن أسفار الأنبياء. هؤلاء الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى؛ ليست أسفار عقائد وشرائع باستقلال عن كتاب موسى [الأسفار الخمسة] بل هى أسفار تاريخية ورؤى حلم، ومواعظ، وهى أسفار مشكوك فى صحتها من اليهود ومن النصارى، وإن كانوا يطلقون عليها اسم التوراة مجازا. من باب إطلاق اسم الجزء على الكل. ويان ذلك^(٢):

١ - يرفض اليهود السامريون - وهم عشرة أسباط من مجموع اليهود الاثنى عشر سبطا - هذه الأسفار، ويعتقدون أنها محرقة. ولا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة وهم:

١ - التكوين ٢ - الخروج ٣ - واللاوين ٤ - والعَدَد.

٥ - والتثنية

وهذه الأسفار الخمسة هى التوراة حقيقة فى نظرهم، ونظر اليهود العبرانيين أيضا - يهود السبطين -

٢ - ويرفض اليهود العبرانيون، ونصارى البرونستانت مايلى:

(١) إذا أخذوا شريعتهم من التوراة فذلك مفيد لهم. لأن فى شريعة التوراة الإيمان بمحمد نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم إذا جاء. انظر لم تكوين ١٧: ١٨ - ٢٠ تكوين ٤٩: ١٠ - تثنية ١٨: ١٥-٢٢ مع مراعاة تثنية ٣٤: ١٠-١٢ نشيد موسى تثنية ٣٢ - تثنية ٣٣: ١-٣ عدد ٢٤: ١٧ {

(٢) انظر: مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس: الثمين - اقراء فى دير الرهبان الدومنيكيين - خلف مدينة البعث الإسلامية بمصر - واقراء مختصره فى مكتبة كلية اللاهوت خلف مخزن الترمائى بالعباسية بمصر.

- ١ - جزء من سفر أستير ٢ - باروخ ٣ - جزء من سفر دانيال
- ٤ - طوبيا ٥ - يهوديت ٦ - الحكمة
- ٧ - ابن سيراخ ٨ - المكابيين الأول ٩ - المكابيين الثاني.
- ٣ - يؤمن اليهود العبرانيون ونصارى البروتستانت بالأسفار الآتية:
- ١ - الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام ٢ - يشوع ٣ - القضاة ٤ - راعوث ٥ - صموئيل الأول ٦ - صموئيل الثاني ٧ - الملوك الأول ٨ - الملوك الثاني ٩ - أخبار الأيام الأول ١٠ - أخبار الأيام الثاني ١١ - عزرا ١٢ - نَحْمِيَا ١٣ - أستير ١٤ - أيوب ١٥ - المزامير [الزبور] ١٦ - الأمثال ١٧ - الجامعة ١٨ - نشيد الإنشاد ١٩ - إرمياء ٢٠ - مراثي إرمياء ٢١ - حزقيال ٢٢ - دانيال ٢٣ - هُوشَع ٢٤ - يوثيل ٢٥ - عاموس ٢٦ - عوبيديا ٢٧ - يونس ٢٨ - ميخا ٢٩ - ناحوم ٣٠ - حَبَقُوق ٣١ - صَفَنِيَا ٣٢ - حَجَّي ٣٣ - زكريا ٣٤ - ملاخي
- ٤ - الأسفار الخمسة وحدهم عند السامريين، يُسمون بالتوراة السامرية. والأسفار الخمسة مع مجموع الأربعة والثلاثين سفرا؛ يسمون بالتوراة العبرانية. والأسفار الخمسة مع مجموع الأسفار المرفوضة عند اليهود العبرانيين ونصارى البروتستانت ومع مجموع الأربعة والثلاثين سفرا، يسمون بالتوراة اليونانية. والتوراة اليونانية مقدسة عند نصارى الأرثوذكس والكاثوليك.
- ٥ - اجتمع النصارى سنة ٣٢٥ م وقبلوا سفر: يهوديت ، وردوا الأخرى الزائدة فى اليونانية.
- ٦ - اجتمع النصارى سنة ٣٦٤ م واتفقوا على قبول سفر يهوديت وزادوا عليه: أستير
- ٧ - اجتمع النصارى سنة ٣٩٧ م واتفقوا على قبول يهوديت وأستير وزادوا عليهما: الحكمة وطوبيا وباروخ وابن سيراخ والمكابيين الأول والثانى؛ وعلماء هذا المجمع جعلوا سفر باروخ بمنزلة جزء من سفر إرمياء.

٨ - فى مجمع ترلو: اتفق النصارى على ماذكر، ولكنهم فصلوا كتاب باروخ عن كتاب إرمياء.

٩ - كتب الأنبياء فى التوراة العبرية لم يقرر اليهود قانونيتها للنصارى إلا من بعد رفع المسيح إلى السماء سنة ٩٠ ميلادية، فكيف يستدل منها النصارى على شيء، وهى ماكانت قانونية مقدسة فى عهد المسيح ؟

وانى لأذكر لك شيئا من كلام علمائهم فى هذا الشأن؛ لترى كيف يدافعون عن قدسية الكتاب. وهم فى شك منه مريب.

يقول القس إلياس مقار مانصه:

«وكلمة قانون بالنسبة للكتاب المقدس؛ مأخوذة من كلمة يونانية، معناها «مسطرة» أو «قصة» أو «عصا مستقيمة» وقد استعملت فى فجر المسيحية، بمعنى قياس الرأى المستقيم، وأخذت بمعنى «بيان الأسفار التى قبلتها الكنيسة المسيحية، واعتبرتها أجزاء الكتاب المقدس» وقد استلمت الكنيسة المسيحية من اليهود أسفار العهد القديم التى قرر اليهود فى مجمع «يمنية» عام ٩٠ م قانونيتهما. ولا بد من الإشارة هنا: لماذا رفضت الكنائس البروتستانتية ما يطلق عليه أسفار «الأبوكريفا» وأبعدتها عن الدرج فى قانون الوحي المقدس ؟ فنقول: إن الأبوكريفا لم تضاف إطلاقا إلى النص العبرانى للكتاب المقدس فى العهد القديم، ولكنها أضيفت إلى الترجمة السبعينية اليونانية. وبعض الآباء الأوائل قد استعملوها ككتب أدبية دينية. ولكنها لا يمكن أن تكون كتباً مقدسة موحى بها من الله^(١)»

وبعدما بينا عدم الصحة فى اعتمادهم على «أسفار الأنبياء» الذين أتوا من بعد موسى، نريد أن نعرف ههنا ببعض هذه الأسفار التى هى عمدة استدالاتهم، ونبين منها - لا من كلام العلماء - أنها مختلفة المعانى ومضطربة الأفكار، ومنسوبة إلى أصحابها، وهم برءاء مما فيها.

(١) ص ٢٥٤ - ٢٥٥ إيماني.

بدأ إشعياء نبوته في حكم الملك عزيا، ويوثام، وأحاز، وحزقيا. من ملوك اورشليم. كما جاء في مقدمة لسفر. وهي «رؤيا إشعياء بن آموص التي رآها على يهوذا وأورشليم، في أيام عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا ملوك يهوذا» ولم يقتصر سفر إشعياء على التنبؤ بالحوادث المستقبلية، بل وضع كتابا في تاريخ الملك عزيا. وهذا الكتاب مفقود. جاء في سفر الأخبار الثاني: «وبقية أمور عزيا الأولى والأخيرة كتبها إشعياء بن آموص النبي» [٢٦: ٢٢] وأتى بعد الملك حزقيا. سبعة ملوك قبل أن يأتي نبوخذ ناصر ملك بابل لينهى عرش ملوك يهوذا، ولقد ظل اليهود في الأسر سبعين سنة، كما ورد في التوراة^(١). إلى أن جاء الملك كوروش، وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم، وأقوى طعنة موجهة إلى هذا السفر: أنه حكى عن تدمير اورشليم على يد نبوخذ ناصر، وحكى أمل اليهود في العودة، وذكر الملك الفارسي كوروش، وأثنى عليه ثناء عاطرا، مما يدل على أن هذا السفر كتب بعد السبي البابلي، وأدخل عليه مالم يشهده إشعياء. إنه يحكى على لسان الله عز وجل: «يقول عن اورشليم ستبنى، وللهيكل ستؤسس. هكذا يقول الرب لمسيحه لكوروش الذي أمسكت يمينه لأدوس أمامه أمما، وأحقاء ملوك» [٤٤: ٢٨، ٤٥: ١] إنه في الأصحاحات من ١ - ٣٩ نجد تنديدا بملوك يهوذا، وسخرية من اليهود. وفي الأصحاحات من ٤٠ - ٥٠ نجد الإشارة إلى الهيكل وأورشليم وقد خربا، والشعب أسير في بابل، وإشعياء لاذكر له. وفي الأصحاحات من ٥٦ - ٦٦ نحس صدى رجوع المسيبين وإعادة بناء الهيكل.

لا بد إذا من القول بكتاب كثيرين لهذا السفر، وإلا كان كاتبه حيا، وميتا، في آن واحد. وبالإضافة إلى ماقدما نجد تناقضا كثيرا بين معانيه. ففي الترجمة العربية مثلا: «والآن قال الرب، جابلي من البطن عبدا له لإرجاع يعقوب إليه، فينضم إليه إسرائيل؛ فأتعبد في عيني الرب، وإلهي بصير قوتي» [٤٩: ٥] وهي هكذا في الترجمة الإنجليزية. «ولو لم ينضم إسرائيل أتعبد» الأولى: إثبات المجد لله بانضمام إسرائيل،

(١) في القرآن الكريم (مئة عام) في قصة الذي مرّ على القرية وهي خاوية على عروشها

والثانية: إثبات المجد لله ولو لم ينضم إسرائيل.

(٢) الزبور:

إن سفر المزامير تلاحظ فيه مايلي:

- ١ - المزمور رقم ٩ ورقم ١٠ فى النسخة العبرية، هو مزمور واحد فى النسخة اليونانية ويحمل رقم ٩.
- ٢ - المزمور رقم ١٤٧ فى النسخة العبرية، مقسم إلى اثنين فى النسخة اليونانية ويحمل رقم ١٤٦، ١٤٧.
- ٣ - عدد ٧٣ مزمور منسوبة إلى داود عليه السلام، وفى نهاية المزمور ٢ نجد هذه العبارة: «تمت صلوات داود بن يسى» ومعنى هذا: أن ماهو منسوب إلى داود، ينتهى عند هذا الحد، والباقي ليس له.
- ٤ - عدد ١١ مزمور لبنى قورح.
- ٥ - عدد ٢ مزمور لسليمان عليه السلام.
- ٦ - عدد ١٢ مزمور لأساف.
- ٧ - عدد ١ مزمور لإيثان الأزراحي.
- ٨ - عدد ١ مزمور لموسى عليه السلام.
- ٩ - المزمور ١٣٧ يثبت أن سفر الزبور كُتب بعد سبى بابل. وفيه:
«على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون. على الصَّفصاف،
فى وسطهما علقنا أعودانا. لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذبونا سألونا
فرحا قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون»
ولقد كان داود عليه السلام سنة ١٠٩٦ قبل الميلاد، ولقد كان سبى بابل سنة
٥٨٦ قبل الميلاد^(١)

(١) تاريخ الإسرائيليين - شاهين مكاربوس. والتفريع من تاريخ الأقباط لزمكى شتوده.

ينسب هذا السفر لسليمان عليه السلام. ولكنه لا يدل على أن كاتبه هو سليمان، لقد بدأه كاتبه بقوله: «أمثال سليمان بن داود ملك إسرائيل» وفي بدء الأصحاح العاشر يقول: «أمثال سليمان» وهذا يعنى: إما أن بدء الأمثال من الأصحاح العاشر، وماسبق أضيف إلى سليمان، أو أن بدء الأصحاح العاشر كلام جديد لغير سليمان. وفي بدء الأصحاح الخامس والعشرين يقول الكاتب: «هذه أيضا أمثال سليمان التى نقلها رجال حزقياملك يهوذا» وهذا يدل بيقين على أن جمع الأمثال وترتيبها، كان فى عهد الملك حزقيا، وهو الملك الثانى عشر بعد سليمان عليه السلام، ونجد فى بدء الأصحاح الثلاثين هذه العبارة: «كلام أجور ابن متقية مسّا، وحى هذا الرجل إلى إيثيثيل . . . إلى إيثيثيل وأكال» وهذا يفيد أن أمثال سليمان انتهت إلى هذا الحد، لكن سفر الأمثال يستطرد فيذكر كلام أجور فى ثلاث وثلاثين فقرة، وبعد ذلك يذكر كلاما لحكيم آخر. هو موئيل ملك مسّا. ويبدأ الحديث عنه قائلا: «كلام لموئيل ملك مسّا. علمته إياه أمّه» [٣١: ١] وهو يفيد أن الأم هي المعلمة، لا الله عز وجل هو الذى أوحى وعلم.

(٤) ميخا:

إن مقدمة سفر ميخا، لاتدل على أن ميخا نفسه هو الذى كتبه، بل تدل على أن شخصا كتبه ونسبه إلى ميخا، وهذه هي المقدمة: «قول الرب الذى صار إلى ميخا المورشتى فى أيام يوشام، وآحاز، وحزقيا، ملوك يهوذا الذى رآه على السامرة وأورشليم» وفضلا عن ذلك فإنه يصرح بالإله الواحد الذى تحدث عنه موسى فى التوراة: «بم أتقدم إلى الرب، وأنحنى للإله العلى ؟» [٦: ٦] «من هو إله مثلك غافر الإثم، وصافح عن الذنب» [٧: ١٨]



هذه هي الأسفار الأربعة التى يستشهد منها القس «إلياس مقار» على ألوهية عيسى عليه السلام. وإننا الآن سنذكر الآيات التى استشهد بها، ونبين ماإذا كان استشهاده فى موضعه أم فى غير موضعه.

من سفر إشعياء. يقول: وأية عبارات أوضح أو أصرح على تجسد الإله القدير السرمدى الأبدى، واتحاد الناسوت باللاهوت من قول إشعياء النبي: «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا، أبا أبديا، رئيس السلام ؟» [إش ٩ : ٦] ودعى ذات الشخص فى موضع آخر من سفر إشعياء: عمانوئيل، الذى تفسيره: الله معنا. إذ قيل: «ها العذراء تحبل، وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل» [إش ٧ : ١٤]

لقد بينا من قبل: أن سفر إشعياء مشكوك فيه، وأن اليهود لم يعتبروا قانونية هذا السفر، ولم يسلّموه إلى النصارى إلا فى مجمع «يمنية» سنة ٩٠ ميلادية. وبيننا: أن المسيح فى حياته لم يتحدث عن الله الواحد إلا بمثل ما تحدث به موسى فى التوراة، وقد صرح بقوله: «ما جئت لأنقض الناموس» [متى ٥ : ١٧] وهنا نقول:

إن نص كلام إشعياء هكذا: «هيجو أيها الشعوب، وانكسروا، وأصغى يا جميع أقاصى الأرض، احتزموا وانكسروا. احتزموا وانكسروا، تشاوروا مشورة فتبطل، تكلموا كلمة فلا تقوم؛ لأن الله معنا. . . لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا، مشيرا، إلها قديرا، أبا أبديا، رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لانهاية على كرسي داود، وعلى مملكته؛ ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن. إلى الأبد»

إن النص يوضح: أن النبى الذى وعد به موسى - عليه السلام - فى سفر الشريعة «يقيم لك الرب إلهك: نبيا. . . الخ» هذا النبى سيكون محاربا عظيما^(١)، وسيطلا منتصرا، وأن الأمم ستحد ضده، وستصنع مؤامرات للقضاء عليه. ولكنه ينتصر عليهم انتصارا عظيما. هذا النبى كتب اليهود أنه سيكون منهم من ذرية داود عليه السلام وخلعوا عليه أوصافهم ووضعوا عليه تعابيرهم، إمعانا منهم فى أنه سيكون منهم. وعلى العالم أن يحترمهم من أجل هذا «لأنه يولد لنا ولد» وهذا الولد هو الذى تحدث

(١) فى القرآن الكريم (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)

عنه داود عليه السلام - إن كان هو الكاتب - بقوله «أنت ابني»، «وتكون الرئاسة على كتفه» أى سيكون رئيسا إلى الأبد، وسيكون «إلها» مثل ماكتبوا عنهم على لسان الله تعالى: «أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العلى كلكم»، ومثل قول الله لموسى: «أنا جعلتك إلها لفرعون» فكانهم يريدون أن يقولوا: إن هذا النبى منا حقيقة، ويستحق أن يطلق عليه لقب «إله» كما يطلق على أى فرد فينا، ولما كان هو ممثلا لموسى؛ فإنه يستحق لقب «إلها قديرا» وأن النبى سيظل ملكه ثابتا على «كرسى داود»

ولا يمكن أن يشير هذا النص إلى عيسى عليه السلام لأنه ليس ممثلا لموسى، ولأنه أيضا لم يجلس على كرسى داود، لحظة من ليل أو نهار. يقول لوقا: «وقال له واحد من الجمع: يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث. فقال له: ياإنسان. من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما؟» [لوقا ١٢: ١٣ - ١٤] ويقول يوحنا: «وأما يسوع فإذ علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه، ليجعلوه ملكا؛ انصرف أيضا إلى الجبل وحده» [يوحنا ٦: ١٥]

وأما عن قول القس إلياس مقار: «ودعى ذات الشخص فى موضع آخر من سفر إشعياء عمانوئيل. الذى تفسيره الله معنا» فإنه لمن المستحسن أن نذكر ما قبل النص ومابعده من كلام إشعياء، لتعرف الانفصال بين المدعو «إلها قديرا» وبين المدعو «عمانوئيل» يقول إشعياء: «وحدث فى أيام آحاز بن يوثام بن عزيا ملك يهوذا أن رصين ملك أرام صعد مع فقح ابن رمليا ملك إسرائيل إلى أورشليم لمحاربتها، فلم يقدر أن يحاربها، وأخبر بيت داود، وقيل له: قد حلت أرام فى أفرام، فرجف قلبه، وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح، فقال الرب لإشعياء: أخرج لملاقاة آحاز أنت وشآر ياشوب ابنك إلى طرف قناة البركة العليا إلى سكة حقل القصار، وقل له: احترز واهدا، لاتخف، ولايضعف قلبك من أجل ذنبى هاتين الشعلتين المدختين، بحمو غضب. رصين وأرام وابن رمليا، لأن أرام تأمرت عليك بشر مع أفرام وابن رمليا. قائلة: نصعد على يهوذا ونقوضها، ونستفتحها^(١) لأنفسنا، ونملك فى وسطها ملكا

(١) لاحظ : (يستفتحون على الذين كفروا)

ابن طيئيل، هكذا يقول السيد الرب: لاتقوم، لاتكون، لأن رأس أرام دمشق ورأس دمشق، رصين، وفي مدة خمس وستين سنة ينكسر أفرام، حتى لا يكون شعبا، ورأس أفرام السامرة، ورأس السامرة: ابن رمليا. إن لم تؤمنوا، فلا تأمنوا^(١).

ثم عاد الرب فكلّم آحاز قائلا: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك. عمق طلبك أو رفعه، إلى فوق. فقال آحاز: لاأطلب ولا أجرب الرب، فقال: اسمعوا يا بيت داود. هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس، حتى تضجروا إلهي أيضا؟ ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: هاالعذراء تحبل وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل، زبدا وعسلا يأكل. متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير؛ تخلق الأرض التي أنت خاش من ملكها» [إشعيا ٧ : ١ - ١٦]

هذا هو النص بتمامه. فماذا ترى؟ ألت ترى أن هذه معجزة لآحاز الملك بهلاك أعدائه في حياته؟ ثم بين الله له المدة التي يتم فيها هلاك الأعداء، وهي مدة تقدر من حين ولادة الابن من العذراء إلى أن يميز هذا الابن: الخير من الشر متى عرف؛ أن يرفض الشر ويختار الخير؛ تخلق الأرض التي أنت خاش من ملكها» وقد تم ذلك في حينه. وبغض النظر عن سياق الكلام الذي هو واضح فيماأبدينا؛ لأن إشعيا كان سنة ٦٠ ق. م. فإننا نقول:

١ - إن اللفظ العبري الذي ترجم في اللغة العبرية بالعذراء: هو «علمه» مؤنث علم، والهاء فيه للتأنيث. ومعناه عند علماء اليهود: المرأة الشابة. سواء أكانت عذراء أو غير عذراء. وقد ترجم بالمرأة الشابة في التراجم اليونانية الثلاثة، ترجمة إيكوثلا سنة ١٢٩ ميلادية، وترجمة تهيودوشن سنة ١٧٥ ميلادية، وترجمة سميكس سنة ٢٠٠ ميلادية.

٢ - ماسمى أحد عيسى عليه السلام باسم «عمانوئيل» بل سمي يسوع «وتدعو اسمه يسوع» [متى ١ : ٢١] قال ذلك الملك ليوسف التجار، وقال لأمه: «ستحبلين وتلدن ابنا، وتسمينه يسوع» [لوقا ١ : ٣١] ولم يدع عيسى في حين من الأحيان: أن

(١) قال الله في القرآن الكريم: (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم)

وقد قلنا من قبل: إن سفر إشعياء مشكوك فيه. وهذا النص نفسه يوضح ذلك. فقد جاء فيه: «وفى مدة خمس وستين سنة، ينكسر أفرام^(١) حتى لا يكون شعباً» وهذا متناقض مع ما جاء فى سفر الملوك الثانى، من أن سلطان آشور تسلط على أفرام فى السنة السادسة من جلوس حزقيا. ففנית آرام فى مدة إحدى وعشرين سنة {١٧ / ١٨}

الدليل الثانى:

من سفر المزامير. يقول القس إلياس مقار: «وما قول اليهود فيما ورد فى سفر المزامير. وهم أول دعاة التوحيد وحماته فى التاريخ «قال الرب لربى: إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»؟ [مزمور ١١٠: ١] وكيف يمكن أن نوجد لهذا التعبير حلاً من غير الإيمان بالمخاطبة الأزلية بين الآب والابن، واليقين بأن الله الناطق - وهو ماتسلم به كافة الأديان - كان يكلم ذاته الإلهية؟

وقد سبق أن تحدثنا عن هذا الموضوع. وقلنا: إن ترجمة الكاثوليك سنة ١٩٦٨ م هكذا «قال الرب لسيدي... الخ» وأن عيسى عليه السلام وضح أن هذا إشارة إلى مجئ النبی الامى الآتى من بنى إسماعيل عليه السلام لا من من نسل داود عليه السلام لأن الولد لا يكون سيد أبيه. فضلاً عن ذلك: فإنه كيف يكلم الله نفسه؟ وإذا كلم الابن؛ فإنه بالكلام يكون مستقلاً عن الابن. والأرثوذكس يقولون: إن الله هو المسيح ابن مريم؟

الدليل الثالث:

من سفر الأمثال. يقول القس إلياس مقار: «بل ما قولهم فيما جاء فى سفر الأمثال من كلام أجور ابن متقية مسا: «إنى أبلد من كل إنسان. وليس لى فهم إنسان، ولم أتعلم الحكمة، ولم أعرف معرفة القدوس. من صعد إلى السموات؟ ومن جمع الريح فى حفتيه؟ من صر المياه فى ثوب؟ ومن ثبت جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه؟ وما اسم ابنه إن عرفت؟» [أمثال ٣٠: ٢ - ٤]

وقد سبق أن تحدثنا عن (١) «ما اسمه؟» (٢) وعن «ما اسم ابنه؟»

وبينا: إن الابن هو ماعناه داود عليه السلام بقوله عن Messiah المسيح المنتظر^(١):
«أنت ابني» أى حبيب إلىّ، مقرب عندي، وليس الابن على الحقيقة، والاسم يشير به إلى الله وحده.

الدليل الرابع:

من سفر ميخا. يقول القس إلياس مقار: «أو ماجاء على لسان ميخا النبي: «أما أنت يا بيت لحم أفراته، وأنت صغيرة، أن تكوني بين ألوف يهوذا. فممنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، ومنذ أيام الأزل؟» [ميخا ٥: ٢] هذه وغيرها من النبوءات المتعددة، لم تتحدث فحسب عن مجئ المسيح الموعود به للعالم، بل قطعت فى الحديث بتجسده ولاهوته أيضا^(٢)»

ومعنى قول ميخا: «ومخارجه منذ القديم، ومنذ أيام الأزل» هو أن الله وعد به منذ زمن بعيد، من عهد آبائهم وأجدادهم الأوائل.

وأما ولادة عيسى عليه السلام فى «بيت لحم» فهذا لم يجمع عليه النصارى أنفسهم. يقول الدكتور فردريك. و. فارار: «ليس من النادر فى فلسطين أن يكون الخان «حظيرة البقر» جميعه - أو على الأقل الجزء الذى تبيت فيه الحيوانات - إحدى المغارات التى يكثر وجودها فى التلال الجيرية. والظاهر: أن هذا ماكان فى بيت لحم الصغرى فى أفراته اليهودية، ويقرر جوستاف مارتير الذى ولد فى شكيم، فشب خيرا بفلسطين، والذى عاش فى الجيل الأول بعد الميلاد [ولد سنة ١١٣ ومات فى سنة ١٦٦] أن مولد المسيح قد تم فى إحدى هذه المغارات أو الكهوف. وهذا هو التقليد القديم فى جميع الكنائس الشرقية والغربية. وهو أيضا. إحدى الحقائق التى وإن لم تكن مسجلة فى

(١) Messiah that is the Christ وهو لقب محمد صلى الله عليه وسلم

انظر كتاب: «المسيح المنتظر» نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة

(٢) ص ١١٦ - ١١٧ إيماني.

ثم إن ميخا يقول: «فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل» وهل يخرج المسيح من بيت لحم، وملك على بنى إسرائيل ؟

وبعد ماينا عدم الصحة فى اعتمادهم على كتب الأنبياء الذين أتو من بعد موسى، وذكرنا كل الأدلة التى ذكرها القس إلياس مقار، تحت عنوان «الدليل المستمد من النبوات فى العهد القديم^(٢)» نذكر تعريفا موجزا للأنجيل الأربعة المقدسة عندهم، ونذكر أمثلة يسيرة على تناقضها واختلافاتها:

١ - إنجيل متى:

يقول الدكتور جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس: «متى»: «عطية الله» هو أحد الاثنى عشر رسولا [تلميذا] وكاتب الإنجيل الأول المنسوب إليه، وكان اسمه فى الأول «لاوى»، وتغير إلى متى، عندما تقلد وظيفة الرسول. إنجيل متى: يرجح: أن هذا الإنجيل كتب فى «فلسطين» لأجل المؤمنين من الملة اليهودية الذين اعتنقوا الديانة اليهودية المسيحية^(٣). واختلف القول بخصوص لغة هذا الإنجيل الأصلية. فذهب بعضهم: إلى أنه كتب أولا بالعبرانية أو السريانية التى كانت لغة فلسطين فى تلك الأيام، وذهب آخرون: إلى أنه كتب فى اليونانية كما هو الآن، وذهب بعض القدماء: إلى أنه كتب فى السنة الثامنة بعد الصعود، وآخرون إلى أنه كتب فى الخامسة عشرة، ويظن البعض: أن إنجيلنا الحالى كتب بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ م وأن إنجيلى مرقس ولوقا كتبا فى نفس تلك المدة أ. هـ

(١) حياة المسيح ص ٢١.

(٢) وغير إلياس مقار يتدل من كتاب موسى على التليث بقول الله لموسى: «أنا إله أبيك. إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (خروج ٣: ٦) وليس هذا بدليل فقد ورد فى بعض الآيات هكذا: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق» (تكوين ٢٨: ١٣) فقد ذكر اثنين لا ثلاثة.

(٣) الديانة اليهودية المسيحية: هى أن جماعة من اليهود آمنوا بعبى عليه السلام على أنه يبشر بالمسيح من بعده، وكانوا يعملون بأحكام التوراة - راجع سفر أعمال الرسل أصحاب ١٥

وفى إنجيل منسوب لمتى، غير هذا الإنجيل؛ معجزة النخلة والنهر. كما جاء فى القرآن الكريم: (وهزى إليك بجذع النخلة)

٢ - إنجيل مرقس:

يقول الدكتور جورج بوست: «مرقس لقب ليوحنا»^(١). يهودى. يُرجح: إنه ولد فى أورشليم؛ لأن أمه سكنت هناك. ولا يعرف شيء حقيقى عن حياته. ألف إنجيله فى اليونانية. والمشابهة بين إنجيلى متى ومرقس؛ جعلت البعض يفكر أن الأخير مختصر الأول. ولاتوجد الآيات المدونة فى أصحاب ١٦ : ٩ - ٢٠ فى اثنتين من النسخ القديمة، فلذلك رعم البعض: أنها مضافة فى الأزمنة المتأخرة. أضافها بعض آباء الجيل الثانى كإبرينيوس الذى تأليفاته أقدم من أقدم النسخ

٣ - إنجيل لوقا:

يقول الدكتور جورج بوست: «مسيحى فى أيام الرسل، وكان من الأمم»^(٢) وظن بعضهم: أنه مولود فى أنطاكية، ويرجح: أنه لم يكن من السبعين^(٣)، وكان طبيبا محبوبا. وجاء فى التقليد^(٤) أنه كان مصورا أيضا، كان رفيق بولس فى أسفاره المتأخرة، وبقي معه إلى أن أسر، وأخذ إلى رومية، ولم يعلم شيء من حياته بعد ذلك. وهو كاتب إنجيل لوقا وأعمال الرسل. وقد كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم، وقبل سفر الأعمال. ويرجح: أنه كتب فى قيصرية فى فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨ - ٦٠ م غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك

٤ - إنجيل يوحنا:

يقول الدكتور جورج بوست: «يرجح: إنه كان ابن خالة المسيح. على افتراض أن مريم كانت أخت سالومة، عهد إليه المسيح بكفالة أمه مريم، واستحفظه إياها،

(١) أى إن مرقس اسمه فى الأصل يوحنا ولقب بمرقس. (٢) من غير اليهود.

(٣) كان للمسيح فى حياته سبعون تلميذا كما حكى لوقا واثنين وسبعين كما روى برنابا واثنى عشر غيرهم كما قال الجميع أيضاً.

(٤) التقليد: كتب التواريخ.

إنجيل يوحنا: وهو آخر الأناجيل كتابة، ويظن أنه كتب في أفسس سنة ٧٠، ٩٥

وبالإضافة إلى الأناجيل الأربعة يقدس النصارى الأسفار التالية:

- ١ - أعمال الرسل ٢ - رسالة بولس إلى أهل رومية ٣ - إلى أهل كورنثوس [الأولى]
 - ٤ - إلى أهل كورنثوس [الثانية] ٥ - إلى أهل غلاطية ٦ - إلى أهل أفسس ٧ - إلى أهل فيلبى ٨ - إلى أهل كولوسى ٩ - الأولى إلى أهل تسالونيكي ١٠ - الثانية إلى أهل تسالونيكي ١١ - الأولى إلى تيموثاوس ١٢ - الثانية إلى تيموثاوس ١٣ - إلى تيطس ١٤ - إلى فليمون ١٥ - الرسالة إلى العبرانيين ١٦ - رسالة يعقوب ١٧ - بطرس الأولى ١٨ - بطرس الثانية ١٩ - يوحنا الأولى ٢٠ - يوحنا الثانية ٢١ - يوحنا الثالثة ٢٢ - رسالة يهوذا ٢٣ - رؤيا يوحنا اللاهوتى.
- الجميع سبعة وعشرون سفرا.

وكلمة الإنجيل من الكلمة اليونانية «إنجيليوس» وهى مكونة من مقطعين الأول: «إيف» ومعناها: جيد - حسن - صلاح - خير - صدق. والثانى: «إنجليوس» ومعناها: الإخبار بسرور. ومعنى المقطعين معا: البشرى المفرحة أو الخبر السار. والبشرى بشيء تدل على وجود الخبر بهذا الشيء. من قبل البشرى. فالخبر سابق على البشرى. فما هو هذا الخبر؟ هو قول موسى عليه السلام: «يُقيم لك الرب إلهك: نبيا...» وقد بشر المسيح بمجيئه من بعده. وهذا هو غرض الإنجيل. أى البشرى بمجيء النبى المماثل لموسى. وهو محمد عليه السلام.

وهذه نماذج للاختلافات والتناقضات^(١):

- ١ - من طالع قصة المرأة التى أفرغت قارورة طيب على عيسى عليه السلام فى متى ٢٦ ومرقس ١٤ ويوحنا ١٢ وجد اختلافا من ستة أوجه:
- (١) مرقس صرح بأن الأمر كان قبل عيد الفصح بيومين، ويوحنا صرح بأنه كان قبل الفصح بستة أيام، ومتى سكت عن بيان القبلية.

(١) انظر كتابنا: نقد الانجيل .

(٢) مرقس ومتى، جعلاً هذه الواقعة فى بيت سِمعان الأبرص، ويوحنا جعلها فى بيت مريم.

(٣) متى ومرقس جعلاً إفاضة الطيب على الرأس، ويوحنا جعله على القدمين.

(٤) مرقس يفيد أن المعارضين كانوا أناساً من الحاضرين. ومتى يفيد أنهم كانوا التلاميذ. ويوحنا يفيد أن المعارض كان يهوذا.

(٥) يوحنا بين ثمن الطيب ثلاثمائة دينار، ومرقس بالغ فقال: أكثر من ثلاثمائة دينار، ومتى أبهم أثمن، وقال بثمن كثير.

(٦) اختلفوا فى نقل قول عيسى عليه السلام.

٢ - نَسَبُ عيسى عليه السلام من جهة أمه رضى الله عنهما اختلف فيه متى ولوقا. فمتى أوصله إلى سليمان عليه السلام ولوقا أوصله إلى ناثان ابن داود عليه السلام.

٣ - اختلف كتاب الاناجيل فى حادثة صلب المسيح وقتله اختلافاً كبيراً.



ويستشهد النصارى على الوهية عيسى عليه السلام من الاناجيل بالآيات الآتية:

١ - مما يدل على أن المسيح فى الأزل مع الآب قوله: «والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد، الذى كان لى عندك قبل كون العالم، لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم» [يوحنا ١٧: ٥، ٢٤]

الرد: لو كان المسيح فى الأزل مع الآب؛ للزم عليه أن يكون هو إلهاً مستقلاً عن الإله الآب. وهذا لا يقول به الأرثوذكس الذين يقولون إن عيسى هو الله نفسه. وهذا التعبير كناية عن أن الله قدر وجود عيسى عليه السلام فى الأزل كما يقدر وجود أي إنسان. بدليل قوله عن التلاميذ فى سياق الحديث نفسه: «العالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم» وهم من العالم

وهو يعنى بذلك عدم انغماسهم فى شهوات الحياة الدنيا. كما يفعل سائر الناس.

٢ - مما يدل على أن المسيح كان فى السماء ونزل إلى الأرض: قوله لليهود: «أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم أما أنا فليست من هذا العالم» [يوحنا ٨: ٢٣]

الرد: معنى الكلام: أنتم تعيشون فى اللذات الجسدية، أما أنا فأعيش فى عالم الروح. أنتم فى عالم الأرض تريدون أن تعيشوا. أما أنا ففى عالم السماء مقصودى. وقد قال المسيح هذا القول لجميع تلاميذه: «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن أنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم» [يوحنا ١٥: ١٩] لقد سوى بينه وبين تلاميذه فى عدم الكون من هذا العالم. فلو كان هذا مستلزما للالهية، للزم أن يكونوا كلهم آلهة.

٣ - يقولون: «إن عيسى إله؛ لأنه كان معصوما من الخطأ بدليل قوله لليهود: «من منكم يبيّئنى على خطية؟» [يوحنا ٨: ٤٦]

الرد: لو كانت العصمة من الخطية سببا فى أن يكون الإنسان إلها، لكان جميع الرهبان والراهبات عند النصارى آلهة، لأنهم يدعون عصمتهم من الخطأ، ولكان جميع الباباوات خلفاء بطرس وبولس ومرقس آلهة؛ لأنهم يدعون عصمتهم من الخطأ أيضا، وقد شهد الكتاب المقدس لبعض الأنبياء بالبر والصلاح. فلماذا لم يجعلوهم آلهة؟ ومن ذلك: «وسار أخنوخ»^(١) مع الله، ولم يوجد؛ لأن الله أخذه» [تكوين ٥: ٢٤]

٤ - يقولون: إن المسيح إله؛ لأنه عمل العمل الذى يستحيل على غيره من الناس؛ أن يعمل وهو أنه فدى البشر من خطية آدم، وقُتل وصلب فداء عنهم «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» [يوحنا ٣: ١٦]

الرد: كيف يكون المسيح فداء للبشر. وهو يقول: «إن كل كلمة بطلاة يتكلم بها

(١) أخنوخ هو إدريس عليه السلام

الناس؛ سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان؟ [متى ١٢ : ٣٦ - ٣٧] وهل المسيح هو الابن الوحيد؟ هل هو صاحب نبوءة المزمور الثانى لداود عليه السلام؟ وإن فى هذه النبوءة أن يحطم أعداءه فى ساحات القتال، وأن يملك على بلاد العالم ملكا أبديا. فهل حطم وملك؟

٥ - مما يدل على كون المسيح إلها: أنه وصف نفسه باللقاب الإلهية «أنا هو نور العالم، من يتبعنى لايمشى فى الظلمة، بل يكون له نور الحياة» [يوحنا ٨ : ١٢]

والرد: قوله «أنا هو نور العالم» لايدل على ألوهيته، بل المعنى: قد أتيت إليكم بتعاليم من الله، تنير لكم الطريق. مثل ما جاء فى القرآن عن رسول الله ﷺ : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦ ﴾ (١)

٦ - مما يدل على كون المسيح إلها: علمه بالخفيات والسرائر. مثل قوله عن تلميذه نثنائيل: «هوذا إسرائيلى حقا لاغش فيه» [يوحنا ١ : ٤٧]

الرد: هذه من معجزات المسيح كمعجزة إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، ثم إن كثيرا من الناس يعرفون بعلم الفراسة كثيرا من مثل هذه الأمور. وهذه المعجزة لم ينفرد بها المسيح بن مريم عمن سبقه من أنبياء بنى إسرائيل. ففى سفر الملوك الأول مانصه: «أن رجلا من بنى الأنبياء قال لصاحبه: عن أمر الرب اضربنى. فأبى الرجل أن يضربه. فقال له من أجل أنك لم تسع لقول الرب، فحينما تذهب من عندى يقتلك أسد. ولما ذهب من عنده لقيه أسد فقتله» [الملوك الأول ٢٠ : ٣٥ - ٣٦]

وأكثر معجزات المسيح لها نظائر عند الأنبياء السابقين. مثال ذلك:

١ - نزول المائدة من السماء على بنى إسرائيل. نظيرها: نزول المن والسلوى فى

(١) المائدة ١٥ - ١٦ .

عهد موسى عليه السلام - كما هو مبين فى سفر الخروج -

٢ - المشى على الماء. نظيرها عبور اللاويين بتابوت العهد فى نهر الأردن مع يشوع بن نون فتى موسى عليه السلام ولم تبتل أرجلهم - كما هو مبين فى سفر يشوع فى الأصحاح الثالث -

٣ - أمره البحر بعدم الهيجان: نظيرها أمر يشوع للشمس بالوقوف حتى يفرغ من القتال - كما هو مبين فى الأصحاح العاشر من سفره -

٤ - إحياء الموتى بإذن الله. نظيرها: إحياء إلياس - عليه السلام - ميتا، وإحياء اليسع ميتين، وإحياء ذو الكفل [حزقيال] آلاف الموتى^(١) وأن عيسى - عليه السلام - أحيأ طول حياته ثلاثة أموات. وقال وهو يحيى العازر: «أيها الآب أشكر؛ لأنك سمعت لى، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت؛ ليؤمنوا: أنك أرسلتني» [يرحنا ١١ : ٤١ - ٤٣] أى أنه أحيأ بإذن الله ودعاء منه.

٥ - الشفاء من الأمراض. ونظيرها: شفاء اليسع عليه السلام لنعمان السريانى الذى كان أبرص - كما هو مبين فى سفر الملوك الأول -

٦ - وأما ولادة المسيح بدون أب. فنظيرها: ملكى صادق الذى ولد بدون أب وبدون أم - كما فى الرسالة إلى العبرانيين - «ملكى صادق هذا. ملك ساليمة كاهن الله العلى، الذى استقبل إبراهيم راجعا من كسرة الملوك، وباركه. الذى قسم له إبراهيم عشرا من كل شيء. المترجم أولاً ملك البر، ثم أيضا ملك ساليمة. أى ملك السلام. بلا أب بلا أم بلا نسب لابتداء أيام له ولانهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله. هذا يبقى كاهنا إلى الأبد» [عبرانيين : ١ - ٣] يعنى بذلك: أنه مجهول النسب، لا أنه بلا أب حقيقى وأم حقيقية.

ولما كان الإمام فخر الدين الرازى مؤلف التفسير الكبير فى خوارزم ناظره قس

(١) أنظر الملوك الأول ١٧ وسفر الملوك الثانى ٤ و ١٣ و سفر حزقيال ٣٧.

نصرانى. فكان ماقال له القس: إن الذى يدل على ألوهية المسيح هو ظهور العجائب على يديه من إحياء الموتى وغيره. وكان مما قاله له الإمام فخر الدين: «إن قلب العصا حية أبعد فى العقل من إعادة الميت حيا. لأن المشكلة بين بدن الحى وبدن الميت أكثر من المشكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلب العصا حية، كون موسى عليه السلام إلها وابنا للإله، فبأن لا يدل إحياء الموتى على الإلهية كان ذلك أولى^(١)»

٧ - مما يدل على كون المسيح إلها: القوة والقدرة على كل شيء. يقول لتلاميذه: «لأنكم بدونى لا تقدرُونَ أن تفعلوا شيئا» [يوحنا ١٥ : ٥]

الرد: المعنى: لأنكم أيها التلاميذ بدون تعاليمى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئا، بدليل قوله فى سباق الحديث: «إن ثبتم فى وثبت كلامى فيكم؛ تطلبون ماتريدون، فيكون لكم، بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بشمر كثير، فتكونون تلاميذى»

٨ - مما يدل على كون المسيح إلها: غفرانه خطايا البشر. لقد قال للمفلوج: «يابنى مغفورة لك خطاياك» [مرقس ٢ : ٥]

الرد: لما شفى المفلوج، قال له: «مغفورة لك خطاياك» يقصد أن مرضه ربما كان بسبب خطئه. ولما شفاه الله؛ رفع عنه خطاياه، فعبّر المسيح بما ربما كان سببا للمرض. لذلك اعترض عليه اليهود بقولهم: «لماذا يتكلم هذا هكذا بتجديف؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟» وقد ردّ المسيح عليهم بقوله: «أما أيسر؟ أن يقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قم واحمل سريرك وامش» لم يقل ردا على قولهم: «إنتى أنا الله وحده» بل بين أن قوله فيه يسر، لأنه يتحدث عن ماربما أن يكون سببا للمرض.

واليهود الذين سمعوا قوله، وراوا هذه المعجزة. يحكى عنهم متى: «فلما رأى الجموع تعجبوا، ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا» مجدوا الله الذى يغفر الخطايا وحده، ولو كان التمجيد لعيسى نفسه لقال متى: «ومجدوا يسوع» ولكنه

(١) انظر (آل عمران ٦١) فى تفسير الإمام شيخ الإسلام فخر الدين، وانظر ص ١٦ ج ٢ إظهار الحق. وقيس كلمة سريانية تساوى (شيخ)

قال: «ومجدوا الله الذى أعطى الناس» أى أن فعل المسيح الذى هو إنسان هو مما أعطاه الله له. وفى رواية لوقا عن اليهود المشاهدين وعن المفلولج: «ففى الحال قام أمامهم، وحمل ما كان مضطجعا عليه، ومنضى إلى بيته، وهو يمجّد الله. فاخذت الجميع حيرة، ومجدوا الله، وامتلاوا خوفا قائلين: إنا قد رأينا اليوم عجائب» وفى رواية مرقس: «فقام للوقت وحمل السرير، وخرج قدام الكل، حتى بهت الجمع، ومجدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط»

٩ - مما يدل على أن المسيح إله: أنه نسب إلى نفسه إعطاء الحياة الأبدية السرمدية الدائمة «خرافى تسمع صوتى، وأنا أعرفها فتتبعنى، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي» [يوحنا ١٠: ٢ - ٢٨]

الرد: لقد عبر عن التلاميذ بالخراف، وأنه واضح الخراف فى يده، وليس التلاميذ خراف حقيقية، ولا هو يمسك فى يده هذه الخراف، فيكون التعبير كناية عن ضعف التلاميذ، وأنه هو الذى يوجههم. وأن الله عز وجل وحده هو الذى هدى إليه قلوب التلاميذ وحبهم فيه. يقول المسيح بعد هذه الفقرة مباشرة: «ولا يخطفها أحد من يدي. أبى الذى أعطانى إياها، هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى»

١٠ - مما يدل على أن المسيح متساوى مع الآب: قوله: «أنا والآب واحد» [يوحنا ١٠: ٣٠]

الرد: إن هذا القول أطلقه عيسى أيضا على التلاميذ الاثنى عشر. فى قوله: «ليكون الجميع واحدا، كما أنك أنت أيها الآب فىّ، وأنا فىك؛ ليكونوا هم أيضا واحدا فينا؛ ليؤمن العالم أنك أرسلتنى، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا. كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت فى؛ ليكونوا مكملين إالى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتنى» [يوحنا ١٧: ٢٣ - ٢٣] فقوله: «ليكون الجميع واحدا» وقوله: «ليكونوا واحدا، كما أننا نحن واحد» وقوله: «ليكونوا مكملين إالى واحد» يدل على اتحاد لعيسى بسائر التلاميذ. وهذا الاتحاد ليس حقيقيا، وإنما هو تعبير مجازى عن إطاعتهم لأحكام الله عز وجل، وعملهم الأعمال الصالحة جميعهم

١١ - مما يدل على أن المسيح هو الله: حضوره الدائم فى كل زمان. بدليل قوله

لتلاميذه: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر» [متى ٢٨: ١٩ - ٢٠]

الرد: معنى قوله «وها أنا معكم كل الأيام» معناه معكم: بتعاليمى التى أوصيتكم بها. التعاليم التى ستدون فى الكتب. ومعنى قوله: «إلى انقضاء الدهر»: معناه إلى انقضاء الزمن، الذى فيه النبوة والشرعة مع بنى إسرائيل إلى أن يأتى بنى إسماعيل عليه السلام. وليس معهم بجسمه بدليل قوله: «لست أنا بعد فى العالم» [يو ١: ١١] وقوله هذا، يدل على أنه لن ينزل فى آخر الزمان.

١٢ - مما يدل على أن المسيح هو الله؛ حضوره الأكيد فى كل مكان. بدليل قوله للتلاميذ: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون فى وسطهم» [متى ١٨: ٢٠]

الرد: قال المسيح لتلاميذه: «الحق أقول لكم: كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء، وكل ماتحلونه على الأرض، يكون محلولاً فى السماء، وأقول لكم أيضاً: إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شيء يطلبانه؛ فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات؛ لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى؛ فهناك أكون فى وسطهم» هذا النص على فرض التسليم بصحته يثبت: أن المسيح ليس بيده شيء. وكل شيء من «قبل أبى الذى فى السموات» لأنه أى آية المجازى؛ هو الذى يحضر فى كل مكان، أما هو فإنه يكون فى وسطهم بتعاليمه ونصائحه .

١٣ - مما يدل على أن المسيح إله: حضوره فى كل قلب «إن أحبنى أحد يحفظ كلامى، ويحبه أبى. وإليه نأتى. وعنده نصنع منزلاً» [يوحنا ١٤: ٢٣]

الرد: تمام النص هكذا: «وعنده نصنع منزلاً، الذى لا يحببنى لا يحفظ كلامى، والكلام الذى تسمعونه ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ماقلته لكم» لو حضر المسيح مع الله فى كل قلب. فهل هما يصنعان منزلاً حقيقياً. له أبواب وشبابيك؟ كلاً وإنما المعنى: هو كناية عن حب الله وحب

عيسى لذلك الإنسان. بدليل: ماجاء فى بعض التراجم: «وعنده نتخذ المنزلة» ولماذا يأخذون من النص دليل الألوهية، ولا يأخذون دليل الرسالة؟ «الكلام الذى تسمعون» ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى»

١٤ - مما يدل على أن المسيح إله: أنه هو الحامى والحارس للمؤمنين. إذ يقول عن تلاميذه، الذين شبههم بالخراف: «ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي» [يوحنا ١٠: ٢٨]

الرد: «كان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان، فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تعلق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح، فقل لنا جهرًا؟ أجابهم يسوع: إني قلت لكم، ولستم تؤمنون؛ لأنكم لستم من خرافي. كما قلت لكم، خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها؛ فتبني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلي الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبى الذى أعطاني إياها، هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى» يريد أن يقول لليهود: لست أنا «المسيح الرئيس» المَسِيح المنتظر، وقد قلت لكم، ولكنكم لم تؤمنوا؛ لأنكم تريدونه منكم. وأنتم لستم أتباعي حقيقة؛ فلإني أعطيتكم تعاليمي التى إن اتبعتموها؛ لاتهلكون. ولاتستطيعون أنتم ولا أى فرد أن يتزع أتباعي منى، بعدما عرفتهم تعاليم الله، وقد اصطفاهم الله واجتباهم ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى.

فأنت ترى أنه نسب كل شيء إلى الله فى نهاية الأمر. وليس له من الأمر شيء.

١٥ - ومما يدل على ألوهيته: أنه سد جميع الأعواز والاحتياجات «تعالوا إلى» يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» [متى ١١: ٢٨]

الرد: النص فى إنجيل متى هكذا: «أجاب يسوع وقال: أحمداك أيها الأب. رب السماء والأرض؛ لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال، نعم أيها الأب لأن هكذا صارت المسرة أمامك... الخ» [متى ١١: ٢٥ - ٣٠] إنك ترى أنه يحمد الله وحده. رب السماء والأرض، وأنه يقول: يا جميع المتعبين اقبلوا على

تعاليمى، التى أخذتها من الله وأنتم تسعدون.

١٦ - وما يدل على ألوهية عيسى: أنه جمع جميع المؤمنين فى شخصه؛ ليربطهم معا بكيفية موحدة سرية، شبهها هو بارتباط الأغصان بالكرمة فى القول: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان، الذى يثبت فىّ وأنا فيه. هذا يأتى بشمر كثير» [يوحنا ١٥: ٥]

الرد: قد سبق القول بأن اتحاد المسيح فيهم وهم فيه: هو كناية عن التقائهم على هدف واحد، هو تبليغ أوامر الله.

١٧ - مما يدل على ألوهية عيسى عليه السلام: سلطانه الأمر على كل المؤمنين. وذلك فى قوله: «من أحب أبا أو أما أكثر منى؛ فلا يستحقنى» [متى ١٠: ٣]

الرد: هذا القول قاله عيسى لتلاميذه الاثنى عشر، وهو يرسلهم ليشروا فى قرى اليهود باقتراب ملكوت السموات، ويوصيهم بتحمل الأذى، وفى نهاية حديثه قال لهم: «من أحب أبا أو أما أكثر منى، فلا يستحقنى، ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى، فلا يستحقنى، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى، فلا يستحقنى. من وجد حياته، يضيعها، من يقبل نبيا باسم نبي؛ فأجر نبي يأخذ، ومن يقبل بارا باسم بار؛ فأجر بار يأخذ» [متى ١٠] وهذا يدل على سلطانه الأمر بصفته معلما، ومبشرا بنبي يأتى من بعده.

١٨ - وما يدل على كونه إلها: قبول السجود والتعبّد له. فإنه لما شفى المسيح رجلا أعمى، قال له المسيح: «أتؤمن بابن الله؟ أجاب ذلك. وقال: من هو ياسيد لأؤمن به؟ فقال له يسوع: قد رأيته، والذى يتكلم معك هو هو. فقال: أؤمن ياسيد، وسجد له» [يوحنا ٩: ٣٥ - ٣٨]

الرد: يحكى يوحنا عن محاولة اليهود لهذا الأكمه، الذى ولد أعمى، هكذا: «كيف فتح عينيك؟ أجابهم: قد قلت لكم، ولم تسمعوا. لماذا تريدون أن نسمعوا أيضا؟ ألعلمكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟ فشموه. وقالوا: أنت تلميذ

ذاك. وأما نحن فإننا تلاميذ موسى. نحن نعلم أن موسى كلمه الله. وأما هذا فما نعلم من أين هو؟ أجاب الرجل وقال لهم: إن فى هذا عجباً. أنكم لستم تعلمون من أين هو، وقد فتح عينيّ، ونعلم، أن الله لا يسمع للخطاة. ولكن إن كل أحد يتقى الله، ويفعل مشيئته، فلهذا يسمع. منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى. لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً؟ وهذه المحاوره تدل على اعتراف الاكمه بأن عيسى رسول من الله؛ لقوله: «لو لم يكن هذا من الله؛ لم يقدر أن يفعل شيئاً» ثم إن كتاب الإنجيل أزاودا العبارة السابقة بعد المحاوره مباشرة؛ ليقولوا: إن المسيح هو ابن الله. المشار إليه فى الزبور الثانى. بدليل سجود الاكمه له.

وقد بينا من قبل: إن المسيح نفى عن نفسه أنه الابن فى عبارة داود عليه السلام: التى هى «أنت ابنى» ومعنى السجود هنا: الاحترام والتحية. لا السجود الحقيقى. فقد صرح عيسى فى إنجيل متى: «للمرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» [متى ٤: ١٠] وقد ورد لفظ السجود مجازاً بمعنى الاحترام والتحية، فى مواضع كثيرة. منها: أن إبراهيم عليه السلام بعد أن ماتت زوجته سارة فى أرض كنعان، قال لبني حث: «أنا غريب ونزيل عندك؛ أعطوني ملك قبر؛ لأدفن ميتى من أمامى، فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له: اسمعنا ياسيدى، أنت رئيس من الله بيننا، فى أفضل قبورنا إدفن ميتك، لا يمنع أحد منا قبره عنك، حتى لاتدفن ميتك، فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث» [التكوين ٢٣: ٤ - ٧]

١٩ - ومما يدل على ألوهية عيسى عليه السلام: أنه هو الديان العادل. إذ يقول: «لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة. فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات، إلى قيامه الدينونة» [يوحنا ٥: ٢٩]

الرد: إنه يتحدث عن الابن الذى أشار إليه داود عليه السلام بقوله: «أنت ابنى» وقد سبق أن قلنا: إن هذا تعبير مجازى عن مجئ هذا الابن، والدليل على أنه ليس هو المسيح: قول المسيح: «أنتم حسب الجسد تدينون، أما أنا فلست أدين أحداً» [يوحنا

٨ : ١٥] ومعنى إدانته إذا أدان: أنه حذرهم من رفضهم النبی الآتی . كما يستفاد من النص وهو: «إن سمع أحد كلامی، ولم يؤمن؛ فأنا لأدينه، لأنی لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم. من رذلنی ولم يقبل كلامی؛ فله من يدينه، الكلام الذى تكلمت به، هو يدينه فى اليوم الاخير^(١)، [يوحنا ١٢ : ٤ - ٤٨] ولقد قال له اليهود: «من تجعل نفسك؟ أجاب يسوع: إن كنت أمجد نفسی، فليس مجدى شيئا، أبى هو الذى يمجدنى، الذى تقولون أنتم: إنه إلهكم، ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه. وإن قلت: إني لست أعرفه؛ أكون مثلكم كاذبا. لكنى أعرفه وأحفظ قوله، [يوحنا ٨ : ٥٣ - ٥٥]

٢٠ - وما يدل على ألوهيته: أنه هو الملك الأبدى. لقد قال ليلاطوس لما سأله: أفأنت إذاً ملك؟ «أنت تقول. لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم؛ لأشهد للحق» [يوحنا ١٨ : ٣٧]

الرد: لم يقل المسيح إني ملك - كما سبق بيانه - فى [يو ٦ : ١٥] وقد وضع الهدف من إرساليته: وهو «لأشهد للحق» أى لأعرف اليهود والعالم بأن نبى الإسلام آت من بعدى.

وعلى ماتقدم؛ فإنه (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق، وجاءهم البينات^(٢))

هذا كل ما ذكره القسّ إلياس مقار. تحت عنوان «الدليل المستمد من أقوال المسيح ذاته». وقد وضع أن لا حجة لهم فيه.

ويدعى البعض من النصارى: أن عقيدة الثالوث فى الإسلام. وهذا ما يدعوه، والرد عليه:

يقول حبيب سعيد فى كتابه [أديان العالم] تحت عنوان: عقيدة الثالوث

(١) اليوم الاخير: هو نهاية أيام بركة إسحق، وهو ابتداء بركة إسماعيل.

(٢) آل عمران ٨٦

١ - إن الله فى القرآن تحدث عن نفسه بصيغة الجمع مثل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعَيْنَ﴾^(٢) والجمع يدل على التثليث.

الرد عليه: إن ضمير الجمع للتعظيم، وليس للتثليث. وقد جاء فى القرآن حديث الله عن نفسه بصيغة المفرد أيضا. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾^(٣)

٢ - قد نسب القرآن الخلق للمسيح، فيكون مع الله الذى تحدث عن نفسه بصيغة الجمع. أى اثنين ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤) ومن يخلق حيا، يكون إلها.

الرد عليه: إن المسيح كان يخلق (بإذن الله) وهذه معجزة للمسيح؛ لتدل على نبوته كما كان للأنبياء السابقين عليه معجزات واضحات. ويدل على أن المسيح كان يخلق بإذن الله: أن الأناجيل الأربعة وضحت عقب المعجزات التى صنعها المسيح: أنه عملها بإذن الله؛ ليؤمن الناس برسالته. ومن ذلك: مارواه يوحنا عن إقامة المسيح «لَعَازَر» من الأموات. يقول مانصه: «فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء إلى القبر. وكان مغارة، وقد وضع عليه حجر. قال يسوع: ارفعوا الحجر. قالت له مرثا أخت الميت: ياسيد قد أنتن؛ لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع: ألم أقل لك: إن آمنت ترين مجد الله؟ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا، ورفع يسوع عينيه إلى فوق. وقال: أيها الأب أشكر لك لأنك سمعت لى. وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا أنك أرسلتني» [يوحنا ١١: ٣٨ - ٤٢] ولما سأله اليهود: «من أنت؟» أجاب بقوله: «أنا من البدء ما أكلكم أيضا به. إن لى أشياء كثيرة أتكلّم وأحكم بها من نحوكم. لكن الذى أرسلنى هو حق. وأنا

(٢) الأنبياء ١٦

(١) ص ٢٨٥ - ٢٨٧ أديان العالم

(٤) آل عمران ٤٩

(٣) سورة (ص): ٧٥

مسمعتة منه؛ فهذا أقوله للعالم. والذي أرسلنى هو معى، ولم يتركنى الأب وحدى.

لأننى فى كل حين أفعل مايرضيه [يوحنا ٨: ٢٥ - ٢٩]

٣ - قال الله عن المسيح: إنه «كلمة الله» ^(١) أى الأقتوم الثانى.

الرد عليه: كل شيء فى الكون لايقع إلا بكلمة من الله. يقول للشيء كن؛ فيكون. وأنه لما أراد خلق المسيح ألقى كلمة إلى مريم. وهى: كونى حاملا. فصارت حاملا بدون أب. كما قال عن كتلة من الطين: كونى آدم؛ فصارت آدم. والمسيح من الله ككل شيء فى الكون. فى السموات، وفى الأرض، ومافيهم. كما يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ ^(٢) أى من خلقه وحده. وعلى ذلك فقول الله عن المسيح إنه روح منه: يعنى: أنه خلق من خلقه كخلق السماء والأرض. وحياته من قدرة الله وحده لا من إله آخر. وقول الله عن المسيح إنه كلمة منه، يعنى أنه واحد من المخلوقات التى تخلق بالأمر الإلهى.

ففى سفر الزبور: «بكلمة الرب؛ صُنعت السموات، وبسمة فيه كلُّ جنودها. يجمع كَنَدَ أمواه اليم، يجعل اللجج فى أهراء. لتخش الرب كلُّ الأرض، ومنه ليخف كل سكان المسكونة؛ لأنه قال؛ فكان. هو أمر؛ فصار» [مزمو ٣٣: ٦ - ٩]

وأما الأقتوم الثانى فلا صلة له البتة بكلمة الله التى أوجد بها المسيح. لأن أصل الأقتوم الثانى - أقتوم الابن - : نبوة كتبها اليهود فى الزبور بأيديهم، بالمعنى، حسب من وحى الله تعالى، عن نبي منتظر أخبر عن مجيئه موسى عليه السلام. وهذا النبي المنتظر الذى أخبر عن مجيئه موسى، هو من بنى إسماعيل [الشنية ١٨] ولكى يقفل اليهود باب النبوات على أنفسهم. ولكى يلبس اليهود الحق بالباطل، أرادوا أن يشككوا الناس فى هذا النبي. ولهذا التشكيك، أطلقوا عليه لقب «ابن الله» كما يطلقون على أنفسهم جميعا. بالمعنى المجازى، وزعموا: أن النبي المنتظر منهم لا من بنى إسماعيل. وقد أدعى النصارى: أن نبوة الابن خاصة بعيسى المسيح، مع أن الأوصاف فى نص النبوة لاندل عليه [مزمو ٢] وادعوا: أن عيسى المسيح ابن حقيقى لله، مع أن النص

(١) (وكلمتة ألقاها إلى مريم) { آت عمران ٤٥ } (٢) الجائية ١٣

ونصوص التوراة المشابهة في «الابن» يصرحون بالمعنى المجازى - كما سبق بيانه -

٤ - الروح القدس في القرآن؛ علم شخصى - كما في الإنجيل - للأقنوم الثالث^(١) [النحل ١٠٢ والمائدة ١١٣]

الرد عليه: الروح القدس في القرآن والتوراة والإنجيل؛ واحد بالمعنى المجازى. وأصلُ الأقنوم الثالث: هو نبوءة نطقها المسيح عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا «يبركليت الروح القدس» ولكى يدعى النصرانى أنه لانبى بعد المسيح، قالوا: إن «يبركليت الروح القدس» هو الأقنوم الثالث. فيبركليت: علم شخصى على محمد - ويبركليت اسم أحمد - والرح القدس؛ لقب ليبركليت. كما نطق المسيح في الإنجيل. ولاصلة له البتة بالأقنوم الثالث.

يقول القسيس بفندر في كتابه «مفتاح الأسرار»: «إن لفظ روح الله ولفظ روح القدس في التوراة والإنجيل بمعنى واحد^(٢)»

ويقول في كتابه: «حل الإشكال في جواب كشف الأستار»: «من له شعور مّا بالتوراة والإنجيل فهو يعرف أن ألفاظ روح القدس وروح الحق وروح فم الله وغيرها بمعنى روح الله^(٣)» ويقول الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الله الهندى الكيرانوى العثمانى^(٤) في كتابه «إظهار الحق»: «تفسير فارقليط بروح القدس، وروح الحق لا يضرنا؛ لأنهما بمعنى الواعظ الحق، كما أن لفظ روح الحق وروح الله بهذا المعنى في الرسالة الأولى ليوحنا؛ فيصح إطلاقهما على محمد صلى الله عليه وسلم

(١) النحل ١٠٢ - والمائدة (إذ أيدتك بروح القدس)

(٢) ص ٥٣ مفتاح الأسرار طبعة سنة ١٨٥٠ الطبعة الفارسية - نقلاً عن ص ١٦٠ ج ٢

(٣) نقلاً عن ص ١٦٠ ج ٢ إظهار الحق.

(٤) الشيخ محمد رحمت الله - رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام خير الجزاء يتسبب إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولد في «كيرانه» من توابع «دلهى» بالهند في جمادى الأولى سنة ١٢٢٣هـ - توافق سنة ١٨١٨ م وفي زمنه وصل القيسيون إلى الهند لنشر الدين النصرانى =

٥ - البسمة الإسلامية (بسم الله الرحمن الرحيم) شبيهة بالبسمة المسيحية «بسم الآب والابن والروح القدس»

الرد عليه: (الله) علم على الذات الإلهية. و (الرحمن) و (الرحيم) صفتان للذات. كما تحدث الله عن نفسه في التوراة فقال: «الرب. الرب. إله. رحيم.

= تحت نفوذ الاستعمار البرتغالي والإنجليزي وكانوا يألفون الكتب والرسائل لرد المسلمين عن دينهم. فتصدى لهم الشيخ محمد رحمت الله وألف كتباً كثيرة في نقد دين النصارى وناظرعلنا مناظرة شفوية على رهوس الأشهاد

١ - الفيس كئي ومساعدته القيس فرنج في منزل كئي بمدينة «أكره» وطبعت هذه المناظرة في كتاب: آثار رحمت للأستاذ إمداد صابري.

٢ - والقيس بفندر ومساعدته فرنج في مدينة أكبر آباد. وحضرها مراسلو الإذاعات والصحف العالمية وأقر القيسون ببيوت التحريف في التوراة والإنجيل. وكانت المناظرتان في سنة ١٣٧٠ هـ توافق سنة ١٨٥٤ م وطبعت هذه المناظرة على هامش الجزء الأول من إظهار الحق طبعة مصر سنة ١٣١٥ هـ توافق سنة ١٨٩٨ م وقد اشترك في ثورة الهند الكبرى ضد الإنجليز سنة ١٢٧٣ هـ توافق سنة ١٨٥٧ م ولما هُزم المسلمون، هاجر إلى مكة المكرمة وأسس بها المدرسة الصولتية علي غرار الجامع الأزهر في مصر وقد أمره الشيخ أحمد بن رضى دحلان شيخ علماء مكة بتأليف كتاب يضم المسائل المتنازع فيها بين المسلمين والنصارى. ولما شرع في التأليف طلبه خليفة المسلمين في تركيا السلطان عبدالعزيز خان وأعجب به جداً وأثنى عليه وطلب منه المقام بجواره وتأليف كتاب يضم المسائل المتنازع فيها. فآلف في جواره كتابه «إظهار الحق» وكتاب إظهار الحق من الكتب الجامعة المانعة في المسائل المتنازع فيها بين المسلمين والنصارى وهو مفيد جداً. ثم رجع الشيخ إلى مكة. وعاش فيها يدرس العلم إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في رمضان سنة ١٣٠٨ هـ توافق سنة ١٨٩١ م عن خمسة وسبعين عاماً ودفن في مكة المكرمة.

(اقرأ في ترجمته: مقدمة تقى الدين العثماني الباكستاني لكتاب إظهار الحق باللغة الأوردية في ثلاثة أجزاء وكتاب آثار رحمت الله لإمداد صابري وكتاب «إيك مجاهد معاد» تأليف محمد سليم مدير المدرسة الصولتية في مكة سنة ١٩٥٢ م والمقال الذي نشره عنه الدكتور عبدالغنى الراجحي. في مجلة الهدى النبوى بمصر ذو القعدة ١٣٩٧ هـ نوفمبر ١٩٧٧ م)

(١) ص ١٦١ ج ٢ إظهار الحق.

ورءوف. بطئ الغضب. وكثير الإحسان. والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر
الإثم. والمعصية. والخطيئة. ولكنه لن يرى إبراء... الخ» [خروج ٣٤: ٦ -
٧] وكما تحدث عن نفسه في القرآن فقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي
الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾^(١).

الفصل الثامن

فى

نصرانية بولس

قلنا: إن الديانة اليهودية كانت لليهود وللأمم، وأن اليهود قصروها على أنفسهم من زمن بابل، وأن المسيح عيسى - عليه السلام - ظهر لينادى فى اليهود بالعمل بكتاب موسى، وبلاستعداد للدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاء. وقلنا: إن فريقا من اليهود تظاهروا بالنصرانية؛ وكادوا لها كيدا. ومنهم «بولس» الذى يلقب برسول الأمم.

وهنا نبين الخطوات التى سار عليها هذا الفريق، بقيادة «بولس» حتى تم له ما أراد:

أولا: تحريف بولس فى نبوءات التوراة عن النبى المتظر:

لقد كان من علماء اليهود الغيورين على الشريعة. ويشهد بتفوقه: تخرجه من مدرسة العالم اليهودى الشهير «غما لائيل» كما يقول هو عن نفسه: «أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كليكية. ولكن ربيت فى هذه المدينة، مؤدبا عند رجلى غمالائيل. على تحقيق الناموس الأبوى. وكنت غيوراً لله. كما أنتم جميعكم اليوم» [أع ٢٢ : ٣] وهو يفهم كما يفهم سائر اليهود: أن الله واحد لا شريك له. كما هو واضح من قوله: «وكنت غيوراً لله. كما أنتم جميعكم اليوم» وهو يفهم كما يفهم علماء اليهود: أن نبيا من بنى إسماعيل؛ آت؛ لتبدأ من وجوده بركة الأمم فى آل إسماعيل. كما هو واضح من بركة إسماعيل التى نصت عليها التوراة. وسبق بيانها. ولا مانع فى أن نعيدها هنا هكذا:

١ - لما أمر الله إبراهيم بذبح ابنه البكر، واستسلم للأمر؛ ناداه الله بقوله: «بذاتى أقسمت يقول الرب: إني من أجل أنك نعتت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك؛ أباركك مباركة. وأكثر نسلك تكثير. كنجوم السماء، وكالرمل الذى على شاطئ

تُبحر، ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي» [تك ٢٢ : ١٦ - ١٨]

٢ - وقال الله له: إن مباركة جميع أمم الأرض في نسلك: هي في إسماعيل وإسحق «وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك لاتدعو اسمها ساراي، بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها. فتكون أما. وملوك شعوب منها؛ يكونون» [تك ١٧ : ١٥ - ١٦]

٣ - «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك ؟ فقال الله... وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. هاأنا أباركه. وأثمره. وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يولد، وأجعله أمة كبيرة» [تك ١٧ : ١٨ - ٢٠]

٤ - ومعنى البركة: أن يكون من النسل أمم وملوك على الشعوب. كما هو واضح من قوله: «أباركها. فتكون أما. وملوك شعوب منها؛ يكونون» وكما هو واضح من النصوص الآتية:

أ - قال الله لإسحق: «أنا إله أبيك إبراهيم. لاتخف. لأنني معك. وأباركك، وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي» [تك ٢٦ : ٢٤]

ب - وقال إسحق ليعقوب وهو يباركه: «ليعطك الله من ندى السماء. ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل» [تك ٢٧ : ٢٨ - ٢٩]

ت - وقال له أيضا: «والله القدير يُباركك، ويجعلك مشمرا. ويكثرك؛ فتكون جمهورا من الشعوب. ويعطيك بركة إبراهيم. لك ولنسلك معك» [تك ٢٨ : ٣ - ٤]

ث - «والله قال ليعقوب: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها. أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض. وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض» [تك ٢٨ : ١٣ - ١٤]

ج - والنبى داود يُفسر البركة بكثرة النسل، ليكون منه أمم وملوك على الشعوب.

فيقول: «لأن المباركين منه يرثون الأرض. والملعونين منه يقطعون» [مزمو ٣٧: ٢٢]

وهذه التأكيدات من التوراة على بركة إسحق التي ظهرت في يعقوب ابنه. لها مايمثلها من التأكيدات على بركة إسماعيل هكذا:

أ - فقد قال الله عن إسماعيل: «أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. . . وأجعله أمة كبيرة»

ب - وقالت سارة لإبراهيم: ابن هاجر لا يرث البركة منك، كما يرث ابني إسحق. فقال الله لإبراهيم: «بإسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» [تك ١٢: ١٢ - ١٣]

ت - ولما أرادت هاجر أن تسكن بعيدا عن سارة؛ ناداها ملاك الله بقوله: «لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدى يدك به، لأنى سأجعله أمة عظيمة» [تك ٢١: ١٧ - ١٨]

ث - وأكد على هذا المعنى ملاك الله من قبل ولادة إسحق. فإنه قابل هاجر وخطبها بقوله: «هأنت حبلى فتلدین ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد. ويد كل واحد عليه» [تك ١٦: ١١ - ١٢]

وبناء على ما تقدم: فإنه إذا كانت البركة في إسحق - عليه السلام - تعنى «الملك والنبوة» فإنها لابد أن تكون كذلك في إسماعيل - عليه السلام - تعنى «الملك والنبوة» فلماذا يقول اليهود والنصارى: إن بركة إسماعيل تعنى الملك فقط، ولا تعنى النبوة؟ ولماذا يكتب اليهود في التوراة: أن العهد بالنبوة خاص بإسحق وحده في هذا النص: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك؟ فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهدا أبديا؛ لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أباركه. . . . الخ»، وهم يجعلهم العهد في إسحق يُلبسون الحق بالباطل. وقد رد الله عليهم في القرآن بقوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ^(١) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ سَنَّ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي

خوابها ﴿١﴾ وقتلوا الأنبياء بغير حق ؟ وبين أن البركة تكون في إسماعيل الذبيح، وإسحق، في قوله: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ ﴿٢﴾

ومن الممكن أن يقال: إن البركة تعنى زيادة النسل في إبراهيم. وليس بلازم أن يكون من النسل نبي ذو شريعة من السماء. وذلك منهم قول غير سديد؛ لأن الله قد منّ على إبراهيم بالنسل، وتفضل. ولو كان نسلا عاديا كنسل أى رجل من الرجال. فما هى وجه المنة ؟ وما هو وجه التفضيل. ونحن نشاهد الكفار يتاسلون بكثرة ؟ إنه حيث قد وعد بنسل مبارك؛ فلا بد أن يكون نسلا هاديا، معلما للناس الخير.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

العهد ههنا: معلوم ومعروف لأهل الكتاب. والمراد بالظالمين: نسل بنى إسرائيل.

وبيان ذلك: أن الله امتحن إيمان إبراهيم. بالجهاد فى سبيله، والدعاء إلى دينه. ولما رأى قوة إيمانه قال له: " سر إمامى، وكن كاملا؛ فأجعل عهدي بينى وبينك، وأكثر كثيرا جدا" وغير اسمه إلى إبراهيم، لأنه سيجعله للناس إماما. ذلك قوله: «لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم» وقال إبراهيم لله: «إنى أتمنى منك أن يكون من نسل إسماعيل إماما للناس. ويسير نسل إسماعيل معه للدعاء إلى دينك. قال له: «ليت إسماعيل يعيش أمامك» وفى القرآن قال له: (ومن ذريتى) أى أتمنى سيرا لإسماعيل؛ فإنه جاد بنفسه. والذي يجود بنفسه، هو مؤهل لأن يجاهد فى سبيلك. ورد الله عليه بقوله: ومن ذريتك استجبت فى إسماعيل لك. ذلك قوله:

١ - فى القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ وقوله: (لا ينال عهدي الظالمين) يدل على أنه يناله أهل الحق والعدل. فيكون من فحوي

(١) البقرة ١١٤

(٢) الصفات ١:٣

الخطاب فى (لاينال عهدى الظالمين) أنه لما قال: (ومن ذريتى) رد عليه بقوله: ومن ذريتك استجبت لك فى إسماعيل. وحذف ومن ذريتك استجبت لك؛ لدلالة (لاينال عهدى الظالمين) عليه. والظالمون هم اليهود، فى مقابل العادلين بنى إسماعيل، الذين ثبت العهد فيهم.

٢ - وقوله فى التوراة: «وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» وكان هذا كله من قبل ولادة إسحق. وهو يدل على أن لإسماعيل عهد معلوم ومعروف، من استجابة الله لإبراهيم فى إسماعيل. ويدل على أن (الظالمين) معلومون ومعروفون. وليسوا هم كل ظالم.

وقد لبس اليهود الحق بالباطل فى هذا العهد. فكتبوا: «ولكن عهدى أقيم مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت، فى السنة الآتية» فما هى الفائدة من بركة إسماعيل إذا؟ لأن البركة يلزمها عهد، إما عهد صريح، وإما عهد ضمنى. وكتبوا: أن الذبيح إسحق هكذا: «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق» وكلمة إسحق موضوعة بعد الحق وهو الابن الوحيد. وهى موضوعة للبس الحق الذى هو الابن الوحيد، بالباطل الذى هو كلمة إسحق. فهب أن إسحق قد ذبح؛ فكيف يتم العهد من بعد ذبحه؟ ولذلك قال الله تعالى: (لاينال عهدى الظالمين) الذين يريدونه، وحرفوا التوراة من أجله.

وقد تحققت البركة فى إسحق وإسماعيل هكذا:

إن الله اصطفى من آل إبراهيم؛ إسحق. واصطفى من إسحق؛ يعقوب دون عيسو أخاه. واصطفى من يعقوب، عمرام بن قَهَات بن لاوِي بن يعقوب، واصطفى من آل عمران؛ موسى - عليه السلام - وأعطاه التوراة عقيدة وشريعة. وأمره أن يخبر بنى إسرائيل بتفهم التوراة والعمل بها، وأن يكون منهم هداة للأمم كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ ^(١) وبالفعل كان منهم هداة للأمم حتى أنهم كانوا يطلبون من أنبيائهم؛ أن ينصبوا عليهم ملوكا؛ ليقاتلوا فى سبيل الله. كما

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) وكان بنو إسرائيل إذا فتحوا بلدا من البلاد، ينشئون فيه المساجد والمدارس للعبادة وللعلم. ثم إنهم بعد سبى نبوخذ ناصراً سنة ٥٨٦ ق. م قصروا التوراة عليهم، وعلى الغرباء الساكنين بينهم، وتركوا دعوة الأمم. وذلك جعل الناس يتخطون في طرق مظلمة.

ثم جاء دور بنى إسماعيل للبركة. فاصطفى الله من نسل قيدر بن إسماعيل؛ محمدا صلى الله عليه وسلم وأعطاه القرآن عقيدة وشريعة، وأمره أن يخبر بنى إسماعيل بتفهم القرآن والعمل به، وأن يكون منهم هداة للأمم. وقد تم هذا. وما يزال الإسلام حتى عصرنا هذا في الانتشار.

وقد اعترف بعض علماء بنى إسرائيل باسم محمد صلى الله عليه وسلم في نص التوراة عن بركة إسماعيل، بحساب الجمل فقالوا إن «كثيرا جدا» تترجم في اللغة العبرانية «بماد ماد» وتنطق [بمود مود] وقالوا: إن «أمة كبيرة» تترجم في اللغة العبرانية «لجوى جدول» وتنطق أحيانا «لغوى غدول» وقالوا: في بدء ظهور بركة إسماعيل؛ سيخرج منهم نبي اسمه «محمد» يتسلم الملك والشريعة من بنى إسرائيل؛ ليهدى الأمم. وبذلك تتبارك في إسماعيل كل قبائل الأرض. وحساب الجمل طريقته هكذا عند العبرانيين. وهو حساب مهم جدا، إلى الآن، عند اليهود والنصارى:

| | | | | | | | | | | | |
|----|----|----|----|----|----|-----|-----|-----|-----|----|----|
| أ | ب | ج | د | هـ | و | ز | ح | ط | ي | ك | ل |
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ | ٢٠ | ٣٠ |
| م | ن | س | ع | ف | ص | ق | ر | ش | ت | | |
| ٤٠ | ٥٠ | ٦٠ | ٧٠ | ٨٠ | ٩٠ | ١٠٠ | ٢٠٠ | ٣٠٠ | ٤٠٠ | | |

وفي كتب قواعد اللغة العبرانية أن الغين = ٣ وهى فى مقام الجيم. والحاء = ٢٠ وهى فى مقام الكاف. والباء الثقيلة = ٨٠ وهى فى مقام الفاء. وأن حروفا ستة تنطق بنطقين هم: الباء والجيم والداال والكاف والباء الثقيلة والتاء. وإذا كان بداخل

الحرف نقطة ينطقون: باء وجيم ودال وكاف وباء ثقيلة وطاء. وإذا كان الحرف حال من النقطة؛ ينطقون: فاء وغين وذال وخاف وفاء وطاء. والرقم الحسابى واحد لا يتغير بتغير النطق (١)

ومحمد تحسب هكذا: م = ٤٠، ح = ٨، م = ٤٠، د = ٤ المجموع = ٩٢ ولجوى جدول هكذا: ل - ٣٠، ج = ٣، و = ٦، ي = ١٠، ج = ٣، د = ٤، و = ٦، ل = ٣٠ المجموع = ٩٢

وبماد ماد هكذا: ب = ٢، م = ٤٠، أ = ١، د = ٤، م = ٤٠، أ = ١، د = ٤ المجموع = ٩٢

وقد وضعوا اسم محمد بحساب الجمل فى سياق بركة إسماعيل؛ ليعرفوا اسم الآتى من إسماعيل؛ لتبدأ به البركة، ووضعوه بحساب الجمل - بضم الجيم وتشديد الميم مفتوحة - ليعرفوه هم أنفسهم، ولا يعرفه العرب الذين يجهلون هذا الحساب. وكتَّاب أسفار الأنبياء أشاروا إلى محمد صلى الله عليه وسلم بالرموز والإشارات والأوصاف. وكان بولس يفهم مدلول الرموز والإشارات والأوصاف. وسنختار هنا نبوءة «ابن الله» ولقب «المسيح» - الذى هو «المسيَّا» - لبيان غرضنا باختصار:

اليهود فى بابل لما قصرُوا الشريعة عليهم؛ ادَّعوا: أنه لانبى من بنى إسماعيل سيأتى. وادَّعوا أن النبى المنتظر سيكون من بنى إسرائيل. ولكى يؤكدوا هذا الادعاء؛ ليؤصدوا الباب فى وجه نبى بنى إسماعيل إذا جاء، ويفضَّوا الناس من حوله؛ أطلقوا على نبى بنى إسماعيل؛ الألقاب التى يطلقونها على أنفسهم؛ مبالغة فى إخفاء حقيقة أ - أطلقوا عليه لقب «ابن الله» كما يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (٢) وكتبوا فى سفر الزبور: أن الله تعالى قال عن النبى المنتظر: «أنت ابنى أنا اليوم ولدتك... الخ» [مزمور ٢] وظلت الإشاعة متداولة إلى ظهور يحيى وعيسى عليهما

(١) راجع الكثر فى قواعد اللغة عبرية ص ٥٥ - ٦٠

(٢) المائدة: ١٨

السلام وخاطب يحيى اليهود بلسانهم قائلا: «الذى يؤمن بالابن؛ له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالابن؛ لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله» [يوحنا ٣: ٣٦] ولما رفع المسيح إلى السماء. قال بولس لعلماء اليهود مامعناه: قولوا إن نبوة الابن تنطبق على عيسى المسيح. لأنكم متأكدون من نبوة عيسى المسيح، وقد أخبركم بنى بنى إسماعيل من بعده. وبذلك تحققون النبوة فى شخصه حتى لا يحتجّ بها عليكم أحد مستقبلا. وافعلوا كذلك فى جميع النبوءات، ففريق رضى بقوله، وهم الذين كونوا طائفة النصرانية الحالية. وفريق لم يرض. وهم سائر اليهود الآن. على اعتبار أنهم يستطيعون أن يقولوا للناس فيما بعد: إن المشار إليه بالنبوءات مازلنا فى انتظاره.

ب - وأطلقوا عليه لقب «المسيح» أى المصطفى من الله. كما يطلقون على أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم؛ فإنهم كان يطلقون على كل نبي أو عالم أو ملك؛ لقب «مسيح» فيقولون مثلا: داود المسيح. أو سليمان المسيح. أو هارون المسيح. أو عيسى المسيح^(١). ولما كانوا فى انتظار نبي يزعمون: أنه آت منهم، قالوا: نحن ننتظر «المسيح» فماذا فعل بولس تجاه نبوة الابن وتجاه لقب المسيح «المسيّا»؟ ادعى: أنه وهو فى طريقه إلى مدينة دمشق؛ ظهر له المسيح عيسى، وهداه إلى الإيمان. ولما تاب ومكث مع نصارى «دمشق» أياما، بشر فى مساجد اليهود بأن عيسى هو ابن الله، الذى تنبأ عنه داود فى المزمور الثانى، وماكان اليهود له بعارفين. ثم بشر بأن عيسى هو المسيح المنتظر. المسيح الرئيس - «المسيّا» - يقول كاتب سفر أعمال الرسل: «... وكان شاول - بولس - مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما. وللوقت جعل يكرّر فى المجمع بالمسيح: أن هذا هو ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون. وقالوا: أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم. وقد جاء إلى هنا؛ ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة؟ وأما شاول فكان يزداد قوة ويُحيرّ اليهود الساكنين فى دمشق، محققا: أن هذا هو المسيح» [أع ٩: ١٩ - ٢٢]

(١) جاء فى القرآن لقب المسيح على هذا المعنى: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) {النساء ١٧١}

ويدلك على أن أصل آنتوم ابن الله عند النصارى من نبوءة داود: قول القمص إبراهيم جبره تحت عنوان «مصدر الإعلان عن ابن الله» مانصه:

«لم يدع يسوع «ابن الله» ابتداء من المسيحيين. وإنما كان هذا إعلان الله. إذ دعى من الرب نفسه؛ ابن الله. قبل تجسده. لقد قال داود عن الرب: «قال لى: أنت ابنى» الابن الذى سيرث الامم، ويمتلك أقاصى الأرض، وتجب له العبادة بالخوف والادب والطاعة؛ لثلا يتقد غضبه، وأن من يرفض عبادته، يكون مصيره الرفض والإبادة. إنه ليس بشراً؛ لأن الرب لا يتنازل عن أمجاده وحقوقه الإلهية لأى من البشر. وهو القائل: «أنا الرب. هذا اسمى ومجدى لأعطيه لآخر» [إشعياء ٤٢: ٨] وإنما هو ابن الله يسوع المسيح، الإله المتجسد^(١) انتهى.

ومن فلاسفة المسلمين القدماء الذين ردوا هذا الأصل فى مفهوم النصارى: الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكى. المعروف بالقرافى. قال مانصه: «قال داود - عليه السلام - فى الزمائر: «أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك، سلتى أعطيك الشعب ميراثك. وسلطانك إلى أقصى الأرض. ترعاهم بقضيب من حديد، ومثل آية الفخار تسحقهم» ومحمد عليه السلام هو الذى ورث، وبلغ سلطانه أقطار الأرض. وحاط الأمم وسامهم بسيفه، ولم يتفق هذا لداود ولا لأحد من بعده؛ فيكون هو المبشر به، وسُمى ابنا على العادة القديمة، كما فى تسمية المطيع والنبي: ابنا. كما قال فى التوراة فى إسرائيل عليه السلام: «ابنى بكرى»^(٢)

يشير الشيخ شهاب الدين إلى قول الله عز شأنه لموسى عليه السلام: «: فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابنى البكر. فقلت لك: اطلق ابنى؛ ليعبدنى. فأبيت أن تطلقه. ها أنا أقتل ابنك البكر» [خروج ٤: ٢٢ - ٢٣]

وقال ابن تيمية الحرانى فى «الجواب الصحيح» بما قال الشيخ القرافى.

(١) ابن الله للقمص إبراهيم جبره صفحة ١٢ - ١٣ مطبعة دار العالم العربى بمصر سنة ١٩٧٦ ترقيمه الدولى ٢ - ١٠ - ٧٢٨١ - ١٩٧٧

(٢) البشارة رقم ٢٣ من كتاب: الأجوبة الفاشرة عن لأسئلة الفاشرة - مطبوع على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق - لباجه جه زده.

ولا يعنى لقب «ابن الله» فى عبارة داود عليه السلام ابنا طبيعيا. بل ابنا مجازيا، ولا يعنى «بُولُس» من إطلاق لقب ابن الله على عيسى؛ الابن بالولادة الطبيعية، بل يعنى تحقيق نبوءة الابن على عيسى فقط. وعلى هذا المعنى حرف النصارى إنجيل يوحنا. فحشروا فيه آيات تثبت أن عيسى هو الابن الذى تحدث عنه داود. من ذلك: أن نثنائيل قال لعيسى - عليه السلام - : «يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل» [يو ١ : ٤٩] يريدون تطبيق نبوءة الابن على عيسى. ونصارى الأرثوذكس لا يقولون بولادة عيسى من الله كما يلد الأب ابنه، وكما تلد المرأة امرأة مثلها. بل يقولون: الله واحد. موجود. وله مع صفة الوجود: صفتان. هما: العقل. والحياة. وبناء على قولهم؛ فإن نبوءة الابن فى أصل وضعها لاتدل على ابن طبيعى. وإلا كان هناك إلهان منفصلان: الله، والابن. وهم لا يقرون بذلك. يقول الأنبا غريغوريوس: «ليس الله ثلاثة جواهر. لكنه جوهر واحد، أو واحد فى الجوهر. إنما ثلاثة أقانيم، لا ثلاثة جواهر. والأقانيم خاصيات وصفات ذاتية. أى صفات تقوم عليها وبها الذات الإلهية الواحدة» يعنى: أن الأقنوم صفة، كصفة الرحمة فى إنسان مّا. وهذا ضد الكاثوليك الذين يعتقدون أن أقنوم الابن شخص طبيعى. ويقول الأنبا غريغوريوس عن كلمة الله: «إن المسيح ابن الله. لاي معنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان. معاذ الله، لكنه ابن الله بمعنى: أن الله غير المنظور، صار منظورا فى المسيح^(١)» وعلى المکتوب عندهم فى الكتب:

كان بولس ذا لسانين وذا جهين. مع اليهود بلسان ووجه، ومع الأمم بلسان ووجه. مع اليهود يقول: إن الله واحد لاشريك له. كما فى ناموس موسى. ومع الأمم يقول:

١ - المسيح صورة الله. أى أن الله تجسد فى بطن مريم، وخرج طفلا هو يسوع، فیسوع صورة الله بالجسد أمام الناس. يقول: «المسيح الذى هو صورة الله» [٢ كورنثوس ٤ : ٤] ويقول: إن الناس ماكانوا قادرين على رؤية الله الذى لا يرى. ولذلك

(١) جريدة وطنى المصرية باب أنت تسأل والأنبا غريغوريوس يجيب فى ١٥/١/١٩٧٨م

ظهر الله فى جسد المسيح، حتى يتمكن الناس من رؤيته. يقول عن المسيح: «الذى هو صورة الله غير المنظور» [كولوسى ١ : ١٥]

٢ - يقول: المسيح حكمة الله «المسيح قوة الله، وحكمة الله» [١ كورنثوس ١ : ٢٤]

٣ - يقول: المسيح كلمة الله «صادقة هى الكلمة، ومستحقة كل قبول. أن المسيح يسوع جاء إلى العالم؛ ليخلص الخطاة» [١ تيموثاوس ١ : ١٥]

٤ - يقول: المسيح هو الله ظهر فى صورة إنسانية «وبالإجماع: عظيم هو سر التقوى: الله ظهر فى الجسد، تبرر فى الروح، تراهى للملائكة، كُرِّز به بين الأمم، أو من به فى العالم، رُفِع فى المجد» [١ تيموثاوس ٣ : ١٦]

هذا على المكتوب عندهم، وبحسب تفسير طائفة لكلامه. فإنهم حشروا فى رسائله آيات، وفترتها كل طائفة على حسب عقيدتها فى المسيح.

وماكان لبولس أن يخالف التوراة فى ذات الله وصفاته، لأنه فى حال المخالفة لايجد مساعدة من اليهود. وإذ كان هو يرجو مساعدتهم فى نشر آرائه؛ فإنه جهر بإنكار محمد صلى الله عليه وسلم كما هم ينكرون. والفرق بينه وبينهم: هو فى أنهم يطبقون النبوءات على نبي لم يأت بعد، وهو يطبقها على يسوع المسيح. وعلى ذلك فإنه هو واليهود متفقون على إنكاره من قبل أن يأتى. وعلى ذلك فلإن بولس لم يضع بذرة ألوهية المسيح ولم يخطر فى باله أن يؤلهه. كيف وأول مجمع كان فى سنة ٣٢٥ م ؟ وفيه طبقوا نبوءة الابن. وفى المجمع الذى بعده طبقوا نبوءة الروح القدس سنة ٣٨١ م.

وقد قلنا سابقا: إن الفلسفة التى كانت شائعة فى العالم عن:

(أ) تجمد الآلهة.

(ب) وعن تعدد الآلهة.

فى التى ذكرتهم أن ينسبوا له «بولس» وللاليهود الذين كانوا معه؛ أنهم جعلوا المسيح هو الأب ظهر فى الجسد، وهو الابن، وهو الروح القدس.

وقلنا: إن الدليل على أسبقية فلسفة التجسد التي يدين بها الأرثوذكس على النصرانية: هو ما جاء فى سفر الأعمال: «فالجموع لما رأوا ما فعل بولس، رفعوا صوتهم بلغة ليكاونية قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس، ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا: زفس وبولس: هرمس» [أع ١٤ : ١١ - ١٢] وقلنا: إن الدليل على أسبقية فلسفة تعدد الآلهة إلى ثلاثة التي يدين بها الكاثوليك على النصرانية: هو اعتراف مؤرخى النصرارى بذلك. ونقول هنا: إن الدين ينشأ أولا. ثم تنشأ بعد ذلك فلسفة لهذا الدين. ليبقى فى نظر معتقيه. وليكسب المتفجعون منه أنصارا جددا. فما هى الفلسفة التي سنها بولس لاتباعه ليفلسفوا النصرانية المزورة إلى الأبد - كما هو مكتوب - ؟ إنه يعلم أن آيات التوراة وآيات الأناجيل لاتساعده على تقرير تجسد الله فى شخص المسيح، ولا على تقرير التعدد. والدليل على ذلك: كلمة الله التي ألقاها الله إلى مريم. فإن معناها: كن طفلا بدون أب، فكان طفلا بدون أب. وكلمة الله فى التوراة وفى الإنجيل وفى القرآن؛ تؤدى هذا المعنى المجازى، ولاتؤدى إلى تجسد الكلمة بأى حال من الأحوال. فمن ذلك: قول داود عليه السلام فى مزاميره

«إلى وقت مجئ كلمته. قول الرب» [مز ١٠٥ : ١٩] لم يؤمنوا بكلمته. بل ترمروا فى خيامهم. لم يسمعوا لصوت الرب» [مز ١٠٦ : ٢٤ - ٢٥] «فصرخوا إلى الرب فى ضيقهم؛ فخلصهم من شدائدكم. أرسل كلمته فشفاهم» [مز ١٠٧ : ١٩ - ٢٠] «أحبنى حسب كلمتك» [مز ١١٩ : ٢٥] «أحمد اسمك. على رحمتك. وحقق. لأنك قد عظمت كلمتك» [مز ١٣٨ : ٣] «يرسل كلمته فى الأرض سريعا» [مز ١٤٧ : ١٥ الخ] «يخبر يعقوب بكلمته» [مز ١٤٧ : ١٩] «النار والبرد، الثلج والضباب، الريح، العاصفة: كلمته» [مز ١٤٨ : ٨]

ويقول إشعيا عن الله تعالى: «هكذا تكون كلمتى التي تخرج من فمى» [إش ٥٥ : ١١]. ويقول إرميا: «من وقف فى مجلس الرب ورأى وسمع كلمته ؟ من أصرنى لكلمته وسمع ؟» [إر ٢٣ : ١٨] ويقول حبقوق: «سهم كلمك» [حب ٣ : ٩] «ويقول عيسى عليه السلام عن الله تعالى: «والأب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم

تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته. وليست لكم كلمته ثابتة فيكم. لأن الذي أرسله هو، لستم أنتم تومنون به» [يوحنا ٥ : ٣٧ - ٣٨]

إن بولس - كما هو مكتوب - يعرف أن التوراة والإنجيل لا يساعدانه على تقرير فلسفة التجسد أو التعدد. فلذلك أوصى بقبول التجسد أو التعدد بدون فهم، وبدون مناقشة. يقول لأهل كورنثوس: «إن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر لا بحكمة كلام، لئلا يتعطل صليب المسيح. فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة. وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله. لأنه مكتوب: سأبذل حكمة الحكماء، وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم ؟ أين الكاتب ؟ أين مباحث هذا الدهر ؟ «ألم يجهل الله حكمة هذا العالم ؟ لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة؛ استحسّن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة.. الخ» [١ كورنثوس ١ : ١٧ الخ

وقد قلنا: «ولقد انتهز محرفو النصرانية هذه الفرصة السانحة، ونسبوا إلى «بولس» أنه نادى بالوهية المسيح جهرا» لماذا نسبوا إليه القول بهذا، وهو لم يصدر منه إلا تطبيق نبوءات التوراة التى هي لمحمد صلى الله عليه وسلم على عيسى عليه السلام، مع الدعوة إلى نبذ التوراة وراءهم ظهريا ؟

إنهم نسبوا إليه القول بالتثليث؛ لأن: أقنوم الابن. أصله: نبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم وقد طبقها هو على عيسى عليه السلام. وأقنوم الروح القدس. أصله نبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم وقد طبقها علي عيسى عليه السلام. وهما أشهر النبوءات فى التوراة وفى الإنجيل عن النبى المتظر، الآتى على مثال موسى. ولما كان هو بتطبيقه لهما عليه مظهرا اثنان. هما: الابن والروح؛ والآب هو الذى أرسل الابن؛ فإنه يكون جاعلا الواحد ثلاثة، والثلاثة واحدا. وقد حدث من بعده اختلاف. فى الثلاثة وفى الواحد؛ لم يكن حاضرا زمنه. فى سنة ٣٢٥ وفى سنة ٣٨١م، وقد أظهرنا عمله هذا فى كتابنا الموسوم باقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة^(١).

وإذا كتب كاتب أن بولس أقر التثليث؛ فهو يكتب على ما يقوله النصرانى فى كتبهم. لا أنه يصدق بذلك. وكيف يصدق عاقل أن بولس هو واضع التثليث - علي

(١) اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة - نشر دار الإيمان بالنصوارة.

المعنى الطبيعى - وهو يقرأ تصريحه بأن الله واحد، ولا يُرى، ولا يقدر أحد علي رؤيته ؟ يقول بولس: «نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي، الذى خلق السماء والأرض والبحر، وكل ما فيها. الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم، مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد. وهو يفعل خيرا ويُعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة، ويملا قلوبنا طعاما وسرورا» [أعمال ١٤ : ١٥ - ١٧] ويقول بولس: إن كل إنسان مسئول عن نفسه، وأنه لن يغنى أحد عن أحد شيئا. وقوله هذا يدل علي عدم موافقته على قتل المسيح من أجل الخطايا. يقول: «لأنه مكتوب: أناحيّ يقول الرب: إنه لى ستجشو كل ركبته. وكل لسان سيحمد الله. فإذا كل واحد منا؛ سيُعطي عن نفسه حسابا لله» [رومية ١٤ : ١١ - ١٢]

هذا ماقرره بولس فى النصرانية الحالية عن النبي المتظر.

ثانيا: تحريف بولس فى الشريعة

قلنا: إن الله تعالى أعطى موسى عليه السلام كتاب التوراة. عقيدة وشريعة. وكان كل نبي من بعد موسى. كان يأتى على وفق شريعة موسى. لا يغير منها شيئا. ومنهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فإنه جاء على وفق كتاب موسى يدعو به، وينادى، ويفسر لليهود ماكانوا فيه يختلفون، ويحلّ لهم بعض ما حرمه العلماء على اليهود من تلقاء أنفسهم. لا أنه كان يغير نصوصا من التوراة هى تحرم شيئا، بنصوص من الإنجيل تحل. مثال ذلك:

أ - حرم الله فى التوراة العمل يوم السبت [انظر خروج ٢٠ و ٣٤ وتثنية ٥] لكن ماهو العمل المحرم ؟ إنه هو العمل الذى أساسه قوام الحياة من بيع أو شراء أو زراعة وتجارة. وماشابه ذلك. أما الأكل والشرب وغسل الأيدي مثلا فليس محرما بدليل الآية: «وأما اليوم السابع فتستريح فيه. فى الفلاحة وفى الحصاد تستريح» [خر ٣٤ : ٢١] لقد حدد الراحة بالفلاحة والحصاد. وقد يقاس عليهما ما يشابههما من التجارة وغيرها.

ب - وذات يوم ذهب المسيح مع تلاميذه إلى بعض القرى، فاجتازوا يوم السبت بين الزروع. فبدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون. يأكلون من الجوع. فقال علماء من بنى إسرائيل للمسيح: «انظر. لماذا يفعلون فى السبت مالا يحل؟» فأجاب بقوله: للضرورة. أليس داود النبى للضرورة أكل خبز الكهنة، وأعطى الذين كانوا معه أيضا؟ إنه أباح العمل الضرورى يوم السبت، واستشهد بفعل داود عليه السلام الذى أورده كاتب سفر صموئيل الأول فى الأصحاح الحادى والعشرين. يقول مرقس عن المسيح وتلاميذه: «واجتاز فى السبت بين الزروع. فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون. فقال الفريسيون: انظر. لماذا يفعلون فى السبت مالا يحل؟ فقال لهم: أما قرائم قط مافعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه. كيف دخل بيت الله فى أيام أياثار^(١) رئيس الكهنة. وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله إلا للكهنة، وأعطى الذين كانوا معه أيضا؟» [مرقس ٢: ٢٣ - ٢٦]

واليهود يعلمون: بأن شريعة التوراة صعبة على النفس، وثقيلة، ولا يقدرّون عليها. ويعلمون: أن النبى الآتى من بنى إسماعيل ستكون معه شريعة إلهية، وغير بعيد أن تكون خفيفة على الناس. فماذا فعلوا تجاه الشريعة؟ إن الفريق الذى حاول قصر نبوءات التوراة عن محمد عليه السلام على عيسى عليه السلام نادى بإلغاء شريعة موسى. وقال للناس: يكفى أن تؤمنوا بالمسيح إلها مصلوبا. وهذا الإيمان يدخلكم الجنة. وساروا على الخطوات الآتية - كما هو مكتوب -:

١ - وقف بطرس - شمعون الصفا - خطيبا فى رواق سليمان وسط الهيكل، وبين: أن النبى الذى وعد به موسى ممثلا له فى سفر التثنية؛ هو عيسى عليه السلام، وليس هو الآتى من ولد إسماعيل «والآن أيها الاخوة: أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم، كما رؤساؤكم أيضا. وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح، قد تمه هكذا. فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم؛ لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب،

(١) يقول مرقس: إن رئيس الكهنة اسمه «أياثار» ويقول كاتب التوراة إن اسمه «أخيمالك» وهذا دليل على عدم عصمة الروح القدس - عندهم - إذ كيف يكذب الروح القدس. مرة يقول: «أياثار» ومرة يقول: «أخيمالك»؟

ويرسل يسوع المسيح المبشّر به لكم قبل. الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمته رد كل شيء، التى تكلم عنها الله بقم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر. فلإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل مايكلكم به. ويكون أن كل نفس لاتسمع لذلك النبى؛ تباد من الشعب... الخ» [أع ٣: ١٧ الخ]

٢ - تدرجوا فى إلغاء شريعة موسى. فزعم بطرس أنه كان نائما «فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلا عليه مثل ملاء عظيمة مربوطة بأربعة أطراف، ومدلاة على الأرض. وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء وصار إليه صوت: قم يا بطرس إذبح وكل. فقال بطرس: كلاً يارب؛ لأنى لم أكل شيئا دنسا أو نجسا. فصار إليه أيضا صوت ثانية: ماظهره الله لاتدسه أنت» [أعمال ١٠: ١١ - ١٥] يعنى: أن ماكان من الأطعمة محرما فى شريعة موسى؛ أصبح حلالا. مثل: الجمل والوبر والأرنب والخنزير.

٣ - وقرروا: أن المحرم على الناس أربعة أشياء لاختام لها، وهى: «أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم» [أع ١٥: ٢٠]

٤ - ثم جاء بولس فقال: أليس المسيح قد قُتل عن الخطايا؟ إذا شهدتم بذلك، فلماذا الأعمال وقد غُفرت الذنوب بالإيمان بصلب المسيح؟ ولماذا تحريم الأشياء الأربعة؟ لاشيء محرم مع الإيمان. يقول: «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس. مشهودا له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لافرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح. الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة، بامهال الله لإظهار بره فى الزمان الحاضر؛ ليكون بارا. ويبرر من هو من الإيمان بيسوع. فأين الافتخار؟ قد انتفى. بأى ناموس؟ أبناموس الأعمال؟ كلا. بل بناموس الإيمان. إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أم الله لليهود فقط. أليس للأمم أيضا. بلى للأمم أيضا» [رومية ٣: ٢١ الخ]

وفيه بولس كما يفهم علماء اليهود: أن النبي الآتي من إسماعيل، سيكون معه شريعة مستقلة عن شريعة موسى. لقول الله تعالى عنه: «ثُمَّ تَسْمَعُونَ» [تث ١٨ : ١٥] ولقوله: «فِي كَلِمَتِهِمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيَهُ بِهِ» ولكي يؤكد زورا: أن هذا النبي هو عيسى المسيح سنَّ نظما وشرائع من تلقاء نفسه، مدعيا: أن الله أرسله من بعد المسيح إلى الأمم. وهذه النظم والشرائع مازال إلى اليوم يعمل بها النصارى. ومايزالون يقولون: إن للمسيح بن مريم شريعة مستقلة عن شريعة موسى. هي أفضل من شريعة موسى: لأن عيسى في نظر طائفة منهم: هو رب موسى، ورب السماء والأرض، وخالق الناس ورازقهم. وفي نظر طائفة أخرى هو الراق. وذلك واضح من رسائل بولس، ومن كلامه: «أقول لغير المتزوجين وللأرامل... وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا، بل الرب... وأما الباقون فأقول لهم أنا، لا الرب... الخ» [١ كورنثوس ٧ : ٨ الخ] وأوصى بقبول كل إنسان في المسيحية وهو يعمل بعاداته وتقاليده التي نشأ عليها «الدعوة التي دعى فيها كل واحد؛ فليبت هو فيها» ثم ألغى الجهاد في سبيل الله، وجعل النصارى عصا تأديب في أيدي الوثنيين عباد الأصنام لضرب اليهود ولضرب بنى إسماعيل إذا ظهر النبي الأمي منهم. وذلك لنهب خيرات الأمم عن طريقهم وبواسطتهم. فقد قال ليطس: «ذكرهم أن يخضعوا للرياسات»

ولماذا ألغى أهل الروم شريعة موسى من على النصارى ؟

لأن أهل الروم كانوا يملكون على العالم في ذاك الزمان، ويخافون من اليهود الذين كانوا يحاربونهم؛ لإخراجهم من أرض فلسطين، بموجب نص التوراة. وهو أنه لا يحل لليهود أن يملكوا عليهم رجلا وثنيا «من وسط إخوتك تجعل عليك ملكا. لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنيا ليس هو أخاك» [تثنية ١٧ : ١٥ - ١٦] وقد هزمهم علي يد «تيطوس» و «أدريانوس» واحتالوا على النصارى المنشقين على اليهود؛ فظموهم إليهم؛ ليضعفوا بهم شوكة اليهود على طول الزمان. وإذا ظهر النبي العربي من بنى إسماعيل وخرج لفتح البلاد؛ يضعوا النصارى عقبة في طريقه. ولأن النصارى عند أهل الروم وسيلة لامتداد فتوحاتهم؛ لاستغلال الأمم والشعوب ونهب خيرات بلادهم. قالوا لهم: أي بلد تعيشون فيها. تتحكمون فيما بينكم علي قوانينها، لا علي قوانين

التوراة. وأيضا: تخضعون للملوك الذين يحكمونكم من الأمم. ولا تبشروا فى الأمم بالتوراة، على أنها شريعة، بل على أنها تشهد لعيسى على أنه هو النبى الذى تنبأت به التوراة على مثال موسى. وقولوا: لا فرائض على الناس من الله. لأن المسيح قد غفر الخطايا. وقال لهم أهل الروم: إننا إذا سمعنا عن بلد تعبد الأوثان وفيها شيء ينفعنا من زراعة وتجارة وصناعة وما شابه ذلك. فلإننا سنرسلكم فاتحين. وعن طريقكم نأخذ المنافع معكم؛ ونصرف، وأنتم تبقون إن شيء تم، أو ترجعون إلى بلادكم، أو تهاجرون إلى بلد فيه لكم منافع. فأنتم لا تجاهدون بشريعة كما كان يجاهد اليهود؛ لأنكم العصا التى بها سنضرب الناس؛ لنهيب أموالهم. واستعدوا لتقفوا حجر عشرة فى وجه «محمد» وأتباعه. انظر إلى رسائل بولس تجد فيها معنى ما قلنا.

أ - «هكذا أنا أمر فى جميع الكنائس: دعى أحد وهو مختون؛ فلا يصير أغلف. دعى أحد فى الغرلة؛ فلا يختن، ليس الختان شيئا، وليست الغرلة شيئا، بل حفظ وصايا الله. الدعوة التى دُعى فيها كل واحد. فليلبث فيها» [الأولى إلى كورنثوس ٧: ١٧ - ٢٠]

ب - «ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين، ويعيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح، ولا يطعنوا فى أحد، ويكونوا غير مخاصمين، حلماء، مظهرين كل وداعة للجميع الناس»

ج - «وأما المباحثات الغبية، والأنساب، والخصوما، والمنازعات الناموسية؛ فاجتنبها؛ لأنها غير نافعة وباطلة» [تيطس ٣: ١ -]

وبسبب هذا كله ابتعد النصارى عن التعاليم الأصلية بعد المشرقين. وبسبب هذا كله لا يستطيعون إقناع الناس. لا بالعقيدة ولا بالشريعة.

ولا يعرف النصارى تاريخا محققا لولادة بولس وموته. يقول الدكتور فردريك وفارار: «مما يقرب من التأكيد: أنه ولد خلال السنوات العشر الميلادية الأولى. والأغلب أن يكون حوالى السنة الثالثة بعد الميلاد. وإذ نعلم أن توقيتنا الميلادى الجارى عرفا يسبق تاريخ الميلاد الحقيقى بنحو أربع سنين؛ فمولد التابع العظيم للمسيح كان فى نفس الوقت الذى وُلد فيه يسوع»

وقد نُسب إلى يوحنا قم الذهب: «أن بولس الرسول قد خدم المسيح خمسا وثلاثين سنة، وأنه استشهد في سن الثامنة والستين» (١)
والله تعالى أعلم وأعز وأكرم. وصلى الله وسلم وبارك على محمد نبي الرحمة وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. آمين.
وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب في ١٩٧٧/٩/٧ الموافق ٢٤ من رمضان سنة ١٣٩٧ هـ.

تم الكتاب بحمد الله وحده

وخالص شكرى واحترامى وتقديرى للرجلين العظيمين؛ صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الغنى عوض. الراجحى / عميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر. وصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود مصطفى بدوى / عميد معهد شربين الدينى.

الدكتور أحمد حجازى أحمد السقا

١ - درجة الليانس من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٩٦٧ م

٢ - درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٩٧٧ م

فى موضوع: «البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل»

إشراف الأستاذ الدكتور الشيخ

محمد محمد أبو شهبة / عميد كلية أصول الدين - أسوط سابقا

فهرس الكتاب

الفصل الأول، أقنوم الأب ٥٣ - ٣٣

معنى كلمة «أقنوم» - أصل كلمة «الأب» - اسم الله عند بنى إسرائيل - كلمة تاريخية عن معرفة بنى إسرائيل لله باسم «الوهميم» الى معرفتهم له باسم «الأب» - المحكم والمتشابه فى أساليب التوراة عن ذات الله وصفاته - دعوى اليهود أن التوراة شريعة لهم لا لكل الناس - مهمة المسيح عيسى عليه السلام - المسيح عيسى كان يخاطب اليهود على قدر عقولهم.

الفصل الثانى، أقنوم الابن ٧٣ - ٥٥

الله يعد إبراهيم بمباركة الأمم فى نسله - ملاك الله يشتر هاجر بإسماعيل ويعدّها بأنه يكون مخرجاً للأمم ومخالطاً - الله يعد إبراهيم بمباركة الأمم فى نسل إسحق - معنى البركة: أن يكون من النسل أمم وملوك على الشعوب - الله يعد بمباركة الأمم فى نسل إسماعيل - يعقوب يوصى بنيه باتباع نبي الإسلام إذا جاء ويلقبه بشيلون أى نبي الأمان - موسى يحدد أوصافاً عشرة لنبي الإسلام - موسى يبين أن الله سيلب الميثاق والشريعة من اليهود ويلبها إلى أمة العرب - موسى يبين أن بركة الأمم فى نسل إسماعيل مؤكدة -

اسم محمد فى توراة موسى بحساب الجمل - اليهود
يطلقون على النبی الآتى من ولد إسماعیل لقب «مسیّاً» -
ولقب: «ابن الله» بالمعنى المجازى أى ولى الله وحیبه -
ولقب: «ملك» - اليهود یغیرون النبوءات فى أسفار الأنبیاء
لتدل على أن النبی المنتظر منهم لا من بنى إسماعیل -
المسیح عیسی یبین أن نبوءة الابن فى المزمور الثانى تشير
إلى نبى بنى إسماعیل - اليهود بعد رفع المسیح یظهرون
بالنصرانية ویحرفون معانى النبوءات عن محمد صلى الله
عليه وسلم لتدل على المسیح عیسی .

الفصل الثالث: أقنوم الروح القدس: ٧٥ - ٩٦

بیرکلیت ولس المعزى

أصل كلمة الروح على الحقيقة: ریح بالباء لا بالواو - اليهود
والبعض من النصارى یعترفون بأن أصل الروح: ریح -
عامة النصارى یقولون بأن أصل كلمة الروح: روح الذات
الالهية الاقنوم الثالث - ورود كلة الروح بالمعنى المجازى
على الشجاعة والقوة ... الخ - عیسی المسیح
تحدث عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ولقبه
بالروح القدس، وسماه «بیرکلیت» باللغة العبرانية
أى: أحمد - نص إنجیل یوحنا عن «بیرکلیت» -
النصارى فى سنة ٣٨١ یألهون الروح القدس ویقولون لا
نبى من بعد یسوع المسیح -

الفصل الرابع: قانون الإيمان؛ ٩٧ - ١٠٧

نص قانون الإيمان النيقوى فى رواية الكاثوليك
والأرثوذكس.

الفصل الخامس: أقانيم الأرثوذكس والكاثوليك؛ ١٠٩ - ١٢٨

أقانيم التجسد [ثلاثة مراحل للإله الواحد

١ - قبل حلوله فى البطن ٢ - ظهوره من البطن فى صورج
إنسان هو يسوع المسيح ٣ - بعد قتله وصلبه عاد إلى
حالته الأولى] - أقانيم التعدد.

الأقانيم منفصلة - الخلاف حول كلمة الله [اللوغوس] - صورة
القانون الإنثاسيوسى.

الفصل السادس: أقانيم الأقدسين؛ ١٢٩ - ١٤٨

الذى أوحى إلى النصارى بعقيدة الثالوث: تعدد الآلهة فى بابل
وفارس والهند ومصر.

الفصل السابع: رفع الشبهات؛ ١٤٩ - ١٨٠

استدلال النصارى من أسفار الأنبياء على ألوهية يسوع
المسيح خطأ ظاهر؛ لأن كتاب موسى هو المعول عليه فى
العقيدة والشرعة، والمسيح لم يأت لنسخة، ولأن أسفار
الأنبياء كتب تاريخية مشكوك فيها من اليهود العبرانيين
أنفسهم.

فريق من اليهود يتظاهر بالنصرانية ويحرف دعوة عيسى عليه السلام - اليهود كتبوا فى التوراة أن العهد بالنبوة فى نسل إسحق وليس فى نسل إسماعيل - كيف تحققت بركة الأمم فى إسحق وإسماعيل ؟ - طريقة حساب الجُمَّل - بولس يطبق نبوة الابن على عيسى . وليست له، بل لنبي الاسلام - الشيخ القرافى يرد على بولس - بولس - حسب المکتوب - هو أول من قال بنظرية التجسد عند الارثوذكس - نظرية التعدد عند الكاثوليك - كلمة الله حقيقة ومجازا - بولس بعدما نادى بتجسد الله فى جسد المسيح أوصى النصارى بادعاء الجهل وعدم الفهم - بولس نادى فى بنى اسرائيل والأمم بإلغاء شريعة التوراة - بولس لم ير يسوع المسيح قبل رفع يسوع المسيح .